

مخطوطات ومطبوعات توارىخ الدورة

إن توارىخ الدورة ، كما أصبحت تعرف بسبب عدم وجود اسم افضل ، هي سلسلة من الدوليات تم حفظها في ثمان مخطوطات كتبت باليونانية ، والفرنسية والاراغونية والاطالاية ، والنسخة اليونانية كتبت شعرا والباقية نثرا .

١ - يحتوي مجموع هافنيس ٥٧ على خمس من المخطوطات اليونانية ، لاشك أن الاقدم فيها والاكثر مصداقية هي المخطوطة الموجوبة في مجموعة فابريكوس في مكتبة جامعة كوبنهاغن ويضم هذا المخطوط ٩٢١٩ بيتا من الشعر السياسي ، كتب بدقة ، كتابة يدوية مقروءة بشكل ملحوظ في التهجي ، والنص مكتوب في اعمدة صغيرة مع هوامش عريضة معلمة بحروف كبيرة بالحبر الاحمر ، وقد فقت الاوراق الثلاث الاولى ، ويبدأ المخطوط بالبيت ١٠٥ من المجموع الباريسي .

والاوراق مرقمة بكل من الارقام الاغريقية من ٤ إلى ١٤٥ وبالارقام العربية من ٤ إلى ٢٣٧ ، واطافة الى ذلك فان بداية كل كراس من عشر ورقات معلمة ، وكل فجوة من صفحتين مشار اليها بالترقيم الكراسي ، ولكن في فجوات أخرى ليست هناك مثل هذه الاشارات مما يظهر ان المخطوط لم يكن كاملا عندما نسخ ، ومن الملاحظات على الغلاف يعرف بأن المخطوط قد انتقل من توماس برثولين الذي اهداه الى يوهانس غراميوس (١٦٨٥ - ١٧٤٨) الذي اهداه الى يوهانس فابريكوس في ١٧٣٦ والمخطوط مع بقية تاريخه قد حازت عليه جامعة كوبنهاغن في ١٧٧٥ .

٤ - مجموع بيرندسيس الاغريقي وهي نسخة أخرى من المجموع الباريسي ، مع أن الخط سيء ، وهناك أخطاء عديدة في النقل ، ولم ترد في وصف بوشون وعليه يبدو أنها كانت غير معروفة من قبله.

٥ - مجموع تورندسيس ب ٢ / ١ وهذا المخطوط قد عرف لأول مرة بواسطة جون شمت الذي درسه بدقة ، وفي رأيه أنه مشابه لمجموع هافنس ، ولكنه سيء التنفيذ. لكنه لاحظ الاهتمام الخاص للحواشي الهامشية غير المقروءة تقريبا والرسوم التي تعطي الدليل ليس فقط على المالكين العبيدين للمخطوط ، بل على ما هو أكثر أهمية ، عن نمط اليونانية التي كان كل منهم يتكلمها ، وهي تقدم في الواقع تحديد للهجة اليونانية الحديثة.

الترجمة الفرنسية.

بقيت الترجمة الفرنسية للتاريخ في مخطوط واحد في المكتبة الملكية برقم ١٥٧٠٢ ، وقد اكتشفه بوشون ونشره في ١٨٤٥ ، وأعطاه عنوانا مطولا عبر عن محتوياته في الاستيلاء على القسطنطينية وإقامة إمارة المورة ، ونشاط البارونات وسواهم ، وكان هذا المخطوط في حينه اختصارا لآخر كان يملكه بارثولمييو غينزي قبل ١٣٣١ . ويقول الكاتب نفسه : أنه سيروي قصة تاريخية لا كما وجدها مكتوبة بأقصر صورة لها . وظهرت أقدم طبعة لها كمجلد من كتاب برشون (انظر أعلاه) والأحداث هي تلك التي وضعها جين لوغيزون بعنوان « كتاب الاستيلاء على إمارة المورة (١٢) (١٢٠٤ - ١٣٠٥) (باريس ١٩١١) » .

النسخة الأرغوانية :

إن النسخة الاراغونية من التاريخ هي وحيدة في كثير من الطرق: فهي أولا ليست اعانة رواية لتاريخ أقدم كما هي التراجم

إن أول طبعة حديثة للمخطوط قام بها ج ١٠ ٠ بـ وكون الذي
قدم النص بدون ترجمة كمجلد ٢ من كتابه :
« بحث في تاريخ امارة المورة الفرنجية وأعمال باروناتاها » (باريس
١٨٤٥) ٠

وتبع ذلك الطبعة الرائعة لجون شمت بعنوان « تاريخ المورة »
(لندن ١٩٠٤) ، التي تحوي بشكل متوازي النصين الهافيني
والباريسي ، وفي الملاحظات الاختلافات في التوريني ، وأحدث طبعة
هي لبطرس كالوناروس (أثينا ١٩٤٠) ٠

٢ - المجموعة الباريسية اليونانية ٢٨٩٨ ، وكان هذا المخطوط
في الأصل في مكتبة فرانسيس الأول في فونتينبلو وكانت معروفة
لدوكاح ، الذي وصفها بشكل صحيح والذي استخدمها في جمع
معجمه . ويتألف المخطوط من جزئين : ترجمة يونانية
لبوكاكسيوتيزيد ، وفي الأوراق من ١١١ - ٢٣٣ تاريخ المورة
الأغريقي ، وهناك ٨١٩١ بيتا تقابل بشكل دقيق المجموعة
الهافينية ، مع أن محاولة صغيرة قد بذلت للمحافظة على صفاتها
العروضية ، ونهاية المخطوط مفقودة ، والنص بعد صفحة ٢١٨
مكتوب بخط مختلف : وكانت أول طبعة حديثة هي طبعة بوشون
بعنوان « تاريخ الاستيلاء على القسطنطينية وتأسيس الامارة
الفرنجية في المورة » (باريس ١٨٢٥) وهذه تحوي ترجمة
النص ، والمقدمة فقط هي الموضوع باليونانية ، ونشر بوشون بعد
ذلك النص اليوناني مع ترجمة فرنسية في كتابه :
تاريخ العلاقات الخارجية والحملات الفرنجية حتى القرن الثالث
عشر (باريس ١٨٤٠) والطبعة الأحدث هي طبعة شمت المذكورة
أعلاه .

٣ - المجموع الباريسي اليوناني ٢٧٥٣ وهذا ببساطة نسخة من
المذكورة أعلاه وهي سيئة التنفيذ وعديمة القيمة

الأخرى ، بل هي بالأحرى محاولة جسيمة للكتابة التاريخية ، مستخدمة كمصدر رئيسي تاريخ المورة ، ولكنها دمجت أعمال مؤرخين آخرين أيضا ، وثانيا هي المخطوط الوحيد الذي يمكن تأريخه بالضبط ويحمل عنوان : « كتاب الاستيلاء على إمارة المورة » .

وقد أخبرنا أنه تم تصنيفه بأمر من السيد الأخ جـوهان فيراندزدي دي هيريليا - مقدم مشفى القديس يوحنا بالقدس. وقد أكمل في ٢٤ تشرين أول ١٣٩٣ واكتشف المخطوط الكونت بول ريانتي في مكتبة الدوق دي أوزوما في ١٨٨٠ ، وتم تحقيقه ونشر بعد ذلك بخمس سنوات من قبل الفرد موريل فاتيو (جنيف ١٨٨٥) .
النسخة الإيطالية.

إن النسخة الإيطالية للتاريخ ترجمة سيئة التنفيذ عن النسخة اليونانية وتبدو كملحق لكتاب ماريانو ساند وتورسيلو « تاريخ المملكة الرومية » والتي حققها ونشرها كارل هوبف في كتابه « التواريخ الاغريقية الرومانية » (برلين ١٨٧٣)

تأريخ الحوليات

إن المسألة ذات الأهمية الأساسية في دراسة تاريخ المورة هي تأريخ النصوص المختلفة. فالنص الأراغوني كما ذكرت أعلاه ، يحمل تاريخه الخاص ، وبهذا لا توجد أية مشكلة ومثله حال النص الإيطالي ، وطالما أن ترجمة مغلوطة من الاغريقية يمكن استبعادها من هذا النقاش ، وأما النصوص الفرنسية واليونانية على أي حال فإنها طالما تقوم على مصنف أقدم مفقود تسبب بعض الصعوبة.

النص الفردي

لقد ذكر بوضوح في عنوانها أن هذا النص قائم على مخطوط كان مرة في حوزة بارشلميو غيزي ، كان في قلعة في طيبة. ونعرف أن غيزي كان أمر قلعة طيبة من ١٣٢٧ - ١٣٣١ - وعليه فإن النص الذي لدينا يمكن الافتراض بأنه قد كتب بعد ١٣٣٢ ، علاوة على أن جدول الترتيب الزمني الملحق به يذكر أحداثا من ١٣٠٤ وهي السنة التي ينقطع فيها توالي الأحداث في التاريخ إلى عام ١٣٣٣ ومن جانب آخر إن كاترين دي فالوا مذكورة بشكل خاص على أنها كانت ما تزال حية عندما كتب النص الفردي ، وحيث أنها توفيت ١٣٤٦ ، فإن الحولية الفردي لا بد أن تكون قد كتبت بين ١٣٣٣ - ١٣٤٦ ، ويحتمل كما يقترح لوغنديون ، (الامبراطورية اللاتينية ص ٣٢٥) بأنها قد كتبت بناء على طلبها أثناء إقامتها في اليونان من تشرين الثاني ١٣٣٨ حتى حزيران ١٣٤٦.

النص الاغريقي

تحتفظ الحولية اليونانية برواية تمتد حتى عام ١٢٩٢ ، حيث تنقطع فجأة ، وحيث أن الأوراق الأخيرة مذكورة في نص كوينهاغن ، وقد نفترض أن الرواية امتدت حتى سنة ١٣٠٤ كما في النص الفردي ، وكما في الأخيرة ، على أي حال إن أحداثا وقعت في تاريخ متأخر جدا قد سجلت في النص الاغريقي ، من ذلك نجد أن رواية مدير قلعة سانت أومر في طيبة وكل ذكر للكاتالانين استيفاءات أقيمت من قبل الكاتب عندما تم وضع النص الاغريقي ، وفي الابيات ٨٤٥٩ وما بعدها من الحولية تذكر فقرة تتعلق بالانساب إيرارد الثالث لومور أمير أركايا ، وأسلافه ولم تكن العائلة ذات أهمية رئيسة في الشؤون المورية ، ويشعر المرء أن المؤرخ لا بد أنه كان لديه بعض الاهتمام بتسجيل الاسم في حوليته ، وفي البيت ٨٤٦٩ هناك إشارة خاصة لا يرارد الثالث تعطي الانطباع بأنه كان ما يزال حيا في

الوقت الذي كتبت فيه الحولية ، وحيث أن ايرارد توفي في ١٣٨٨ يبدو محتملا أن النص اليوناني قد كتب قبل ذلك التاريخ ، وأن للحولية نوعا من الارتباط به ، والنص الباريسي من جانب آخر يذكر بشكل خاص جدا وفاة ايرارد ويقدم له التقدير والاحترام ، وعليه إن نص كوينهاغن إذا احتمل أنه قد كتب قبل ١٣٨٨ بوقت غير طويل جدا ، إذا قبلنا الدليل الوارد في البيت : ٨٤٦٩ المذكور أعلاه (وهو ليس حاسما تماما) ، أو على أي حال بعد ذلك بوقت قصير جدا ، وكتب النص الباريسي حتما بعد ذلك التاريخ.

أصل الحولية

إن الناحية المميزة أكثر في الحولية هي أصلها ، وفيما عدا إشارة في قوانين رومانيا والمات في حولية دوروثيوس صاحب مونمافازيا التي هي نفسها ، لحد معين مستمدة من حولية المورة ، فإن لصادر للفترة التي أنتجت الحولية صامته تماما علاوة على أنه - وجد بيانات قليلة في الحولية لتدورنا ، والبيئة بناء عليه يجب أن يستمد بقدر كبير من لغة النصوص نفسها ، وهي وسيلة بطبيعتها لخاصة غير قادرة على تقييم برهان كامل وتسمح بمجال واسع لتفسيرات ممكنة.

المشكلة.

- إن المشكلة المذكورة ببساطة في هذه الأسئلة :
- ١ - هل النص الفردي هو الحولية الأصلية؟
 - ٢ - هل الحولية اليونانية ترجمة لها أو مشتقة منها ؟
 - ٣ - هل الحولية اليونانية هي الأصل؟
 - ٤ - هل الفرنسية ترجمة وتكثيف لها؟
 - ٥ - هل كلا الترجمتين مشتقتين من عمل أقدم ، فقد الآن ، كتب باليونانية ، أو بالفرنسية أو الإيطالية؟ إن المتمسكين بكل واحدة أن هذه الاحتمالات ليست مفعولة بين داري الحولية.

وكان بوشون أول من حاول حل المشكلة ، ولسوء الحظ ، إن عمله الرائع حقا حول الفرنجة في المورة قد تميز بتحيز وطني زائد . وهدفه الرئيسي كان تمجيد الأعمال الفردي في الماضي . وعلاوة على ذلك كانت أهدافه تاريخية حصرا ، وكان لديه اهتماما قليلا ببقية اللغة ، وقام بعمل فعلي صغير في النصوص اليونانية نفسها .

وطبعته على سبيل المثال من مجموع هافنيس غير مأخوذة من المخطوط ، بل من مقارنة قام بها اصدقاء يونانيون له ، وطبعاته بناء عليه ذات نفع قليل لدراسة لفة النصوص اليونانية ، وليس مدهشا أنه بوشون قد افترض أن الترجمة الفرنسية كانت هي الاصل وأن اليونانية كانت ترجمة لها.

ومال هوبف للموافقة على هذه الفكرة ولاحظ أن الفرنسية كانت اللغة العامة الاسـتعمال في ذلك الوقت في المورة (تاريخ الاغريق ٢٠٢) وعلى أي حال كان في كتابه (التواريخ الاغريقية الرومانية ص ٤٢) من الواضح قلق حول هذه الفكرة ووعد أن يناقشها أكثر مع أنه لم يفعل.

إنه من السهل جدا رفض فكرة أن النص الفرنسي الذي لدينا هو الدولية الأصلية. أولا وقبل كل شيء بالبيان الوارد فيها يستبعد هذا الاحتمال ، وأنه من الواضح جدا أنها اختصار لدولية أقدم ، وعلاوة على ذلك اختبر شـميت الاحتمال بتفصيل كبير في كتابه : (تاريخ المورة) ص ٤١ - ٧٥ ووصل الى نتيجة أن الرواية الفرنسية يمكن احتمال أنها الأصلية.

ومن السهولة بمكان أيضا استبعاد الدولية اليونانية كأصل . أولا لأن تاريخ تأليفها يجعل ذلك مستحيلا ، وإذا كانت كما ذكر أعلاه قد كتبت في وقت ما نحو ١٣٨٨ ، فإنه لا يمكن احتمال أنها الاصل الذي يمكن أن تستمد منه الرواية الفرنسية قبل ١٣٣٢ ، ولا بالنسبة لهذا الأمر ، تلك التي أرخت ١٢٠٢ ويفترض أنه استمر حتى ١٣٠٤ وأن أحداثا في وقت متأخر أكثر قد أدخلت وهي خارجة على الترتيب الزمني ، تبين بوضوح أن الدولية مبنية على مصنف يمضي حتى ١٣٠٤ . وستقدم أخرى على هذا الأمر فيما يلي : ويبدو واضحا بشكل جيد إذا أن أيا من الدوليتين ليس نصا أصليا ، ومن المؤكد أيضا أن النص الفرنسي ليس مستمدا من النص اليوناني ، الذي يعود الى تاريخ أحدث . وليس مؤكدا تماما أن

النص اليوناني ليس ترجمة موسعة للترجمة الفرنسية. وعلى أي حال فإن آراء شمت في كتابه / تاريخ الدورة / وأدا مانتويوس في كتابه / حولية الدورة / ولوغذون في مقدمة كتابه / الاستيلاء على إمارة الدورة / وفي صفحة ٣٣٧ من كتابه / الامبراطورية اللاتينية / وكالوماروس في مقدمة وملاحظات كتابه / حولية الدورة / وكل الكتاب اللاحقين حاسمة في أن الرواية اليونانية ليست ترجمة للفرنسية التي مع كونها مختصرة هي أكثر بكثير دقة ، وتحوي كثيرا من الحقائق المفقودة من الأخرى ، والاثنان مستمدتان بالأحرى من مصدر مشترك .

والادلة على هذا المصدر المشترك مستمدة ايضا من اشارة غربية في الابيات ٩١ - ٩٢ من الحولية وهنا يذكر : كما وجدنا مكتوبا بالتفصيل في كتاب الاستيلاء / وفي الواقع ان هذا يشير الى كتاب تاريخ وليم الصوري الذي لم يكن يسمى كتاب الاستيلاء .

ومن جانب اخر فان المائة من القوانين الرومانية ، التي تتكلم عن بلدين الثاني ، تقول : كما ذكر بوضوح في كتاب الاستيلاء وتروي القوانين القصة المشكوك في صحتها عن زواج بلدين من ابنة الامبراطور روبرت / وتعطي بالتفاصيل المماثلة بالكلمات نفسها الموجودة في حولية الدورة تقريبا ، والاشارة اذا واضحة للحولية ، ولكن اية واحدة ؟ واضح انها ليست الرواية اليونانية لانها كتبت في وقت متأخر عن القوانين ، وليست الرواية الفرنسية ايضا ، لانه يحتمل ان القوانين مؤرخة بتاريخ متقدم عليها ، ولان القوانين تقوم على مختصر مصنف متوفر ، ولا بد ان الالاع يجب ان يكون الى نموذج اصلي سمي بالعنوان المعطى للرواية الفرنسية (كتاب الاستيلاء) الخ ...

فالالاع في الحولية اليونانية اذا يفسر بافتراض نمط اصلي له هذا الاسم ، صنع على مذوال تاريخ وليم الصوري ، دافعا بكتابت الحولية اليونانية آليا الى اطلاق اسم الكتاب الاخير على الكتاب

الاقدم الذي صيغ على مذواله ومشكله ، لغة هذا النموذج الاصل ، مع ذلك ماتزال تواجهنا .

آراء جون شمت ونمط اصلي يوناني :

ويتبع جون شمت المركيز تريير دي لوراي في الرفض بحماس لاحتمال وجود نمط اصلي فرنسي ، وهو ربما يقدم في اقوى تعابيرها الممكنة نظرية ان الاصل قد كتب في اليونانية ، ويضطر المرء مع ذلك ، لان يبقى في ذهنه ان اهتمامات شمت فقهية كلية وحماسه المحترف به لتطوير اللغة اليونانية الحديثة وجماليات ادبها ادى به الى وضع اهمية محورية لمجموع هافننسيديس كمعلم في هذا التطور ، وكما يقول هو نفسه : ان المصادقية التي يعطيها لهذا النص ستهتز بشدة اذا كان ترجمة للرواية الفرنسية ، او قد يضيف المرء اي نمط اصلي فرنسي ، وتدل اقوال اخرى له ، انه ربما لم يبد اي تحفظات في وجهة نظره ، إنه كان قلقا نوعا ما ، وعلى سبيل المثال في الصفحة ٣٠ من مقدمته لحولية المورة ، يقول : ان (النمط الاصلي) قد يكون مكتوبا بالفرنسية ، ولكن كحولية فرنسية اكثر تفصيلا لم يذقل ، فهو اما فقد أو انه لم يوجد مطلقا ، ولا يمكننا ان نثبت الواحد او الاخر .

ثم يتابع فيقول : ان الكاتب الذي كتب الرواية الفرنسية ، اما ان يكون قد اختصر حولية فرنسية او ترجم مع الحذف حولية يونانية . ويجب مع ذلك ملاحظة ان الكاتب ، الذي يذكر كل هذا لا يقول انه يترجم كتابا اقدم ، وفي مكان اخر (في ص ٣١) ، يذكر ان الرواية الاغريقية في كل النواحي وفي كل الروايات اكمل من الفرنسية (وهذا صحيح فقط مع التحفظات) ويمضي شمت ليقول : ان الرواية الفرنسية يمكن ان تشرح بسهولة على انها مجرد خلاصة للرواية اليونانية ، ويذكر الكاتب بوضوح انها خلاصته ، وهذا كما بينا اعلاه ليس ممكنا بالمرّة ، وشمت نفسه لم يعتقد هذا

حقا ، لانه قال اخيرا انه كان هناك نمط اصلي لكلا الروايتين ، ولكنه كان مكتوبا باليونانية .

ودليله على هذا لغوي بشكل رئيسي ، وبين ان الاسماء الصحيحة في كلتا الحوليتين قد اعطيت بشكل صحيح في صورة اللغة التي ورت فيها ، فالاسماء اليونانية مهجاة بشكل صحيح في الرواية اليونانية ، والاسماء الفرنسية في الرواية الفرنسية ، وايضا ان الاسماء الفرنسية في الرواية الاغريقية ليست مشوهة بشدة ، في حين ان الاسماء اليونانية في الرواية الفرنسية قد تحولت الى اسماء فرنسية .

وهكذا يمكننا ان نتوقع ان نجد (١) كل الاسماء اليونانية والفرنسية مكتوبة في النصوص المتعلقة بها (٢) الاسماء الاجنبية في النصوص تعالج بدقة تقريبا ، وهذا صحيح بالتأكيد بالنسبة للنص اليوناني ولا سيما نص هافنيسيس وهو ايضا صحيح في النص الفرنسي ولكن مع استثناءات معينة ، وهذه هي النقطة الرئيسية في نظرية شملت . والحقيقة انه كان يعتقد ان بعض الاسماء الفرنسية محرفة في الرواية الفرنسية ، مما يظهر ان الكاتب لم يكن يالفها وانه كان عليه ان يعيد بناءها من النص اليوناني الذي كان يترجمه ، وهكذا ان عددا من الاسماء الفرنسية الصحيحة الموجودة في الرواية الفرنسية يمكن ان تفسر اذا اقررنا انها قد مرت عبر وسيط يوناني .

ومرة اخرى فانه اخذ مأخذ دي لوراي فأعطى بعض الامثلة :
اللفوية وعرض بعض الاسماء المحرفة ليصل الى القول ان الكاتب قد ترجم اليا الاسم الذي راه امامه كاسم فرنسي وكتبه تبعا لذلك تماما

والضعف الواضح لهذا الخط من التفسير ، هو بالطبع ، مشكلة من اين جاءت الاسماء في النص اليوناني فاصحابها بالتأكيد ليسوا

يونانيين ، ولا بد أنها تحريف لاسماء فرنسية ، اما سمعها المؤلف او صادفها عندما كان يكتب .

ويبدو انه اكثر قابلية للتصديق ان هذه الصيغ للاسماء كانت هي التي استعملها المؤرخ الاصيلي ، وان كلا الكاتبين المتأخرين قد تبنيها ببساطة ، ومثل هذه الادلة بلا شك لا تؤكد القول : « وهذا ان فرضية ان صيغة تامة كاملة للحولية بالفرنسية هي بلا اساس » .

وتكفي بضع امثلة اخرى من تفسيرات شمت لبيان ضعفها المتاصل . وهو يشير مع دي لوراي الى حقيقة ان خمسة نصوص يونانية قد بقيت في حين ان واحدة فقط من كل الروايات الاخرى قد وجدت ، ويميل للدلالة على افضلية المخطوط اليوناني ، وهذا لا يدل على شيء من هذا النوع .

وفي الواقع لقد بينت اعلاه ان هذا ليس صحيحا ، ثم يسأل شمت لماذا يكون لدى اليونان اي سبب كي يترجموا الى اليونانية مثل هذه الوثيقة العنيفة موقفها المعادي لليونانية ، وهو يعمل انهم بالطبع ليس لديهم سبب لفعل هذا .

ولكن المرء قد يسأل لماذا اذا كتبت باليونانية في المقام الاول ؟ وسوف نعالج هذا السؤال بتفصيل اكثر فيمايلي ، والخط الاخير في تفسير شمت والذي ربما كان الاكثر اقناعا يتعامل مع الالقاب الفخرية للمخاطبة التي تظهر خلال كلا النصين . وكان الفرنسيون في القرن الثالث عشر في العادة يخاطبون ملكهم بكلمة سيدي « السيد الملك » وكلتا الصيغتين تظهرا في الراوية الفرنسية . ولكن بالتأكيد ان تعابير مثل « الامبراطور المقدس » المتوج بالتاج المقدس » التي تظهر ايضا انها ليست فرنسية نموذجية ، بل بالاحرى تراجم لالقاب بيزنطية ، ولكن هل يدل هذا بالضرورة على ان النمط الاصيلي قد كتب باليونانية ؟ الا يدل وجود مثل هذه

التعابير على ان الامبراطورية اللاتينية وتوابعها قد ثبتت مراسم البلاط للصور الملكية اليونانية وان هذه التعابير كانت شائعة الاستعمال في الشرق ؟ وقد تبني البلاط اللاتيني الاجراءات اليونانية في تدوين الامبراطور ، مع شارة السلطة الامبراطورية الخ

(انظر : ٢ / ٩٨٤ من الهولية) وقد يفترض المرء انهم قد ثبتوا تعابير المخاطبة التي كانت شائعة الاستعمال وكلمات المخاطبة الاكثر تعقيدا للامبراطور يحتمل اكثر انها بقيت ، حيث انها كانت اكثر رسمية ، وهذا كله تخميني وانا قامت وحدها وصحت فانها ستكون حاسمة ولكن مع ارتباطها بالادلة المعروضة انناه انها تجيب بشكل واف على جدل / شمت / .

وهكذا نجد ان جدل / شمت / شامل ويؤدي الى اسئلة مربكة ، والاحتمالات الوحيدة الباقية هي ان النمط الاصل قد كتب اما بالفرنسية او الايطالية .

احتمال وجود نمط اصلي فرنسي

عندما يقرأ المرء الهولية باليونانية يبقى باستمرار مدركا لعدم الكافية الواضحة لفردات اللغة اليونانية . وهناك تكرار يكاد يبلغ حد السخف للكلمة نفسها مرات ومرات لاسيما عندما تكون واحدة مما يلمس هوى لدى المؤلف .

والى جانب هذا هناك نقص واضح في المرادفات ، وبصورة متكررة يستعمل المؤلف الكلمة نفسها مرتين او ثلاثة في الجملة في حين ان الميل الطبيعي هو ايجاد مرادف ، وهذا واضح بشكل خاص في محاولته الاحتفاظ بالوزن الشعري للعمل فكان أن تكررت عبارات كاملة وعكست جملا ، واقهمت كلمات لا ضرورة لها ، فقط لجرد

ملء الابيات ، وهذه الخصائص بالتأكيد تضال في الترجمة او التكيف على اكثر منها القطعة الاصلية المكتوبة .

وربما كانت اوضح طريقة لرؤية هذا هي مقارنة مجموع هافنيسيس (التي تسمى بعد ذلك - ه) مع الباريزية (ب - ا) والتورينية (ت - ا) حيث يبدو على الفور ان التحيز العنيف المضاد لليونانية ل . ه ، هو بين الاشد مرارة في اي نص تاريخي يختفي في ب - وت . وان تصامم الفقهريات في الابيات ٧٦٦ - ٨٨٠ - ١٢٤٩ - ٥٥ - ٣٩٣٤ - ٣٩ - ٤٧٦٦ - ٨٣ - ٤٨٤١ - ٤٣ الخ محذوف تماما في ب ، والبيان في الابيات ٣٩٩٥ و ٥٧٢٢ ملطف وذلك الذي في الابيات ٧١٣٣ و ٧١٥٧ معدل وفي البيت ١٥٠١ اختزل عدد الجيش اليوناني الى ١٠٠٠ ، وفي الابيات ٥٣٧٩ ، ٥٣٩١ تخترع ب - مذبحه للفرنجة ، وفي البيت ٧٢١٩ تقول ه . (حدث اسي عظيما) وتقول ب : « واسى للفرنجة ، وتأتي ت لتكون حتى اكثر شدة في استبعاد هذا التحيز المضاد لليونان (الابيات ٣٧٢٣ ، ٣٩٨٣ ، ٤٧٧٢ ، ٦٧٤١ الخ ...

وهذه الامثلة قليلة وغيرها كثير ، تزيل اي شك كان في ان ب و ت قد كتبوا من قبل اليونانيين ويحتمل ان ذلك كان بعد اكثر من قرن من ه وبلا شك كان للقراء اليونانيين ، وحيث ان هذه هي الحالة فانه من المهم ملاحظة التبدلات اللغوية التي قام بها مؤلف ب في النص الذي كان يذسخه ، والتغيير الأول هو استبعاد كثير من الكلمات الاجنبية التي من الواضح ان مؤلف ب - كان يشعرا ان قراءه لن يفهموها .

ومن استعراض قائمة موجزة فيها بعض النماذج الموضحة يبدو لنا أن الكاتب لم يكن حريصا على صفاء اللغة والاسلوب .

ولم يحاول ببساطة الاحتفاظ بيونانية صرفة يعبر عنها ، لان النحو والمفردات اللغوية في نصه اصطلاحية تماما ، وهو ببساطة قد

حاول جعل النص مفهوما وحيث ان هذه هي الحالة ، يتبع هذا ان ه لابد انها قد اوجدت صعوبات للقارئ اليوناني ، ولكن اذا كانت ه ممثلة ليوناني الفترة وانها كتبت للقراء اليونانيين كما يتمسك شمت ، فان هذا لن يكون كذلك .

والتغيير الاخر الذي يمكن ملاحظته هو ترجمة الكلمات الاجنبية الى اليونانية . °

الانطباع العام المستخلص من بعض أعمال المقارنة اللغوية والكتابية هو أن مؤلف ه ، كان يترجم وثيقة فرنسية ، والاستنتاج الاخر الوحيد هو انه كان يعمل من وثيقة يونانية ، التي بدورها كانت تقوم على وثيقة فرنسية . وبالتأكيد لاحاجة للتعقيد - ان مؤلف ب من جانب اخر لا يستعبد بأي حال الكلمات الاجنبية بشكل جوهري من النص ، ولاهو كان يقصد استعمال اليونانية الكلاسيكية ، وقد حاول استبدال الكلمة الفرنسية التي هلينتها ه ، مما كان يسبب المتاعب للقراء اليونانيين ، وقد حاول ايضا ان يعطي تراجم صحيحة لكلمات وجد فيها مؤلف ه صعوبة ، وهذا يدل بوضوح ان كل هذه الكلمات في ه ، لم تكن جزءا من لغة الحياة اليونانية في تلك الفترة ، بل انها كانت كلمات مهينة بينما كان المؤلف يترجم نصا من لغة اخرى °

ويصبح هذا حتى اكثر وضوحا عندما ننظر بدقة اكثر الى ه اننا نلاحظ على الفور ان النص مليء بكلمات اجنبية . والعدد الفعلي لهذه الكلمات لايعطي دلالة على تأثيرها في النص ، حيث تكرر مرات ومرات . ومعظمها يعطي مترجما مع نهايات يونانية ، وقليل جدا من هذه الكلمات الاجنبية كتب بلغة اجنبية لان المؤلف كان في حينه يشعر بانها قد لاتفهم من قبل قرائه ، واحيانا ببساطة ملء البيت ويعقبها على الفور الكلمات اليونانية المتعلقة .

واضافة الى هذه الممارسات كان المؤلف يحب ان يبتكر كلمات

يونانية قائمة على اصول فرنسية وكل هذه الكلمات المبتكرة لها رنين يوناني وهي تذكارية لكلمات اخرى في اللغة .

وعادة اخرى للمؤلف هي اخذ تعابير فرنسية صرفة وترجمتها مباشرة الى اليونانية ، وكثيرا مايكون هذا بنتائج عكسية فكهة . وتذسب اللغة بشكل جيد في بعض الفقرات ، ولاسيما تلك التي يقطع فيها المؤرخ روايته ليخاطب القراء مباشرة ، وهو خطاب من الواضح انه مفترض ، وهذا ايضا مقروء بشكل جيد ، ولكن الرواية هكذا ليست مقروءة بشكل جيد واللغة مفتعلة وملتوية ، وقد عكست العبارات لتحقيق الوزن وترتيب الكلمات نفسه ليس طبيعيا ، وكثيرا جدا ماتكون فرنسية واضحة ، وهذا ظاهر عندما يقارنها المرء بحولية فرنسية من القرن الثاني عشر او الثالث عشر والتشابه مدهش ، وربما ماثور وواحدة تصور استعمال كلمة يونانية في عطف على كلمة فرنسية وتعرض واحدة الفرق الطفيف بين النصين ، بل ايضا اصلهما المشترك وتحوي الاخيرة عبارة طريفة لابد انها مشدقة .

وتبقى نقطة واحدة للدراسة في هذه المناقشة للغة النموذج . وقد اقترح لوغنون ان تكون اللغة الاصلية ايطالية . (انظر مقدمته لكتاب (الاستيلاء) ، حيث يطور هذه النظرية ، وفي كتابه الامبراطورية اللاتينية ص ٣١٧ ، حيث ذكرها كحقيقة) . ونذكر باختصار ان اعتقاده هو لان احد البنادقة في حاشية بارثلميو غيزي او حتى غيزي نفسه ، كتب الحولية بالايطالية بين (١٣٢٧ و ١٣٣١) . وهذه كما يبين كانت الفترة التي كان الايطاليون يكتبون فيها توارихهم ، وكانت حولية المورة واحدة منها . ويبين ايضا ان حرب البندقية مع فريديريك الثاني غير مذكورة في الحولية ، ولم يقبل احد بنظرية لوغنون هذه وقد رفضت حالا من قبل ادامانيتوس . واعتقد ان الصعوبة الرئيسة فيها هي انه لاشيء مطلقا حول الحولية يزيد على الاشارة الى بارثلميو غيزي في عنوان الترجمة الفرنسية ، يوحي باصل ايطالي ، علاوة على ان لوغنون

قد قرأ كثيرا ، هذا البيان ، وهو يفترض انه يعني ان شخصا ما من حاشية غيزي قد كتبه ، هذا البيان يقول : مجرد ان الحولية قد وجدت في كتاب كان ذات مرة في حوزة غيزي ، ويستحيل قراءة اكثر من هذا فيها ، حيث انه لغياب الاشارة الى حرب البندقية مع فريدريك ، يمكن فقط للمرء ان يقول : ان هناك احداثا كثيرة اكثر اهمية بكثير من تاريخ المورة تركت ايضا (سقوط الامبراطورية اللاتينية مثلا) ولا نربط اهمية خاصة بهذه الحادثة المنعزلة .

وتظهر المقارنات اللغوية أن الكلمات التي ربما قد اشتقت ايضا من كلمات فرنسية ، هي ضعف الايطالية علاوة على ان كثيرا من تلك الكلمات الايطالية ولاسيما التي تتعامل مع الشحن بالسفن والتجارة كانت في الاستعمال من قبل الشرق الأدنى قبل كتابة الحولية بوقت طويل .

وتجعل المقارنة من الواضح بشكل تام ، أن الفرنسية دون شك هي لغة النموذج الأصلي ، ليس فقط لوجود كلمات فرنسية بضعف عدد الكلمات الايطالية ، بل لأن كثيرا من الكلمات اللاتينية يمكن أن تعد بشكل صحيح فرنسية ، وكل بقية الكلمات اللاتينية هي كلمات دخلت اللغة اليونانية قبل وقت طويل من كتابة الحولية ، خاصة التعابير التي تعالج موضوع الحكومة ، والدين والتجارة ، والأعمال الحربية ، وباختصار ، يمكن للمرء اذا أن يقول يقينا أن كلا من الروايتين الفرنسية واليونانية استمدت من نمط أصلي كتب بالفرنسية والأولى مختصرة ومباشرة وكتبت نثرا ، وربما من قبل رجل دين فرنسي أو فارس فرنسي ، يمكن تصور أنه كان في حاشية كاترين دي فالوا بين ١٣٣٣ و ١٣٤٦ ، والأكثر احتمالا بين ١٣٣٨ و ١٣٤١ والأخيرة مترجمة موسعه ومزوقة بدرجة عالية وكتبت بالشعر السياسي ، احتمالا من قبل شخص ما كان في بلاط إيرارد الثالث لى مور ، قبل بضعة سنوات من سنة ١٣٨٨ أو بعدها مباشرة .

النمط الأصلي الفرنسي

لاجل حول صحة النمط الفرنسي الأصلي الموجود الآن ، ولكن مناقشته بدقة مهمة صعبة ، لأن المرء يجب أن يعتمد على الدليل الذي اكتشف في فرعية الاثنين ، ومع ذلك من الممكن التمييز ببعض الدقة بين المصنف الأقدم والتعديلات التالية ، وهكذا يعاد بناء الأصل المفقود ، ومن الواضح أن هذه الطريقة يجب أن تعتمد بقدر كبير على التخمين ولكن استنتاجات معينة يمكن الاعتماد عليها ، ربما يمكن الوصول إليها .

تأريخ النمط الأصلي :

أن مؤرخا كمؤرخنا ، رجل له قدرات عقلية محدودة نوعا ما وخلفية تعليمية يمكن أن يصف بدقة ، فقط ما يراه هو نفسه أو ما يعلمه من شاهد مباشر ، ومالم يعتمد على مصادر مكتوبة دقيقة في ذاتها فإن دقته يجب أن تتناقص بحكم الظروف كلما تراجعت الأحداث التي يصفها أكثر الى الماضي ، ومن الواضح مباشرة أن مؤرخنا لم يستخدم مصادر مكتوبة ، وربما كان قد قرأ وليم الصوري كما توحى الفقرات الافتتاحية من الحولية ، ولكن وصفه للحملة الصليبية الأولى غير دقيق بالمرّة ، حتى في الخطوط العريضة ، ولاروايته حول المسار الابتدائي ، بيد أن حديثه عن نتائج الحملة الصليبية الرابعة جاء قريبا من الحقيقة ، ومن الواضح - مع أنه أمر غريب ، أنه لم يستعمل رواية فيلهاردين ، وتفسيره لتأريخ الأحداث في الولايات اليونانية لتلك الفترة يكشف أكثر جهله القام بالمؤرخين البيزنطيين ، ويمكننا أن نخمن بأمانة بناء على ذلك بأن مصادره الوحيدة للمعلومات كانت عيناه وأقوال الشهود التي جاءه بعضها مباشرة ، وكان يمكن الاعتماد عليها ، وأخرى منها جاءته كإشاعات وتقاليد ، وهناك استثناء واحد - بعض الوثائق - التي ستناقش أدناه ، وحيث أن

الأمر كذلك ، فإن الحولية بالتالي لا يمكن ابعادها عن الأحداث التي تسجلها ، وواضح من الحولية الفرنسية ان الرواية الرئيسية تغطي السنوات ١٢.٤ - ١٣.٤ مع النصف الاخير للفترة موصوفا بالتفصيل ، ولنقل ان المؤرخ في حينه لم يتمكن من تسجيل اي حدث بأي دقة لو أنه كتب بعد أكثر من جيل من وقوع الحدث . وقد تمت معالجة حكم غوليوم الثاني ١٢٤٦ - ١٢٧٨ بتوسع كبير مع كثير من التفاصيل الحية ، ويمكننا أن نفترض أن المؤرخ تكلم مع الناس الذين شهدوا هذه الأحداث ، وهذا ايضا يفسر لماذا عولج حكما جيوفري الأول وغوليوم الأول بهذا الاختصار ، وعدم الدقة ، والاستنتاج هو أن الحولية كتبت بعد وقت قصير جدا من ١٣.٤ (ويجب أن يبقى في الذهن أنه بحلول ١٣٢٠ يبدو أن الحولية كانت متداولة ، وكانت بلا ريب قد أصبحت في حوزة بارثلميوغيزي) .

وهناك بيانات معينة في الحولية تؤكد هذا التاريخ ففي البيت ٥٧٣٨ يقال لنا إن أطفال الأتراك الذين تزوجوا وتوطنوا في المورة في ١٢٦٥ كانوا مايزالون أحياء عندما كتبت الحولية ، وهذا قد يكون صحيحا بالنسبة لوقت يلي بوقت قصير ١٣٠٠ ، ولكن ليس بعد ذلك بكثير بالنظر للنسبة العالية المروعة لمعدل الوفيات في المورة التي مزقتها الحرب في تلك الفترة وفي الأبيات ٧٤٢١ ، ٨٠٧١ ، ٨١١. ، يدعى نيكولاس الثاني دي سانت أومر بالرجل العجوز ، ولكن المؤرخ قد أخطأ بذكر الأب مكان الابن نيكولاس الثالث الذي توفي في ١٣١٤ ، وهذا يدل على أن نيكولاس الثالث كان رجلا مسنا ومازال حيا عندما كان المؤرخ يكتب ، وهكذا يبدو ان الدورية الاصلية قد كتبت بين ١٣.٤ و ١٣١٤ .

المؤلف وعمله :

أن لدهش ولكنه صحيح أنه لا يوجد بيان واحد في الحولية يتعلق بالمؤلف نفسه ، ومع ذلك فإن شخصيته تظهر ، مع أنها غير واضحة

فقط بالاستدلال من صفحات حوليته ، وقد أثار هذا التعدد من النظريات بين العلماء ، حتى بالنسبة لجذسيته ، واعتقد لوغنون بان ايطاليا كتب الأصل / هو غاسمول / الذي كتب الترجمة اليونانية الأخيرة ، واعتقد بوشون وهوبف أن الأصل قد كتبه فرنجي ، وأن النسخة الأخيرة كتبها يوناني ، أما كالوناروس فليس متأكدا من الأصل ، مع انه يعتقد أنه كتب بالفرنسية ، وأن النسخة الأخيرة كتبت من قبل غاسمول . ويعتقد شमित أن الأصل قد كتب باليونانية من قبل فرنجي ، وأن النسخة الأخيرة دقيقة وان كانت موسعة الخ

وفي رأيي ليس هناك من شك في أن المؤلف هو فرنجي فلماذا يكتب يوناني وثيقة مضادة بشدة للاغريق بالفرنسية ؟ ولماذا كان علينا أن نفترض أن غاسمول كتبها ؟ وقبل كل شيء ان الذين اقترحوا أن يكون غاسمول هو المؤلف ، غير واضحين تماما في تمييزهم بين النمط الأصلي والنسخة اليونانية المتأخرة ، وثانيا أن كل مانعرفه عن آل غاسمول وهم من نتاج زواج فرنسي يوناني ، في هذه الفترة ، يدل على أن مشاعر غاسمول لا بد أن كانت موالية لليونانية ، وقد رحب بال غاسمول من قبل اليونانيين ، وأعطوا مناصب عليا في البلاط والجيش اليوناني ، ومن جانب آخر إنهم رفضوا تقريبا من قبل الفرنجة ، ومن الصعب في الواقع أن نجد سببا مقبولا لماذا كتب أحد أفراد عائلة غاسمول حولية هدفها الكامل تمجيد مفاخر الفرنجة القدماء وإثارة التنافس بين أبنائهم الذين تحدروا منهم .

ولأن الحولية تفعل هذا بالضبط كما هو واضح على الفور لكل من يحاول أن يعلق بالحواشي على الحولية ، بل لانتاج رواية متألقة عن أعمال الفرنجة الماضين ، وأن يحث مستمعيه على العمل في أيام الانحطاط الفرنجي في المورة ، لقد أراد أن يضرهم من جديد العنف الشبيه بالحرب لحكم غوليوم الثاني . وبالتأكيد إن مثل هذا الهدف والحنين الى الماضي يدل على أن فرنجيا هو المؤلف وعلى أي حال

كان المؤلف فرنسيا تماما في مواقفه وتحيزه ، فالفرنجة دائما يقعون في الضوء المواتي ، وترد البيانات تلو البيانات حول تفوق الفرنجة في الأسلحة والخلق والشجاعة . وفي الحقيقة إن هذه كلها كانت توضع في أفواه أعدائهم من الاغريق ، وتظهر المشاعر النمونجية المضادة للاغريق لدى الصليبيين من الفرنسيين ، مع أن النقد الساخر والعنيف الوارد في هـ والذي لايمكن التفوق عليه في العنف قد أقحم من قبل المترجم ، حيث نجد على سبيل المثال أن الأبيات ٧٥١ - ٧٥٥ - ٨١٦ - ٨١٩ - ٨٢٧ - ٨٤١ و ١٢٤٩ - ١٢٥٥ . مفقوده في الترجمة الفرنسية . ومن الواضح أن المؤلف كان كاثوليكيا متشددا ، مع أنه كان على معرفة بالكنيسة اليونانية الارثوذكسية وطقوسها ، ومع ذلك فهو لم يتحيز الى جانب الاكليروس في كفاحهم ضد الأمير في المورة (٢ ، ٢٦٢٦) ولم يكن رجلا ذا منزلة رفيعة ، لأنه على ما يبدو لم يأخذ بورا فاعلا في أي من الاجراءات التي وصفها ، وعلاوة على ذلك يبدو وكأنه كان يخاف من الألقاب الرفيعة ولايضيع مطلقا فرصة لتسجيلها .

وحتمًا لم يكن شاعرا ، إذ أنه لا يوجد تقريبا أية إلماعات شعرية . وبالأحرى إنه رجل نشر قوي ويعبر عن الفكرة تماما ، وهناك على أي حال نوعية درامية لكثير من الفقرات ، لاسيما تلك التي تعالج إجراءات البلاط ، وتصادم الشخصيات .

وفي هذه فإن الأحاديث ، مع أنها خيالية ، لها رنة الصدق وتدل على شخصية المتكلم ، ويشعر المرء بأن الشخص لا بد أنه تحدث بهذه الطريقة ، والناحية الأكثر إثارة للدهشة في شخصية المؤلف هي اهتمامه الشديد بالعادات الاقطاعية ، في دعاوى القضاء الأعلى ، وصحيح أنه وصف المعارك والتطورات السياسية ، ولكن دائما فعل ذلك بطريقة سطحية خاطفة ، ولديه ميل لاختصار مثل هذا الوصف ، وسروره الرئيس مع ذلك هو في القضاء الأعلى الذي يملأ جزءا غير عادل النسبة في سعته من الحولية ، وهو هنا على

أساس وطنيد . ووصفه للدعاوى والقانون مضبوط بدقة ولديه معرفة دقيقة بالقانون ، ويذكر كثيرا من المواد في قوانين المورة ومن الواضح أنه قد درسها .

علاوة على أنه على ما يبدو قد درس سجلات الاقطاعات في المورة ، وأنه قد استخدم هذا المصدر لبياناته حول مختلف القصور ومؤسستها وانتقال ملكيتها وهذا ظاهر من ميله للخلط بين الاب والابن عندما يحملان الاسم نفسه ، ولا يظهر التمييز بينهما في معظم الأعمال مالم يوقع الأب والابن الوثيقة نفسها ، وعليه فإن الاستدلال هو أنه كان كاتباً ديوانياً أو كاتباً بالعدل في المحكمة ، وهناك نقطة أخرى ، ولو أنها غير مباشرة نوعاً ما ، تميل الى تأكيد ذلك ، فهو يكشف عن ولع غريب بالغموض والمكر طالما أنها في جانب الفرنجة ، وهو على سبيل المثال يعيد السرد بتلذذ واضح للطريقة التي سلب بها روبرت من ميراثه الحق (انظر فيما يلي ص ١٣٥ - ١٤٢) وفي الزمرة نفسها خطف وزواج ابنة الامبراطور / روبرت / من قبل الأمير / جيوفري / وخرق / غوليوم / الثاني لمعاهدته مع ميكائيل بالايولوجوس الخ

وهكذا تظهر صورة مؤلف الحولية الأصلية ببطء ، وبانذاره بتراجع وانهايار بيت آل فيلهاردين بسبب السلسلة الطويلة من الكوارث التي دمرت رخاء المورة ، في الحروب التي دمرت المقاتلين فيها ، وبسبب التدخل الأجنبي الذي كان يهدد وجودها ذاته ، تولى هذا الكاتب بالعدل الفرنجي ، ذو المنبت الوضع ، والذي كان مع ذلك متوافقاً مع عرقه وكنيسته تولى مهمة هز أقرانه من الفرنجة من فتورهم ، والهامهم بأن يعيدوا في قرنهم الأعمال المجيدة التي أدت الى الاستيلاء على اليونان بهذه السهولة قبل ذلك بقرن كما في تقاليد أناشيد الأعمال ، وأنتج هو أيضاً أغنية ليست بالخيالية حول أبطال الأساطير والتنين ، بل واقعية عن الفرنجة وأعدائهم ، وحوليته الحقيقية وان تكن مزينة بشكل مقبول ومفهوم تتراوح بين القوة

والاعتدال ، وهي معقولة مفهومة معترف بها ، سمحة التفكير كالفرنجة الذين تصفهم ، وتضم مع كراهيتها بعض الاحترام والتسامح تجاه أعدائهم .

الحولية اليونانية

ان هذه الخصائص مع ذلك فقط بالنسبة للرواية الفرنسية الحولية والحولية اليونانية أمرا آخر تماما ، ومع أن الأصل قد يبقى ممكن التمييز في صفاتها فان الانحياز العنيف المضاد للاغريق وللارثوذكس للمترجم يغير النغمة تماما ، ومن الواضح جدا أن نمطا مختلفا من الشخصية قام بالعمل

المؤلف وعمله .

لا شيء معروف بالمرّة عن المترجم اليوناني أكثر من حقيقة أنه كان على صلة وثيقة بالكنيسة الكاثوليكية وكان على درجة مساوية من الكراهية الشديدة للاغريق ، والقليل جدا فيما عدا ذلك يمكن الاستدلال عليه من اضافاته سوى انه كما ذكر أعلاه ، أنه ربما كان عضوا في بلاط إيرارد الثالث ويفترض عادة بأنه كان من الغاسميول لجرد أنه كان يكتب باليونانية . وأسبابي للشك بأن الكاتب الأصلي كان من الغاسميول هي أكثر إمكانية حتى للتطبيق في هذه الحالة ، وبالتأكيد حوالي نهاية القرن الرابع عشر ، عندما كان واضحا أن العصيان الاغريقي لا يمكن تفاديه وكان دائما واضحا بالقدر نفسه ان أيام حكم الفرنجة في المورة معدودة ، فإن أحد آل غاسميول الذي تم الترحيب بهم بحرارة من قبل الاغريق صعب أن يقف في جانب الخصوم من الفرنجة في ذلك الحين ، مع أن المرء بالطبع قد يفعل ذلك .

وان تفسيراً يعرض نفسه يكمن في فحص اسباب ترجمة الحولية

الى اليونانية في المقام الأول ، وقد تساءل شमित لماذا تترجم مثل هذه الحولية الى اليونانية ؟ والسؤال الأصح يجب أن يكون لماذا لا تترجم ؟ أن التمثل الثقافي للفرنجة من قبل المقهورين الاغريق كان سريعا بشكل يثير الدهشة وفي زمن غوليوم الثاني الذي كان من أول جيل ولد في اليونان ، وكان يتكلم اليونانية بطلاقة ، أن قسما كبيرا من الفرنجة كانوا يتحدثون بلا شك بلغتين ، ويذكر غوليوم بشكل خاص على أنه كان يتكلم اليونانية (١ ، ٤١٣٠) ومن المهم أن الحولية تذكر هذا على أنه شيء من الانجاز ، ويذكر اليونان هذا ببساطة كحقيقة ، علاوة على أن الاغريق كثيرا ماكانوا يحتاجون ك مترجمين ، وكان الجيل التالي يتكلم كله اللغتين ، وبقيت اللغة الفرنسية مع ذلك لغة ضرورية وفعالة ، للقادمين الجدد الذين لم يكونوا يعرفون اليونانية ، وكانوا يفدون باستمرار الى المورة (انظر ١ ، ٨٣٢٠) وعندما كان على الوافد الجديد جيوفري دي برويير أن يستخدم إغريقيا ليكتب رسائله . وكانت الروابط مع أوروبا الغربية ماتزال قوية وكانت هناك رحلات جيئة وزهايا .

وهكذا إن الحولية قد كتب أصلها على نحو صحيح بالفرنسية . وفي مجرى المئة سنة التالية ، على أي حال تبدلت الحالة بقوة وجعلها تردي المورة أقل بكثير من موطن اسطوري .

والآن أصبح القليل يأتي الى المورة بحثا عن حظه ، وتضاعف الزواج الداخلي المتبادل أضعافا كثيرة ، واستمر التمثل الثقافي الطبيعي حتى يمكن القول بأمان أن اليونانية كانت اللغة الطبيعية للفرنجة في المورة بحلول نهاية القرن الرابع عشر . وفي الحولية ثلاثة إلماعات الى جيوش مكونة من الفرنجة والاعريق على اعتبار أنهم يتكلمون لغة واحدة (٢ - ٣٨٠٤ - ٣٩٨٦ - ٤٧٢١) وإذا كانت هذه البيانات جزءا من الحولية الأصلية ويعود تاريخها الى نحو ١٣١٠ ، فيحتمل أنها فقط أدلة أكثر على انحياز المؤلف الموالي للفرنجة ، وهو ببساطة أغفل حقيقة أن الاغريق كانوا

موجودين من أجل المحافظة على اللاحاح على الفرنجة (انظر أدناه
رقم ٦٦ ص ١٨٤) .

وإذا اقحمت هذه البيانات مع ذلك من قبل الكاتب الأخير حوالي
١٣٨٨ ، إن تفسيراً جديداً مختلفاً تماماً قد يقوم عليها ، وفي هذه
الحالة طالما أنه صحيح أن لساناً واحداً - أعني اليوناني - كان
لغة الاغريق والفرنجة في ذلك الوقت طبق المؤرخ ببساطة المقارنة
التاريخية على زمن مضى ، وهي حالة كانت صحيحة في زمانه ، وفي
كلتا الحالتين تبقى حقيقة أنه بنهاية القرن الرابع كان هناك من
الفرنجة من يتكلمون اليونانية كلية أكثر من ذوي اللغتين ، وفي مثل
هذه الحالة إذا أراد المرء أن يقدم حولية فرنسية للفرنجة كان عليه
أن يترجمها الى اليونانية وهذا بالضبط ما فعله كاتبنا .

والسبب في أنه قرر أن يوفر حولية المورة لهاصريه ليس صعب
التخمين جدا ، وهي بالضبط الأسباب نفسها التي حدثت مؤلفها
الأصلي على كتابتها قبل جيلين - مع فرق واحد هو شدتها
ونغمتها ، والتطورات التي أربعته أصبحت حقائق وبعضها مضى
عليه زمان طويل ، وقد اختفى الفرنجة تقريبا من المورة كشعب
بالاتمئل وكأمة ، بالغزو والامتصاص . ورغب الكاتب الأخير
بالأهداف نفسها كسلفه ، ولكن كان فيها نغمة إضافية من اليأس ،
ولاحظ الاقحام في السطور ١٥٨٧ حيث ينذر بمجيء السيطرة
الانجفينية إلى المورة . وحيث أنه يرى أمامه النتائج الواضحة
لتراجع قوى الفرنجة ، فتصويره لخصائص مجدهم الماضي يصطبغ
بالاحباط المتطرف ، وكي يرفع تأثيره على الشعور المعتدل نوعاً ما
المضاد لليونانيين في الأصل ، إلى شجب يكاد يكون هستيريا ،
ويقابل الفرنجة الفاضلون الذين لا يقهرون باليونانيين الجبناء
المخادعين العاجزين . فإن الحقائق التي قدمها ولم تتوافق دائماً مع
هذا التصوير كانت لاتينية ، ونجد على سبيل المثال أن الحولية في
أحد المواضع (١ ٤٢٠٧) تقول عن ميكائيل باليولوجوس : « مثل
هذا الرجل الحكيم الذليل كما كان » وفي موضع آخر : (١ -

(١٢٤٥) « انتبه للظلم والاثم الذين ارتكبهما هذا الخسيس » .
وماحدث واضح ، بينما سعى الكاتب الأول إلى إحياء القوى
الفرنجية مع بعض التأكيد بأنها يمكن أن تعود ، تخلى الكاتب التالي
عن مثل هذا الأمل ، وهو يعلم أن الوقت قد فات .

وهو يعرف أيضا أن الأغريق مطمئنون إلى النصر النهائي ، ومن
هنا كراهيته التي خرجت عن السيطرة والسخرية فيها أنه قد تراجع
إلى استخدام لغة هؤلاء اليونانيين ذاتهم حتى يتسنى للفرنجة أن
يفهموه .

وهكذا يبدو لي أنه لشرح الطبيعة المزدوجة الحولية وتضاربيها
الداخلي يجب أن نفترض أن كلا المؤلفين كانت لهما أهداف متماثلة
من الكتابة ولكن مضى مايزيد على جيلين من الأحداث المضطربة
وحتى المفجعة في المورة قد أحدث إحباطا وبأسا لدى المؤلف الثاني ،
أدى إلى تحريف الحولية الأصلية .

القيمة التاريخية

وعلى الرغم من هذه الطبيعة المزدوجة ، فإنه مازال يجب أن تعد
الحولية اليونانية مصدرا تاريخيا هاما ، طالما أن الرواية الفرنسية
هي ملخص فقط . والرواية الاغريقية هي الوثيقة الوحيدة التي
لدينا ، والتي تعطي رواية قائمة جديرة بالثقة لتأسيس النظام
الاقطاعي في اليونان في القرن الثالث عشر ، وهي علاوة على ذلك
المصدر الفرنسي الرئيسي للتاريخ الفرنسي - اليوناني . هذا مع
حقيقة أنها قد كذبت بعد وقت قصير جدا من وقوع الأحداث التي
تصفها يجعلها عالية القيمة ، حتى مع أنها كعمل تاريخي قد تخطيت
بكثير بعمل سانودو وأعمال المؤرخين اليونانيين المعاصرين ، وإنها
مع ذلك يجب أن لاتدرس من أجل الرواية فيها في المقام الأول ، مع
أن هذه هي مصدرنا الوحيد من أي نوع لكثير من الأحداث ، بل
للذبصر الذي توفره لنا في مؤسسات العصور الوسطى والعادات

الاجتماعية ، وبدلاً من المناقشة بالتفصيل في جدارة الحولية كرواية تاريخية ، أحيل القارئ إلى الصورة التاريخية المقدمة أعلاه وإلى التعليق في الحواشي ، وهذه مع النص تتحدث عن نفسها ، ويكفي هنا القول أن الرواية هي من نوعية متفاوتة الجودة . فأجزاء منها زائفة تماماً ، وأجزاء مشوشة بشكل يبعث على اليأس ، وأجزاء أخرى نوعاً ما لا يمكن الاعتماد عليها ، في حين أن أقساماً معينة هي بالكامل هكذا ، وهذا يعكس حقيقة أن الحولية تعتمد على مصادر من نوعية غير مستوية . وكوثيقة اجتماعية ، مع ذلك إن الحولية رائعة ، وتكاد تكون فريدة ، وفي صفحاتها يصور النظام الاقطاعي في يونان القرن الثالث عشر بطريقة تنبض بالحياة ، ونرى خطوة بخطوة تقريباً كيف أدخل النظام الاقطاعي إلى اليونان ، وكيف وزعت الأراضي بين الفزاة ، وكيف بنيت القصور والقلاع ، والعلاقات المعقدة بين الأقطاعيين وأتباعهم وأمرائهم ، قد تم القاء الضوء عليها في كل أجزاء الحولية ، ونحصل على صورة واضحة عن العلاقة بين الكنيسة والدولة في المورة ، والأهم عن العلاقة بين الفرنجة والاغريق ، والاندماج الناتج بين المؤسسات الغربية والشرقية ، والناحية المبهرة في الحولية هي النظرة المفصلة التي تعطىها للإدارة في النظام الاقطاعي وهي قيد العمل ، وهكذا نكون حاضرين في كثير من تفصيلات القضاء الأعلى ، ونستطيع أن نتتبع من خلال كل تقنياته أهم المناقشات القانونية التي شكلت التاريخ الموري ، ونقف كشهود عيان لمجالس الحرب ونشهد مقارعة الفرسان وحفلات الفروسية والمعارك ، والحصار ، ومفاوضات الصلح ، ونرقب استئجار تابع لأقطاعية من الاقطاعيات وتجريد آخر منها ، وباختصار إن الحولية اليونانية هي نسيج مزخرف غني يصور بكل الحيوية الحياة الاجتماعية للعصور الوسطى .

خلاصة

وبإيجاز يمكن إذا للمرء أن يقول إن الأدلة تسمح لنا أن نذكر بالتحديد أن أنشودة تاريخ أعمال فرنسية تدعى غزو القسطنطينية

والامبراطورية البيزنطية وأراخي إمارة المورة قد تم نظمها بين ١٣٠٤ و ١٣١٠ ويحتمل حوالي ١٣١٠ وقد تم تداول هذه الحولية في ترجمات مختلفة كل منها أعدت من قبل شخص مختلف ، يعكس في معالجته للأصل شخصيته الخاصة وميوله ويضيف إليها حوادث تالية ليصل بالرواية إلى زمانه ، وأول تلك التي نعرفها قد تم تأليفها بين ١٣٣٣ و ١٣٤٦ ويحتمل أكثر في وقت ما بين ١٣٣٨ و ١٣٤١ ، إنها باختصار دقيق واقعي ومباشر يلتزم بدقة باللغة الأصلية للنص ، ويقدم نوعا من خلاصة الوقائع في تاريخ المورة في القرن الثالث عشر ، ربما لمنفعة كاترين دي فالوا واستخدامها وبالتأكيد لبعض مثل هذه الشخصيات ، فالرواية لم تعد للاستعمال العام ، بل من أجل المعلومات الخاصة لرجل الادارة .

والرواية التالية من العمل قد تم نظمها في حوالي ١٣٨٨ من قبل كاتب فرنسي كان يتكلم اليونانية ، ترجم الأصل إلى العبارات الاصطلاحية والأسلوب المميز لمنفعة الفرنجة المتكلمين باليونانية ، وقد كتبت شعرا ، حتى يمكن أن تقرأ أو تسمع عند تلاوتها ، كما ذكر بوضوح في الحولية نفسها ، وقد أخذ الكاتب حريات واضحة واسعة في الفصل الأصلي ، وتتميز روايته بكثير من الإضافات وأعمال الحذف وتفسير إضافاته بالرواية حتى عام ١٣٨٨

وكتبت رواية أخرى في ١٣٩٣ . وهذه المرة اراغونية ترجمت عن الرواية الثانية ، وهي مختلفة تماما عن كل الأخريات في أنها محاولة جدية للتاريخ مستخدمة مختلف المصادر الأخرى لاصلاح الحولية نفسها وتعديلها .

وظهرت رواية خامسة متأخرة نوعا ما عن ١٣٨٨ ، ويحتمل أن يكون بقرن أو أكثر ، كما اعتقد شमित . وكان ذلك من قبل كاتب إغريقي ضليع ، كتب للمستمعين اليونانيين . ويحتمل أنه في ذلك الوقت كانت الترجمة اليونانية للحولية على الرغم من تنفيذها تعتبر كمثال هام لرومانسيات الأغريق في العصور الوسطى ، كتبت بلهجة

شعبية ، وكان تطورها بلا شك تحت تأثير الأدب الغربي ، وهذه الرواية هي مراجعة للرواية اليونانية ، وبالنسبة لمستمعها هي عملية طمس عنيفة للانحياز القوي المضاد للأغريق في الرواية المتقدمة ، وليست هناك محاولة لتابعة الرواية التاريخية ، ووجهة النظر هي مجرد أدبية ، وتلا هذه الرواية في أوقات مختلفة أربع أخرى على الأقل على حد مانعرف ، واحدة بالايطالية وثلاثة باليونانية ، ولكن بما أن هذه مجرد نسخ مترجمة وهي جميعا سيئة التنفيذ فإنها قليلة الأهمية .

الترجمة الراهنة

عن الطبقات الحديثة المحققة للحولية اليونانية ، وتميز تلك التي نشرت من قبل شملت في ١٩٠٤ نقطة عالية ، ليس فقط في حولية المورة بل في تحقيق جميع حوليات العصور الوسطى اليونانية ، ومكنته دراسته المتسمة بالمثابرة لكل المخطوطات المتوفرة للحولية ومعرفته العميقة لتطور يونانية العصور الوسطى من إعطاء التفسير الموضح للنص في مجموع هافنيسيس ، وطبعته هي الأكثر نفعا لأنها تنطوي على تحقيقه الرائع للنصوص الباريسية والتورائينية أيضا ، ومع ذلك فإن الفهارس في نهاية المجلد ليست لسوء الحظ بالكفاءة نفسها . إن التعريف التاريخي بالناس والاماكن قد قام على ثقافة القرن التاسع عشر ، وكنتيجة هي بحاجة لمراجعة كثيرة في ضوء ثقافة أكثر حداثة ، والأكثر أهمية مع ذلك هي محدودية مسرده اللغوي من الكلمات اليونانية ، وهذا المسرد غريب بدرجة كافية بالنظر لمعارف شملت العميقة التي لا شك فيها باليونانية إلا أنه يحوي الكثير من سوء الترجمة ، والترجمة الخاطئة للتعبير اليونانية للعصور الوسطى ، وعلى العموم استند شملت بقوة على معرفته باللهجة التقليدية العتيقة وبدرجة أقل بكثير على اللهجات في العصور الوسطى والحديثة ، والظاهر أن معرفته هذه كانت محدودة بدرجة اكبر .

وبالنظر لهذه العيوب وبناء عليه فإن طبعة جديدة من الحولية كانت مطلوبة منذ بعض الوقت ، مع أن النص كما قدم من قبل شमित يقر بعدم وجود أي تحسين تقريبا .

وطبعة كالوناروس التي ظهرت في عام ١٩٤٠ كان يقصد بها تلبية هذه الحاجة ، وقد ظهر نقد كثير لهذا العمل ، بعضه مسوغ ومعظمه لا مسوغ له ، وقد استخدم كالوناروس مع تبديل صغير النص كما قدمه شमित ، الأمر الذي كان طبيعيا حيث أن عمل شमित في النص كان موثوقا ، والاسهام الهام للعمل الجديد هو تصحيحه لمسرد الفاظ شमित وفهارسه ذلك أن عملا مكثفا في لغة الحولية قد تم منذ أواخر القرن التاسع عشر ، لاسيما من قبل العلماء اليونانيين مثل داراغونيس وأدامانتيوس وفوريكيس وهاتزيداكس وجمهرة من الرجال الأقل شهرة ، الذين ظهرت أعمالهم في الصحف اليونانية وهي دائما مألوفة للعلماء الأمريكيان ، وهذا العمل على أكبر درجة من الأهمية في دراسة النص ووصف اليونانية للفترة الفرذكو - يونانية ، وقد أدى كالوناروس الذي قرأ بتوسع هذا الأدب خدمة عظيمة بإخراج طبعة من الحولية تضم هذه المعلومات الجديدة في حواشٍ ذيلية موسعة ، وتعزيفه بأسماء الأماكن مهم بشكل خاص ، ومع ذلك إن بالطبعة خصائص معينة سيئة الحظ تحد من نفعها نوعا ما ، أولا بالنسبة لوقائعها التاريخية ، اعتمد كالوناروس بدرجة كبيرة على أعمال أقدم بينها أعمال لامبروس وباباريغولوس ، ومستنده الأحدث هو زكيتيدوس ، وأكثر ما يدعو للأسف أنه لم يدخل أعمال لوغذون اللازمة ، الذي راجع بشكل كامل الترتيب الزمني لكامل الفترة ، وثانيا أن الطبعة قد شوهت بفراط الأخطاء المطبعية ، التي ألت بالتواريخ وبأرقام الصفحات الخ والتي تسبب التشويش ، ثالثا هناك ثبوت مصادر يعرج بالأغاليط ، وتحوي قائمة المراجع الأعمال ذات القيمة المعترف بها فقط ، وهي لاتضم الأعمال الأحدث التي تذكر في الحواشي ، وهذا الذكر كثيرا جدا ما يحذف تاريخ ومكان النشر والصفحة الصحيحة للمرجع وأحيانا حتى العناوين .

ومن أجل قراءة الحولية مع الفهم بلغتها الأصلية ، وبالنظر لمحدودية الطبعتين إن على المرء أن يستعملهما معا مع المراجع الدائمة المفترضة ، وحيث أن طبعة جديدة من العمل تبدو غير محتملة فإن هذا الاجراء المربك سيبقى في كل الاحتمالات غير ضروري وهو الاسلوب نفسه الذي كان علي اتباعه في القيام بهذه الترجمة وخلالها استخدمت كلا النصين مع إشارة دائمة الى الروايات الأخرى للحولية أيضا ، وحيث أنني شعرت أن ملاحظات كالوناروس كانت عظيمة الأهمية ، وحيث أنها غير متوفرة بشكل جاهز للقارئ الذي لامعرفة لديه باليونانية الحديثة ، أدخلت منها في ملاحظاتي كل ما أمكنني تحقيقه ، وفي معظم الحالات لم أشر الى هذا بالطريقة المعتادة ، لأنني شعرت بأنها ستثقل الحواشي التي كانت بالفعل موسعة ، والاستثناء لهذه القاعدة كان بالطبع تلك الأماكن التي كنت أشعر بأن التصحيح فيها كان ضروريا .

ولابد من قول بعض كلمات أخيرة حول الترجمة نفسها : تظهر هذه الحولية خاصة كثيرا من الصعوبات للمترجم ، وهذا صحيح حتى بالنسبة لأسلوب النقد اليوناني البسيط للقرن الرابع عشر ، ولكنه صحيح بشكل خاص بالنسبة لهذا النص ، الذي تتكون لغته من مزيج من الألفاظ اليونانية التقليدية ، واللهجة اليونانية للعصور الوسطى ، وفرنسية العصور الوسطى ، علاوة على أنها مكتوبة بالشعر (ومن أجل تحليل موثوق للنظم ، يحال القارئ الى مقدمة جون شميت حولية المورة ، حيث يتم تحري الأمر بشكل شامل) وفوق كل شيء إن النص فرنسي تماما في الروح والصورة الأدبية ، وهو يوناني كما يقول شميت ص ٤٣ في اللغة فقط .

وفي مواجهة مثل هذا النص ، يجب أن يكون هدف المترجم واضحا منذ البداية الأولى ، حيث يمكنه المحافظة على الترابط خلالها ، وكان هدفي المتحكم هو تزويد القارئ الناطق بالانكليزية ، الذي لايعرف اليونانية بترجمة أقرب مايمكن من النص

الأصلي ، وهذا كما شعرت ذو أهمية عالمية ، أولا لأن الحولية مصدر تاريخي هام لم يترجم مطلقا من قبل باستثناء محاولات بوشون غير الوافية وثانيا لأنه مثل باهر للأدب الفرنكو - اليوناني في القرون الوسطى ، وثالثا لأن لغتها بالقدر نفسه الحياة الاجتماعية التي تصفها تلقى الضوء على ثقافة العصور الوسطى .

وبناء عليه حاولت أن أعيد الأخراج بالانكليزية بأعظم ما أستطيع من الدقة وهذا يعني أن ترجمتي هي بأكبر تأكيد ليست ما يجب أن اعتبره حولية انكليزية جيدة الكتابة بالشعر ، ولسوء الحظ أنني لست شوسر ولم يكن مؤرخي هوميروس ونصصة مليء بالتكرار ، وتقريبا بالافراط الحمل ، وقواعد اللغة مروعة بالنسبة لأية متابعة يونانية ، ولقد تقوض تركيب الجمل ، والأسماء الموصولة قد اختفت تقريبا ، والترادف من النوع الأكثر إثارة الدهشة ، يجري خلال النص كما يفعل السحر ، وأصبح التنقيط التغيير الدائم للفواصل ، والفواصل المنقوطة مع فترات دورية معترضة ، ولكن هذه هي خصائص النص ، ولقد شعرت أنه لتغييرها وتصحيح أخطاء القواعد ، واستبعاد التكرار واستبدال المرادفات وباختصار تحويل هذا النص السيء الكتابة ، وإن يكن نابضا بالحياة إلى أدب مصقول سيكون أساءة لعرضه تماما ، وحتى قد يقول المرء ، تدميره بدلا من ترجمته وسيجد القارئ أن علامات التنقيط في هذه الترجمة لا تتوافق مع أفضل استعمال للغة الانكليزية ، ولاحتى الأسلوب ، وكثير من الفقرات تتميز بترادف مدهش وأحيانا مربك في أية لحظة ، وأنا مدرك تماما لهذه الخصائص ، ولكنني شعرت أنه بهذه الطريقة فقط تظهر ذكوة للأصل ، ولهذه الغاية وزنت كل كلمة وحاولت استبدالها بكلمة انكليزية بالشدة نفسها والدلالة ، وترجمت الكلمات الفنية بأفضل مقابل لها بالانكليزية وأعطيت الكلمات الأجنبية بأصولها .

والأهم أن الكلمات البسيطة الأكثر تعدادا قد أعطيت بإنكليزية بسيطة وهنا إن الإغراء بتغيير الأصل ربما كان الأقوى ، وسيجد

الكاتب ايضا أن العلامة المعتادة للمترجم وإضافاته بين قوسين ، قد أقيمت في حدها الأدنى ، وكان قصدي في كل هذا أن أجعل من الممكن للقارئ غير القادر على قراءة الأهل باليونانية أن يقرأ المقابل الانكليزي بأقرب ما أمكنني فعله ، وأرجو أن أكون قد نجحت ببعض المقاييس ، لأن السرور بقراءة هذه الحولية اليونانية فريد وجزيل الجزاء .

obeikandi.com

تاريخ المورة

مجموع هافنسييس ٥٧

oboiyadi.com

(٢٣-١) سأخبركم بقصة عظيمة ، فإذا أصغيتم إلي ، أرجو أن تسركم ، عندما كانت السنة (٦٦١٢) منذ خلق العالم (٢) بهذه الكثرة ولا أكثر (وقعت الأحداث التالية) : خلال التعاون والحماس ، والجهد العظيم وتعب الأخ بطرس الناسك ذو الذاكرة المباركة (٣) ، الذي انطلق إلى بلاد الشام للتعب في القدس عند قبر المسيح ، ووجد أن المسيحيين ، وحتى البطريرك الذي كان يخدم هناك عند القبر المقدس قد أهينوا من قبل غير المعمد ، أولئك السراسنة الذين كانوا سادتها ! وعندما كان البطريرك يحتفل بالقداس ويرفع عاليًا الأشياء المقدسة ، كانوا يمسكون به بعنف ويلقون به أرضاً ، وإذا كان شجاعاً جداً ليواجههم بالكلام كانوا يطرحونه فوراً على الأرض ، ويضربونه بشدة .

وبرؤية هذا (٤) كان الناسك القديس مضطرباً بدرجة كبيرة ، فبكى وحزن وقال للمسيحيين وللبطريرك كمسيحي أورثوذكسي أقسم لكم وأقول : إذا كان الرب يسمح أن أعود إلى الغرب ، فإني سأذهب شخصياً إلى البابا بالغ القدسية ، وإلى كل الملوك لأنبئهم بما رأيت ، وأمل برحمة المسيح أن أحركهم للقدوم مع (٢٤ - ٥٩) جيوشهم إلى هذا المكان لطرد السراسنة من قبر المسيح . وعاد وهو يندب بشدة وذهب إلى روما ، وروى للبابا ما سمع ورأى ، وبكى البابا (٥) عند سماعه لما روى ، بكى طويلاً وبشدة ، وكان عميق الحزن ، ثم أمر على الفور بكتابة رسائل إلى سائر الممالك ، وأرسل الكرادلة والمطارنة والأساقفة إلى مملكة فرنسا ، وأيضاً إلى الأراضي الأخرى حيث يوجد مسيحيون وحيثما كانوا يحكمون ويسيطرون يباركهم ، وهذه هي الدعوة التي أرسلها إليهم : كل من يذهب إلى الشام إلى قبر المسيح سينال العفو الفوري عن أثامه مهما كان قدر ما اقترفه منذ ولادته وحتى الآن .

وحالاً سمع كل قادة الغرب هذا هبوا لطرد عرق البرابرة وكان تحشد المسيحيين عظيمًا ٠٠٠ ر ٨٨ فارس تجمعوا وتجهزوا و ٠٠٠ ر ٨١٨ من المشاة التابعين لهم ، وعبروا إلى هناك عن طريق

القسطنطينية إلى بلاد الأناضول (٦) التي كان يملكها الأتراك والتي هي الآن قاعدة للأغريق ، وإذ رأى اليكسيوس فئاتزس (٧) حشد الفرنسيين ، عقد اتفاقا موثقا بالقسم وأبرم معاهدات مع القادة : إذا وهب الرب وطردوا الأتراك من أراضي الأناضول التي كانت الولاية (٨) الموروثة بالملكية ، وإذا سلموا له الأرض والحصون فإنه سيذهب معهم إلى سورية بشخصه وأنه سيأخذ معه ١٢٠٠ ر ١٢٠٠ فارس ، والآن والفرنجة كرجال صادقين في كل شيء صدقوا كلمات الملك وأعطوه قسمهم . وقد حافظ الفرنجة الذين أقسموا على أيمانهم وبعبرورهم إلى آسيا الصغرى غزوا الأرض (٩) وسلموها على الفور لاليكسيوس فئاتزس الذي كان في هذا الوقت ملكا (٩٠ - ٩١) لكل رومانيا (١٠)

والآن عندما تسلم القلاع والمدن عقد مجلسا استشاريا سريا مع أركانه (١١) من النبلاء حول أية ذريعة يمكن أن يجدها للانسحاب من الحملة الشامية ، وعدم القيام بأي مخاطرة . ثم اجتمع الملك مع الأمراء والذقباء والقادة في جيش الفرنج وتكلم بهذا معهم ، وهذا ما قاله لهم : « أولا أشكر الرب ، وأشكركم ثانيا أيضا لأنكم ساعدتموني وقد استعدت ولا يأتي الموروثة ، ثم التمس منكم ، أن يكون بمشيئتكم أن تعطوني شهر زمان أتخلف فيه لأمون القلاع التي ربحتموها ، وحتى أعد جيوشي للذهاب معي ، وسأكون مستعدا بسرعة لامضي إلى هناك لأجدكم » والفرنجة كمسيحيين لم يكن لديهم شك في وجود خدعة ، قد صدقوا قوله واستأنزوا منه واجتازوا أرمينيا ، وذهبوا إلى انطاكية وتخلف الملك ، لقد خدع الفرنجة وأخل بيمينه الذي أقسمه وأخفق في الالتزام به ولم يذهب معهم كما تعهد لهم . انظر هذه الجريمة التي ارتكبها هذا الملك ، لقد لأمه واستهجن فعله رجال العالم كلهم ، وعندما ذهب الفرنجة إلى انطاكية ، تعرضوا لكثير من الصعاب قبل الاستيلاء عليها (١٢)

والآن وقد أخذوا مدينة انطاكية أمضوا الشتاء هناك حتى شهر آذار ، ومن هناك خرجوا إلى الأماكن السورية وهم ينهبون ويستولون على المدن والقلاع . وخاضوا معارك كثيرة مع العرق

البربري ، كما وجدناه مكتوبا بالتفصيل في كتاب الاستيلاء (١٣) الذي وضع في ذلك الوقت في سورية ، وإني أكتب هذه الأشياء في الحقيقة حتى تعلموا (٩٢ - ١١٥) ولكن بشكل ملخص ، لأنني أحاول العودة إلى قصتي .

والآن وقد توغلوا بعيدا في سورية ذهبوا مباشرة إلى القدس وحاصروا المدينة ودخلوها ، وعندما وصلوا إلى قبر المسيح قدموا الشكر وأنشدوا الأناشيد للصانع والخالق ، وتشاور القادة حول من يجعلوه ملكا ، وكان هناك متنافسون كثيرون (حول هذا المنصب) لأنه كان لهم مجدا عظيما ، ولكن الأكثر حكمة والعموم منهم اختاروا غودفري دي بوليون (١٤) ملكا ، لأنه كان الأحكم والأكثر فضيلة بينهم جميعا ، وجعلوه أميرا وملكاً على سورية (١٥) والآن إنه كرجل حكيم قبل الحكم ولكنه لم يتنازل بأي حال عن رفض أن يضع التاج الذهبي فوق رأسه قائلا أنه لم يكون جديرا به كما أنه ليس مناسباً أن يتوج رجل خطأ هناك حيث توج المسيح بتاج من شوك .

والآن بعدما بدأ سادة حكم الاقطاع الفرنجي في الانتشار في مملكة سورية ، كما أخبركم ، لم تمض خمس سنوات أو عشر حتى شرعت حشود هائلة من مملكة فرنسا (١١٦ - ١٣٨) وانكلترا ومن مختلف الممالك الأخرى في الغرب مع كل الذين يحبون المسيح وكانوا يلتهمسون التقوى ، وأعداد كبيرة من الفقراء والأغنياء (بكثافة عظيمة) مع القوات التي لم تتمكن من العبور (بسبب نقص السفن) شرعت بالذهاب إلى سورية حيث قبر المسيح ، وكانوا يذهبون إلى هناك مع عائلاتهم ويستوطنون ، بعضهم للعبادة وآخرون سعيا وراء المجد .

والآن وقد مرت مئة سنة كاملة منذ جرى ذلك العبور كما أخبركم كانت السنة في حينه ٦٧١٦ . منذ خلق العالم (١٦) هكذا كان رقم السنة ، والذي أولئك الكونتات الذين سميتهم هنا مع بعضهم

بعضاً ، ومع رجال أعظم منهم من الغرب ، أو أدوا معاً القسم ، وانضموا إلى الحملة ليقدموا بها معاً إلى أرض سورية ، وإلى القدس إلى قبر ربنا (١٧) (١٣٢ - ١٦٤) وكان الأول هو بلدوين كونت فلاندرز ، وكان الثاني يدعى كونت شامبين ، وكان الثالث كونت طولوز (١٨) والآن فإن العديد من القوات والاعلام (١٩) التي كانت في هذا الاجتماع وتلك الحملة ، لا يمكنني أن أعدها بسبب الكتابة الكثيرة (التي تتطلبها) وتشاور كل القادة معاً حول من يكون قائداً على الجيوش ، وبناء عليه اختاروا الكونت الشامباني لأنه كان أكثرهم دماثة في الخلق ومهارة في استعمال السلاح ، وكان شاباً في الخامسة والعشرين ، وبناء على دعوة القادة جميعاً قبل المنصب ، واخذه متلففاً ، ثم قرروا بالتشاور ان يذهبوا كل الى اراضيهِ للاستعداد للحملة ، وفي السنة التالية في بداية نيسان يجتمعون معاً للذهاب الى سورية .

وعندما تفرقوا ، ذهبوا الى اراضيهم ، ولم يكن قد انقضى شهر أو شهران بخرابهم كان أن توفي الكونت ، ذلك الرجل الرائع ، الكونت الشامباني وتفجر الحزن والنواح بين جميع الحجاج وبسبب شدة أساهم كانوا على وشك التخلي عن الحملة والعبور ، تمنع في الشر الذي حل بموت الكونت . ثم حيث أن الرب أراد أن تسير الحملة ، وحتى لا يتردد هذا العدد الكبير من الرجال العظام بسبب الشك ويتخلفوا ويتخلوا عن هذه الرحلة الطيبة ، ظهر من بينهم فارس صالح ، وكان رجلاً نبيلاً وحكيماً فوق التصور يدعى جيوفري وكنيته فيلهاردين (٢٠)

وكان مارشالا كبيراً لشامبين (٢١) . وكان الناصح (٢٢) والمستشار الأول (١٦٥ - ٢٠٩) لكونت شامبين طيب الذكر ، الذي نصحه بالقيام بالحملة. وعندما رأى حكم القضاء ، بموت الكونت ، تولى امر تلك الحملة. وقد اُفتى كرجل حكيم بأنه سيكون أثماً اذا تم التخلي عن الحملة وتحرير المسيحيين بسبب موت رجل واحد ، وسيكون موضوعاً للوم والاستهجان.

وأخذ اثنان من فرسانه من المجلس وترك شامبين وذهب الى فلاندرز حيث وجد الكونت بولدوين شفيد الأسى للموت الذي قضى على كونت شامبين ، وعندما ندبته الاثنان معا ، واجبه السيرجيوفري كرجل حكيم الكونت ، وكان يعرف الكثير مما يقال والكثير مما يشير به حتى أنهما صمما من جديد على أن تنفذ الحملة ، وبعد أن قرر أن ينفذها ، أعطاه كونت فلاندرز فارسا ليصحبه الى كونت طولوز ، وأخذ الطريق على الفور وذهب الى بروفانس ووجد الكونت محزونا ، وكان بالغ الأسى من جانب على وفاة كونت شامبين ومن الجانب الآخر كما قال بسبب الحملة التي تم التمهيد بها ، وكان قد تأنى تماما ثم أن السيرجيوفري الرجل الحكيم بدأ في تهديته ، وأعلمه بأن الكونت بلدوين أمير فلاندرز رغب وعزم من جديد على تنفيذ الحملة ! ولهذا السبب أرسل الى هنا هذا الفارس معي أيضا ، وإني معه لاعلمكم (برغبته) بأنه إذا كنت تريد أن تجتمعا في أي مكان تقررانه ، وأن تكتب للاخريين من المرتبطين بالقسم نفسه حتى يحضروا هم أيضا معكما لتجتمعوا معا لتحددوا وما عليكم أن تفعلوه.

والآن إن كونت طولوز كرجل حكيم ، وقد سمع كلمات واقتراحات السيرجيوفري ، أذن ودخل في خطته ، ثم قررا أن يلتقيا ، لماذا يجب أن أخبركم بالتفاصيل الكثيرة إذ ربما تملون؟ لقد التقى الكونتان في بيرغندي ، وتشاورا معي ومع الحجاج حول من سيكون قائدا للجيش وبناء عليه أعلن أحكم الحجاج . واتفقوا على تعيين بونيفيس وكان مركيز مونتفات (٢٣) وكان أميراً عظيماً ، وجنيداً شهيراً في الحقيقة ، والأول في كل إيطاليا ، وكانت لديه سلطات هائلة وجيش كبير (٢١٠ - ٢٤٦) وحدث أن اخته كانت ملكة فرنسا .

وبناء عليه طلب الكونتان مع الآخرين أيضاً على اختلافهم ، وقادة الحجاج من السيرجيوفري أن يذهب الى المركز ليحثه ، ولطالبتة بالموافقة على تولي القيادة ، وأن يمضي معهم الى

سورية ، ليكون الأول بينهم جميعا كرئيس وقائد لسائر الجيوش ، وأعطاه الكونتان فارسا عن كل واحد منهما ، وأعطياه وعدا أنه أيما يتخذ من الترتيبات فإنهما سيصدقان عليه ولن يبطلاه مطلقا .

وبناء عليه ودعهم السيرجيوفري وأخذ فارسي الكونتين ونهب مباشرة الى حيث كان بونيفيس ، فوجده في لاتسا (٢٤) وهي مدينة كبيرة ، وعندما نزلوا وألقوا عصا الترحال ، ونهبوا الى المركيز ، وحيوه بلطف نيابة عن هذين الكونتين النبيلين ، وكل من بقي من الحجاج تكلم معه ، وبدأ يخبره بذلك ، وبأنهم سموا أولا كونت فلاندرز وثانيا كونت طولوز ثم النبلاء ، قادة الحملة ، وطلب منه الجميع الموافقة على أن يصبح قائدا لهم ، وقائدا لكل الجيوش ، واختاره الجميع كرجل حكيم ونبيل وأملوا في حكمته وبأنه لن يخدعهم . وأجابهم المركيز كرجل حكيم هكذا : إني أشكر النبلاء وكل الكونتات ، على أنهم تفضلوا بإعطائي المنصب ، ولا يمكنني الآن أن أجيب بدون استشارة وموافقة مولاي الملك وهو ملكي وابن عمي زوج أختي ملك فرنسا ، والملكة كذلك وهي أختي (٢٥) وبناء عليه لحبي له كحبي لشرفي ، فلندعهم يتحملون معي قليلا حتى يمكنني الذهاب اليهم طلبا للنصيحة والجواب الذي سيوجهونني به لاعطائه (٢٤٧ - ٢٨٥) بعد ذلك سوف أعود وأعطيهم جوابا .

واستعد المركيز على الفور ، وغادر لاتسا وعبر الجبال التي تفصل فرنسا عن لومباريا وسافر حتى دخل فرنسا ، ووجد الملك في باريس وكذلك الملكة وحياهما معا ، حيث دخل فرنسا ، ووجد الملك في باريس وكذلك الملكة وحياهما معا ، حيث أنهما كانا هناك ، وكانا سعيدين جدا عندما رآيا المركيز . وسأله الملكة : ماذا تريد هنا يا أخي؟ إني مندهشة جدا من أنك جئت الى هنا ، فلم أرك تحضر الى مملكة فرنسا لترانا عندما كنت أشعر بالوحدة أكثر في حياتي .

فروى لكليهما بتفصيل كبير ، وأخبرهما بالسبب مع مشكلة لماذا قدم اليهما وهو أن الكونتات النبلاء الذين أقسموا بالمسيح على الذهاب الى سورية ، طلبوا مني أن أذهب معهم الى قبر الرب كقائد للجيش وإني لن أعطي بأية طريقة جوابي بدون نصيحة وموافقة منكم ، فأنتم سادتي ، لهذا السبب جئت لأراكم ، ولأعرف رغبتكم مع أي جواب تأمروني بإعطائه ، وأجابه ملك فرنسا على الفور وهكذا خاطبه : أشكرك يا أخي ، مركز موندفرات على القرار الذي اتخذته بالمجيء وطلب النصيحة منا نحن الذين نحظى بمحبتك ومن أقربائك ، والآن يبدو لي أن شرفك عظيم عندما يهينك مثل هؤلاء الرجال العظام ويطلبون منك أن تكون أميراً وقائداً وحاكماً ، وعليك أن تشكر الرب وأن تشكر حظك الطيب ، وبالنسبة لي إنه يسرني جداً وأشير عليك بالقيام به وأن تفعله بشجاعة وإقبال عظيم ، لأنني أعتقد جيداً وأعرف وأقر أنهم بسببي يفعلون هذا ، حتى يتسنى لك الحصول مني على مساعدة وعلى جيش (٢٦) (٢٨٦ - ٣٢٨)

وبناء عليه أقول ، يا أخي إنني أمر وأحب أن تفتح خزانتي وأن تأخذ بقدر ما تريد ، وكل من يريد ويتوق من كل المملكة ، له أن يذهب معك الى سورية ، هذا ما أريده وما يسرني ، لأن هذا شرف ومجد لكل أقاربك.

والآن وقد سمع هذا أوماً المركيز ، كرجل حكيم برأسه وأعطى علامة الموافقة للملك ، وشكر الله أولاً وثانياً له ، وأخذ كل ما أعطاه له من الأموال والقوات ، وأستأنه (للرحيل) وودعه وعانق الملكة وقال لها ، سيدتي باركليني ، دعيني أمضي ومعني تبريكاتك ، وبناء عليه استأنن وعاد الى حيث إمارته وأراضيه في موندفرات ، التي اشتاق اليها كثيراً ، وعلى الفور كتب الرسائل وأرسل الرسل الى كونت فلاندرز ، وكونت طولوز (يعلن) أنه قد عاد من فرنسا ، حيث كان مع الملك ، وأنه كانت لديه الإرادة واللهفة لفعل ما طلب منه ، وأن يذهب في صحبتهم الى القبر المقدس حيث صلب المسيح من أجل الجنس البشري ، وبناء عليه أعلم بعضهم بعضاً

أين يجب أن يجتمعوا للتشاور حول النقطة التي يجب أن يقوموا بالعبور منها : واجتمعوا في سافوي حيث تشاوروا ، وبعد أن تدارسوا توصلوا إلى اتفاق فيما بينهم على أن يقوموا بالعبور من البندقية.

ومن ثم طلب الكونتان كلاهما والآخرين جميعا من قادة الحملة من السير جيوفري رئيس مجلسهم كرجل جدير ، وأحكم وأعقل من في الجيوش جميعا أن يذهب إلى البندقية لترتيب للعبور ، وأصدروا أوامر كتابية موشحة بالأختام إليه ، وأعطوه تفويضا بسلطاتهم (٢٧) وأعطوه وعدا بالتصديق وتنفيذ كل ما ينجز ، وأعطاه الكونتان فارسا ممثلا لكل واحد منهما ، وأعطاه المركيز واحدا آخر ، وكان لدى السير جيوفري اثنان آخران أيضا من أتباعه وأخذهم (جميعا) وانطلق ، وعبر الجبال ووصل إلى بيدمونت ثم إلى مونتفرات وعبر إلى لومبارديا ، ووصل إلى البندقية وحيا الدوج نيابة عن المركيز والكونتين وعن الآخرين جميعا ، والأول هو الأفضل والأشهر.

وأعطاه السير جيوفري نفسه الرسائل ، وبعد ذلك تحدث إليه ، وقال له شفاها بأنهم قد طلبوا منه كصديق وأخ لهم بأن يرتب لهم (٣٢٩ - ٣٩٥) أمر الحصول على مراكب لينتقلوا بها إلى القبر المقدس للمسيح هناك في سورية وأنهم يطلبون أن يعبر ٨٠٠٠ مع خيولهم و٨٠٠٠ آخر من مشاتهم ، والآن كان دوج البندقية ، سير أنريكو يدعى داندولو وهي كنيته وهكذا كان يلعب (٢٨) .

لقد كان رجلا ساحرا جدا وحكيما واستقبل السير جيوفري بتشريف ، وسر جدا بسماع الرسالة لأنه توقع وخامره شعور بأن البندقية ستلقى تشريفا وفائدة كبيرة من الحملة ، وأمر بأن يجتمع سائر الأشراف والنبلاء كما فعل العامة جميعا في مدينة البندقية ، ودخلوا كنيسة القديس مرقس وبدأ يتحدث إليهم ، أيها

النبلاء ، الأصدقاء والأخوة ، رفاقي وأقربائي انظروا كيف يحبنا الملك المجيد ، لقد بعث الينا بالاشرف والمجد والمنافع (ووضعهما بين أيدينا) عندما جاءنا زهرة فردنسا ، أمراؤها العظام ، يلتمسون منا في مدينتنا ، أن يقدموا المال ونقدم السفن - وعندما سمع النبلاء وزعماء البندقية وأيضا كل العامة ، الذين كانوا هناك معهم الكلمات والمعلومات التي أخبرهم إياها الدوج ، غمروهم السرور وشكروا الدوج على النصيحة والتوجيه الذي أدلى بهما اليهم ، وهللوا له جميعا وأقروا وصدقوا (على توجيهه) وقالوا إنه يجب أن ينفذ دون تاخير

وعندما اقروا وصدقوا سياستهم ، ودعوا السير جيوفري والفرسان الذين كانوا هناك معه كفريق تابع له ، واعطاهم السير انريكو داندولو ، دوج البندقية جوابا ، وهكذا اجابهم : ان الشيء الذي التمسوه كان مدعاة لسرور البندقية ، ووضعوا الشروط ودونوها كتابة ومهروها بالاختام ، واكدها بمعاهدات عظيمة في هذا المجال ، بانه اذا انقلب الامر (٣٦٦ - ٤٠٠) ولم يصل عدد كاف من الفرنجة لشغل وسائل النقل الكبيرة (٢٩) التي سيجهزها البنادقة لهم ، فانهم سيدفعون تكاليف السفن التي ستبقى دون تاخير او مماطلة .

وعندما اتموا هذه الاتفاقيات استانز فرسان الفرنجة وودعوا الدوج وكل البنادقة ، وتركوا البندقية ، وسافروا عبر لومبارديا ووصلوا الى مونتفترات ووجدوا المركيز ، ووصفوا له بالتفصيل الامر والحالة ، وكل مارتبوه مع البنادقة . وعند سماعه ذلك ، كان المركيز مونتفترات راضيا جدا عما انجزوه . وبناء عليه ودع الفرسان بونيفيس هذا المركيز الذي اخبركم عنه ، وعبروا جبال لومبارديا العالية ووصلوا الى فلاندرز ، حيث كان الكونت بولدوين الحكيم ، هكذا اخبركم : استفسر منهم مفصلا عما انجزوه في مدينة البندقية ، وعما اذا كانوا راضين عنه وعندما اعلموه بما انجزوا وحققوا ، بداله جيدا للغاية ، وكان بالغ السعادة ، وامر بكتابة

رسالة على الفور الى سائر الممالك حيث كان يوجد كل هؤلاء
الحجاج الذين انضموا الى الحملة الصليبية للذهاب الى سورية ،
والتي رتبوها مع البنادقة ليعدوا السفن ، حتى يمكن ان يقوموا
بالعبور في السنة التالية خلال شهر اذار .

وعندها لسوء الحظ ظهرت عقبة في وجه الفرنجة ، ولم ينطلق
الجميع من البندقية ، وتشاور البروفنساليون مع الكونت الذي
حدثكم عنه كونت طولوز ، لانها على الساحل وكانت لديهم سفنهم
الخاصة لينطلقوا من هناك لانهم اعتبروا هذا مناسبا (٣٠) .

وعندما جاء الربيع ، كما اخبركم الان تماما ذهب كونت
(٤٠١ - ٤٣٧) فلاندرز وجميع الرجال من كل انحاء فرنسا
وبونيفيس مركيز مونتفرات الى البندقية للقيام بالعبور ، وعندما
راوا ان كونت طولوز مع رجاله وغيرهم من تلك الاراضي كانوا
غائبين ، وانه لم يكن هناك عدد كاف من الرجال للمراكب ، هنا
قام نزاع كبير مع البنادقة ، لانهم سيمنعون الفرنجة من العبور
حتى يفوا باتفاقهم ، اي ان (يدفعوا) تكاليف السفن المتبقية ،
والان رفض دوج البندقية كرجل حكيم بقوة هذا النزاع واسرع
بحساب كيفية تهدئته (٣١) وفي الوقت الذي اتحدث فيه لكم حول
مدينة زارا، وكانت في سكلافونيا، حدث انها تارت ضد البندقية . فدعا
(الدوج) الفرنجة وقال لهم ولبونيفيس مركيز مونتفرات اولاً ثم
لكل القادة ، وكان مونتفرات القائد الاعلى للجيش ، ويلييه في القيادة
بولدوين كونت فلاندرز ، الذي كان الاول بين الجميع : ايها النبلاء
اقول لكم اذا اردتم وضع نهاية للنزاع والخلاف الواقع في الجيش ،
اذا اردتم ذلك ووعدتم بان تحاصروا بقواتكم زارا في سكلافونيا ،
والتي هي الان في حالة ثورة ضلنا ، وان تسلموها لايدي وأهل
البندقية ، فاننا عندئذ سنجعل تكاليف تلك المراكب التي نطلبها منكم
هدية لكم .

وبعد ذلك وافق الفرنجة وصدقوا على ذلك وابرموا المعاهدات

والاتفاقات ، والان صعد دوج البندقية مع جماعته الى السفن التي بقيت ، ورفعوا المراسي وابحروا من البندقية ، وذهبوا الى زارا واستولوا على الميناء ، وعندئذ نزل الفرنجة بلهفة عظيمة وفي حملة (٤٣٨ - ٤٥٣) كبيرة من الشواني الكبيرة ، وهاجموا المدينة واستولوا عليها بالسيف واعطوها للبندقية وتحلوا من قسمهم وتعهدهم (٣٢) .

والان بدءا من هذه النقطة ساتحول عما كنت اكرر روايته لاقوم بشيء اخر : كيف قامت عقبة امام اولئك الحجاج ، وتخلوا عن رحلتهم الى سورية ومضوا الى حيث غزوا مدينة قسطنطين .

وفي هذا الوقت الذي اتحدث لكم عنه في تلك الايام كان ملك مدينة قسطنطين ملك الاغريق كيراسحق فاتاتزس (٣٣) وكان له أخ مليء بالشر كانوا يدعونه اليكسيوس (٣٤) وسمل هذا عيون الملك واستولى على الامبراطورية ، وكان للملك كيراسحق فاتاتزس من اخت ملك المانيا ابن رائع يدعى اليكسيوس (٣٥) عندما رأى ان اباه قد عمي (٤٥٤ - ٤٨٤) انطلق من هناك الى المانيا ، وعندما وصل الى خاله الملك ، اخبره بالتفصيل بالامر والحالة ، وبأن عمه الكافر قد استولى على الامبراطورية ، وعندما سمع الملك الان بهذا اسف له اسفا شديدا ، وكرجل حكيم قرر مساعدته ، وبناء عليه قال له : يا بني وابن اختي ، ليس لدي ماأخدمك به فيما اخبرتني عنه ، ولكنني سمعت تقارير - احضرت منذ وقت قصير جدا - بان جيش الفرنجة ، الذي كان في طريقه الى سورية الى قبر المسيح ، قد وصل الى البندقية ، ويبدولي جيدا انكم اذا كنتم راغبين في القيام بذلك وقادرين على الوعد بهذه (الحصيلة) بابا روما ، اذا امر القوات واولئك الحجاج بان يتخلوا عن حملتهم تلك الموجهة الى سورية ، والذهاب الى القسطنطينية لاعادتها اليكم ، وان يستعيدوا امبراطوريتكم حتى يتسنى لكم ان تحصلوا على ولاياتكم : ان تجبروا كل اليونانيين على احترام البابا ، وفي الحقيقة للتقيد في كنيسة روما وان يتوحدوا معنا في الايمان بالمسيح ، وبهذه الطريقة

امل واثق بانكم ستحظون بجلالكم . ويسماع هذه الاشياء التي رويتها ، وعدهم الكسيوس فاتاتزس الشاب واقسم بان يفعل ذلك . وعندما سمع الملك انه كان يتلف لان ياخذ عهدا على نفسه ، امر بكتابة رسائل الى البابا ، ووجه الرسل وارسلهم اليه ، ووضح له بتفصيل كبير كل مذكرته هنا (٣٦)

لماذا اخبركم بكل هذا ، اذ ربما مللتم ؟ وعندما سمع البابا هذا غلبه السرور وامر بكتابة رسائل على الفور الى الحجاج وارسل احد الكرادلة (٤٨٥ - ٥٤٧) وجعل منه ممثلا له وارسل بركاته للجميع ودعوة بانهم اذا تخلوا عن الحملة الى سورية للذهاب الى القسطنطينية ليعيدوا الكسيوس الابن في الحقيقة للملك اي كيراسحق على عرش الجلالة وتتويجه ، فان كل من يموت في هذه الحملة سينال العفو وتوضع عنهم خطاياهم كما لو كانوا قد ماتوا عند قبر المسيح (٣٧)

واخذ الكاردينال الذي تكلم عنه ذلك المندوب اخذ الاوامر من البابا المقدس وسافر من لومباريا ، ووصل الى البندقية وصعد الى ظهر احدى الشواني ومضى الى زارا ، ومن الاتجاه الاخر وصل الكسيوس فاتاتزس لقد ارسله الملك من المانيا ، وعندما وصلوا الى زارا ، كان هناك اعلان الى جميع الحجاج للتجمع والاستماع الى امر البابا ، وبناء عليه تكلم المندوب اليهم ، وامر بتلاوة وصايا البابا .

وبتفصيل كبير بين لهم الحملة ضد المدينة (٣٨) التي كانت مختلفة تماما عن الحملة ضد سورية ، لانه كان افضل بكثير جمع المسيحيين على الاتفاق وتمائل الافكار وكذلك الفرنجة واليونان بدلا من الذهاب الى سورية بدون امل (في النجاح) وبوغت تماما رجال الجيش ممن كانوا يريدون الذهاب الى القبر المقدس ، ولأن افاضلهم وافقوا على التخلي عن الحملة الى سورية للذهاب الى المدينة فان عددا كبيرا معيننا من رجال الاكليروس عادوا الى

نسأ ، وبسبب تعليمات المندوب وبركات البابا ، تطورت عند
آخرين الرغبة في الذهاب الى المدينة .

وعندما رأى دوج البندقية هذه اللفة (الى القيام بمغامرة
بيدة) وفعل مثله كل رجال البندقية ، اخبروا ونصحو بعضهم
ضا بان يذهبوا ايضا الى المدينة ، طالما ان لديهم هذه المراكب
فائضة ، لانه اذا كان لهم ان يعودوا الى البندقية ، فان هذا
سيكون عارا ولوما للبندقية ، وبناء عليه توصلوا الى اتفاق ،
زروا انه من اجل مغفرة البابا بالغ القدسية ، وثانيا من اجل مجد
بندقية فانهم ايضا سيمضون الى هناك في صحبة الحجاج ،
ندما اتفق جميع اعضاء الجيش (٥٢٨ - ٥٥١) غادروا زارا ،
ستعدوا للانطلاق ، وذهبوا راسا عبر رومانيا ووصلوا الى
ينة ، ونزل الفرنجة بسرعة الى البر وبقي البنادقة على ظهر سفن
قل (٣٩) .

ودعوني الان اخبركم كيف تقع مدينة القسطنطينية : يمكنني ان
سبها بشراع سفينة ، لانها مثلثة ، ويواجه ضلعان منها البحر
واجه الثالث البر : ولان المياه الشاطئية التي تحيط بالمدينة كما
برتكم عميقة وعظيمة ومتحدرة وتتساوى في عمقها على طول
بناء مع مياه المحيط المحاذي ، اقتربت الشواني والمناقير وسفن
قل من الشاطيء كما لو كانت قوارب تجديف (٤٠) وبني البنادقة
مبارهم حرفيون بحريون مهرة ، ذوو مكر وحكمة ، وبراعة كبيرة
سورا فوق سفن النقل وبمهارة وحكمة القوا بها فوق اسوار
ينة . اما الفرنجة فكانت معركتهم الان فوق الارض ، ولكنهم لم
نوا باي حال قادرين على اذاء المدينة ، لماذا يجب ان اكثر من
عديث فريما تملون ؟ ودخل البنادقة المدينة اولا ، واخذت المدينة
سيف تماما بالطريقة نفسها التي اخبركم بها ، وهرب الكسيوس
رير ، الملك الفادر كيفما امكن له ، وعبر الى سكوترس وترك
ينة وذهب الى اسيا الصغرى (٥٥٢ - ٥٨٦) .

وبناء عليه هرع النبلاء الصغار في المدينة وقد راوا الاعداد
العظيمة للفرنجة الذين يدخلونها ، هرعوا مسرعين الى السجن حيث
كان الملك كير اسحق فاتا تزنس وفكوا اغلاله وذهبوا به الى القصر
واجلسوه على العرش (٤١)

وعندما سمع الفرنجة بأمر الملك ، دعوا السيرجيوفري ،
مستشارهم الاول ، وفيما بعد نبلاء اخرين ، وذوي النبالة من
الرجال وواعزوا اليهم بالتفصيل بان يذهبوا الى الملك وان يحضروا
معهم في الحقيقية ابنه الكسيوس لينا قشوا معه بتمعن الحالة
والامور ، والترتيبات التي اجراها ابنه مع البابا واذا ما كان قد
وجدوا مرضية ان يصدق عليها .

وذهب المبعوثون اليه بسرعة ووجدوا الملك جالسا على العرش
فحيوه باحترام نيابة عن قادتهم ، واخبروه بالتفصيل والاتفاقيات
التي ابرمها ابنه مع البابا في روما (وسألوا) عما اذا كان قد
رضيها ويريد توكيدها .

والان بعد هذا اجاب الملك كير اسحق فاتا تزنس بحكمة الملك :
« ايها النبلاء والاصدقاء والاخوة ، ايما اتخذ ابني من ترتيبات
ومعه اخي ملك المانيا ، اني اريدها واجدها مرضية ، واصدقها
معهم ، وسأصدر الاوامر بوضع اختامي عليها »

والان بعد ابرام هذه الاتفاقيات قرر قادة الجيش الفرنجي ،
لانه كان بداية الفصل ومجيء الشتاء ان يشتتوا هناك في مدينة
القسطنطينية ، وانهم في السنة التالية في بداية اذار سيعودون
للاطلاق مع الملك ندو سورية طبقا لاتفاقيتهم (٤٢) .

(٥٨٧ - ٦١٧) وطبقا لارادة وأمر كير اسحق فاتا تزنس توجوا
ابنه باعتباره الملك الكسيوس ، وفي هذا تشاوروا مع الملك ، والآن
بعد ان توجوا ابنه الكسيوس اميرا وملكا لكل بيزنطة ، ولم يك

يمضي حتى شهرا كاملا - تماما كما اعتاد العرق الاغريقي (٤٣) منذ بداية (الزمان) وكما وصف دوما بالخداع الكثير وعدم الاخلاص العظيم - فانه عندما ذهب بعض النبلاء من قادة المدينة الى الملك الكسيوس فاتاتزس وخاطبوه قائلين : ايها الملك الحاكم بما ان الرب شاء ان تستردوا سلطانكم فما الذي يدعوكم يامولانا للذهاب الى سورية ؟

ان المسافة طويلة جدا من هنا الى سورية والنفقات والسفن ستكون مبلغا كبيرا ، بل حتى اكثر اهمية ، اننا قد نضيع في بحار المحيط ، او حتى في البر ، ان هؤلاء الفرنجة الذين تراهم غير منظمين وطائشين ايضا ، وكل ما يطرأ على بالهم يفعلونه ، فلندعهم يذهبون في لعنة الرب ولنبق هنا في بيارنا واملاكنا .

ولما كان الملك شابا وعديم الخبرة في طرق العالم سقط في هذه المشورة بسرعة وقال : « وكيف يمكن ان يتم التخلص فقالوا : لنتركهم وحدهم شهرا او شهرين حتى يستنفدوا المؤن التي لديهم وهكذا نقوم بثورة حتى يمكن ان نبيدهم » وعملوا كما اشاروا ، وعندما انقضى من الوقت فترة شهرين قاموا وهم واثقون من فلاح خطتهم الحماقة - فاغلقوا ابواب المدينة ووزعوا الحراس ، وقتل الفرنجة الذين تصادف وجودهم بداخل المدينة في تلك اللحظة بالسيوف جميعهم (٦١٨ - ٦٥٤) تأمل بالعمل الاجرامي الذي اقترفه الروم ، العاقون تجاه المسيحيين الارثوذكس والرجال الصادقين الذين جهدوا ليضعوا ذلك الملك على عرش الامبراطورية الذي فقدته ، ولكن الرب الرحيم العادل في كل شيء ، كان فضله يرضى بان لا يتصادف وجود اي من نبلاء الفرنجة الاغنياء بداخل المدينة في تلك المذبحة حيث لم يكن هناك الا فقراء الناس ، واصحاب الحرف اليدوية .

والان فان رجالات جيوش الفرنجة الذين بقوا خارج المدينة واخبركم بالضبط ، اخبركم به بما حدث لدى سماعهم ورؤيتهم

الانذار ، والقتل والذبح وصياح وصرخات النين يقتلون ، عملوا مسرعين الى تسليح انفسهم المشاة من الجنود والفرسان وامسكوا بعدد من الروم وسألوهم عن السبب ، وعن سبب قيام الثورة التي قام بها الروم ، وهذه الخيانة التي كانوا يرتكبونها الان ضد قواتنا . وكل النين عرفوا اعلموهم بالسبب والمسوغ ، والغاية التي من اجلها قاموا بها ، وترك قادة الجيش الفرنجي البنادقة ليحرسوا البحر ، وقوات كبيرة كثيرة اخرى من جانب اخر ، في مواجهة البر (٤٤) . ونفذت البقية الاخرى من عداد الجيش ابواقها وذشرت اعلامها وفرقت سراياها (٤٥) من كل من المشاة والفرسان ، وخرج الجميع من المدينة وبدأوا ينهبون الاراضي وكل القرى والاماكن في رومانيا ، ووصلوا في نهبهم حتى ادرنة (٤٦) وقاموا برحلة مسافة خمسة ايام عن المدينة ، وعندما اكتفوا من النهب وحصلوا على كمية كبيرة من الغنائم ، واخذوا ما وجدوه من اشياء ادركوا انهم ربحوا اكثر مما كان في الشواني وفي كل سفنهم ، وهنا عادوا اثر ذلك ونهبوا الى المدينة .

وعندما سمع الملك كيراسحق فئاتتازس بهذه الاشياء لعنهم بشدة ، وكان شديد الحزن ، ولم يكن يعرف (٦٥٥ - ٧٠٠) أي شيء عن تلك النصيحة التي أعطاها اولئك النين لعنهم الرب ، اولئك الثوار المتمردين على القاذون لابنه اليكسيوس فئاتتازس ، وأمر باستدعاء ابنه وأهانته إهانة عظيمة ، وكان غضبه منه عنيفا وقال والدموع تفيض من عينيه الكلمات التالية : قل لي أيها الملعون من الرب أأست ابني ؟ كيف يتبادر الى ذهنك أيها الكافر بالرب وبالقدسين ، هذه الخيانة والثورة التي ارتكبتها تجاه النين مكذوك من أن تصبح ملكا ؟ إنك تستحق من الآن فصاعدا أن تعتبر من قبل الجميع مثل ذلك يهوذا الاسخريوطي الخائن الذي ارتكب خيانة بحق الرب له المجد ، واني أمرك أن تخبرني على الفور من الذي أشار عليك بأن تقترب ما فعلته ، لقد جلبت الخزي والعار على الامبراطورية وعلى الشعب الرومي . ومن الآن فصاعدا من الذي سيصدق أي رومي .

ولم يجد اليكسيوس من خوفه وارتبাকে طريقة لانكار ذلك ، وتكلم وكشف كل أولئك الخونة الذين أشاروا عليه . وأصدر الملك أوامره على الفور فأحضروا أمامه ، فسمل عيونهم ووضعهم في السجن ، ثم استدعى اثنين من النبلاء الكبار في القصر ، وأمر بتسطير رسائل الى المركيز ومثلها الى الكونتات والقادة الآخرين وكمسوغ له أعلمهم ، مع القسم أنه لم يعلم مطلقا بذلك الخيانة التي اقترفها ابنه وقال : أرجوكم أيها النبلاء أن يسوى هذا الأمر ، ولتنتهي هذه المشاحنات ولنمنع حدوث شيء آخر منها .

لقد وضعت الخونة في السجن وسلمت عيونهم ، خذوهم ومروا بمحاكمتهم كمتمربين كافرين بالرب والقديسين ، وأني أعتبر الشروط المتفق عليها بيننا في المعاهدات والاتفاقيات مؤكدة ، وأؤكد اننا سندفي بها بدون أي خداع ، وليكن السلب الذي قمتم به والأسرى الذين أخذتموهم تعويضا عن القتلى من قواتكم ، وأما بالنسبة لابني كشاب عديم الخبرة في أمور الدنيا ، فاني أرجوكم أيها النبلاء كأخوة وأصدقاء ، أن تصفحوا عنه ودعوه يموت معكم ، وأن يكون كأخ لكم من الآن فصاعدا ، وليكن هناك سلام بيننا وحب وانسجام وامضوا شتاءكم معنا في المدينة ، وفي الربيع انهبوا الى سورية ، وسيذهب ابني معكم طبقا لاتفاقياتنا .

(٧٠١ - ٧٣٩) وبسماع هذه الكلمات ، تشاور النبلاء في جيش الفرنجة وتوصلوا الى هذا الاتفاق : أن يكون هناك سلام بينهم كما كان من قبل ، وبناء عليه أمضوا الشتاء وجاء شهر آذار ، واستعد الفرنجة للذهاب في رحلتهم الى قبر المسيح . ثم ذهب الملك اليكسيوس اليهم وقال لهم وهو يتوسل اليهم : أيها النبلاء ، والأصدقاء ، والأخوة ورفاقي الأحباء ، إنكم تعرفون جيدا الشيطان ، الذي سبب لي كل هذه المتاعب في زمان شبابي ، حسنا إنني أعتبر نفسي مبتدئا في كل أموري وليس لدي الأشياء التي احتاجها بالطريقة التي أرى أنها موائمة لهذه الحملة ، وعلاوة على هذا أخبركم بشيء آخر كنصيحة لكم ، بسبب

النزاع الذي جرى ، إن الروم لم يستعدوا للانضمام الى الفرنجة ولهذا أقول لكم ، إنني أتوسل اليكم بحرارة ، أن أحصل منكم على خمسة عشر يوما ، منحة لتحضير جيشي والحاق بكم . وأقر الفرنجة هذا ، وبدأوا انطلاقهم : ومروا بهرقلية (٤٧) وهم يتوقعون دائما وصول الملك اليكسيوس فانتازس في وقت قريب .

اسمعوا جميعا ، فرنجة وروم ، وكل من يؤمن بالمسيح وعمد ، تعالوا واسمعوا هذا الموضوع الكبير ، عن الروم وعدم إخلاصهم من الذي سيضع فيهم الثقة ، ويثق في قسمهم ، طالما أنهم لا يحترمون الرب ولا يحبون حاكمهم ؟ أنهم لا يحبون بعضهم بعضا سوى نفاقا .

عندما رحل الفرنجة من المدينة فان رجلا ثريا نبيلًا معروفًا من المدينة كانوا يدعونه مورتزوفلوس (٤٨) وهذا كان أقبه ، رأى أن الملك قد عمي وأن ابنه اليكسيوس صغير السن فخطط لـ استولي على العرش بالحيلة ، فدعا بعض الأقارب والأصدقاء والجيران والباءسين والجشعين وتشاور معهم ، ثم اعتقلوا اليكسيوس ، الملك وقتلوه ، حيث وجدوه وحده ، فذبذبه وتوجوا مورتزوفلوس ووضعوا التاج على رأسه وألقبوه بالملك ، وهكذا أعلنوه امبراطورا ، وحدث الآن بعد ذلك أن بعض رجال المدينة وقد رأوا هذا وسمعوا مقتل الملك الرائع جهزوا بـ ارجة ذات اثنتين وخمسين مجدافا وثلاثة أشعة ، وأبحروا مجدين حتى أدركوا الفرنجة الذين كانوا في طريقهم الى المواقع السورية ، وأخبروهم بالتفصيل بقصة موت الملك ، الذي قتل وبأن الخائن مورتزوفلوس قد استولى على العرش ، ويسماع الفرنجة لهذا اكتأبوا كثيرا ثم تشاوروا معا حول مايجب عمله ، لماذا أخبركم بهذا كله وأزوقة ؟ ويسماع هذه الأشياء دهش نبلاء جيش الفرنجة دهشة كبيرة وحزنوا حزنا عميقا ، وبدأ أكثرهم حكمة يتكلم ويعلم أن الروم مع تقديرهم لذواتهم مجردون من الشرف (٤٩) من الذي يثق برومي سواء بالكلام أو القسم ؟ إنهم يقولون بأنهم مسيحيون

يؤمنون بالرب ، ويلمزوننا نحن الفرنجة ويوجهون لنا اللوم ويدعوننا كلابا ، ولأنفسهم وحدهم يوجهون فقط الشتم وهم يجالسون الأتراك ويؤاكلونهم ويشاربونهم ولا يقبلون شيئا (ضدهم) ولا يلومونهم ، وإذا كان عليهم أن يأكلوا معنا فإنهم يتأفدون كمن يتجرع الفصص (٥٠) ، وإذا حدث أن ذهب أحد الفرنجة الى كنيسةهم من أجل القساس (٥١) ، فإن كنيسةهم تبقى أربعين يوما دون أن يخدم فيها قداس ، استمع الى الهرطقة التي يتمسك بها الروم ، إنهم هم أنفسهم ، وهم فقط من يستحق الحمد وهم يوبخونا نحن الفرنجة (٧٧٢ - ٨١٧) ويلوموننا نحن الذين نتمسك بالعقيدة وبشريعة المسيح تماما كما علمنا ، لأن الحوارى الاول كان القديس بطرس الذي توجه المسيح قائدا لكل الدنيا ، وأعطاه هو نفسه مفاتيح الفردوس ، وأعطاه سلطة للربط والحل في كل مايفعل على الأرض ، وسوف يؤكد في السماء .

والآن ان هذا الحوارى كرجل حكيم - ولديه تأييد المسيح وأمره أيضا - ولأنه في تلك السنوات كانت روما تحكم العالم ، كل العالم (٥٢) حقا ، ولنبدأ الأوثان والكفر لدى السلالات ولتوسيع كنيسة المسيح وتقبوليتها ذهب الى هناك وأقام عرش الكنيسة ، وهناك صلبوه لاعتقاده بالمسيح . وتلاه بعد ذلك عدد كبير من البابوات ، الذين حافظوا على كرسي كنيسة روما . والآن يتمسك الفرنجة والروم بعقيدة واحدة ، فأساقفة الدنيا كلها من الفرنجة والروم والبطاركة والأساقفة وزعماء العالم (المسيحي) كل منهم يرسم من قبل ذلك الذي هو البابا الأسقف لكرسي روما ، والآن وبعد سنوات عديدة فإن أولئك الروم الذين يدعون الهيلينيين ، وهكذا كانوا يسمونهم - كانوا متباهين ومايزالون يحتفظون بهذا - وأخذوا من روما اسم الروم بسبب هذا التباهي والتعاطي والتعالي ، وقد تخلوا عن شريعة كنيسة روما ووقفوا مذشحين ويتفاخرون فقط بأنهم كذلك ، انظروا أيها النبلاء الطيبون الى غدرهم ، إنهم يقولون أنهم مسيحيون وهم لا يتمسكون بالصدق ، ولا يحافظون على قسمهم . إنهم لا يخافون الرب ، وكل

مالسبهم هو التعميد بالمسيحية ، انظروا بماذا تـوحي كتبهم وكتاباتهم ، لقد شوهوا وحرفوا التعاليم التي لقنها الحواريون الاثني عشر ، والانجيليون الاربعة ، الذين ذوروا ، والأعمال التي أنجزوها في ذلك الوقت في العالم عندما كان المسيح حيا يسير فوق الأرض ، فضلا عن التعاليم التي لقنت لنا بأن علينا أن نحافظ على شريعة الكنيسة ، كل هذا شوهوه عندما انفصلوا عن كنيسة روما ، وهي كنيستنا الكاثوليكية وتخلوا عن الترسيم من قبل البابا الأقدس ، وهم يرسمون الآن بأنفسهم بطريقتهم ، حسنا بما أنهم لايحترمون كنيسة روما لماذا نذهب الى سورية ولماذا لانعود لناخذ من الكفار ولاياتهم طالما أنهم خذقوا مـولاهم وسبيدهم الملك ؟ (٨١٨ - ٨٥٥) وأيضا انظر عدم إيمانهم ، ان الملك الذي كان سيدا طبيعيا لهم ، بالحسد والتحريض على الفتنة والعصيان ، ذبحوه وقتلوه ، من الذي يصدقهم ويثق بقسمهم أو بكلامهم ، من الذي سيعتبرهم مسيحيين كما يقولون ويتمسكون ؟ إنهم مسيحيون بالقول وينقصهم العمل ، العنوا المسيحيين الذين يصدقونهم ، والآن وقد نعى الفرنجة الملك وعبروا عن شكوايهم وعن أفعال الروم بدأوا يتشاورون كيف يتصرفون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يتوجهوا الى سورية ، وآخرين أكثر حكمة قالوا ونصحوا هذا المجلس كما اخبركم قائلين : طالما أن الروم الكفار أولئك العصاة المتمربين قتلوا ملكهم ، السيد الشرعي لهم ، الذي كان يجب عليهم أن يعتبروه الثاني بعد الرب فقط ، وأن لايتركوا لغيره حقا مشروعا في حكمهم ، بدلا من الذهاب الى سورية التي لم نتملكها (٥٣) دعونا نعود الى المدينة ونقاتل بأسلحتنا . واذا شاء الرب واستولينا على مدينة القسطنطينية فلنحتفظ بإمبراطورية الروم كلها .

وبناء عليه توصل جميع القادة الى اتفاق ومعهم العامة وكذلك الجيش الفرنجي ، وقد أعدوا السفن وعكسوا الأشرعة ، لماذا اخبركم بكل هذا ؟ حتى لقد انهكت نفسي جدا ، لقد عاد فرنجتنا الى المدينة ، وعندما وصلوا الى الميناء ، طوقوا المدينة من البر

والبحر ، ولقد خطط الفرنجة استراتيجيتهم كما فعل
البنادقة ، ومعهم كان البروفنساليون واللومبارديون مع
مونتفرات . وأعدوا كل المنجنيقات (٥٤) على طول الجانب الأرضي
من المدينة ، ووزعوا الفرق وبدأوا الهجوم ، وبسبب العدد العظيم
من القسي العقارة والنشاب (٥٥) لم يعد أحد يمكنه أن يقف فوق
أسوار مدينة القسطنطينية (٨٥٦ - ٨٨٧) وكانت لديهم أيضا
سلالم خشبية مقواة جيدا بالحديد ، وقد وضعوا هذه السلالم على
الأسوار ليصعدوا عليها ، وترجل الفرسان عن خيولهم وما أن رأوا
السلالم حتى هرعوا إليها وتساقطوا . وكما أقول لكم بالضبط
أخذت المدينة في هذا الوقت ، وبخل الفرنجة أولا من البر ، ثم بخل
البنادقة من سفن النقل من حيث طوقوا المدينة من البحر ، وليكن
معلوما ليكم اذا أن المدينة أخذت عندما أخذت لأول مرة من قبل
البنادقة في اليوم الرابع من تشرين الثاني والاستيلاء الأخير والثاني
على المدينة حدث بدوره في الرابع من نيسان . (٥٦) .

وبسبب كثرة القوات وشدة الهجوم لم يتمكن أحد من الهرب بأي
وسيلة من المدينة ، والآن أسروا الكافر الفادر مرتزوفلوس (٥٧)
وأحضروه إلى قادتهم لحاكمته ، وكان الكونتات النبلاء سعداء
بهذا ، وثار الهرج والمرج والمنازعات حول أية عقوبة عليه
معاناتها ، وحدث أن كان في المدينة رجل مسن موثوق ، وكان رجلا
حكيمًا وعالمًا جدا ، وعندما سمع أن الفرنجة يريدون معاقبة ذلك
الكافر مورتزوفلوس ، الذي أحدثكم عنه ، هرع إلى القادة ، الذين
كانت لهم السيطرة على الجيوش (٥٨) . وبدأ يخبرهم ويعلمهم بأن
ملكا معينا يدعى كيرليو (٥٩) ، وكان فيلسوفا مهولا وكانت له
نبوءات - وقد بنى أشياء كثيرة في المدينة . وتحققت له بعض
الأشياء في أزمنة متوقعة ، وكانت أشياء أخرى ماتزال تنتظر أن
يأتي زمانها (٦٠) وقرب واجهة كنيسة .

(٨٨٨ - ٩١٦) سانت صوفيا نصب عمودا رائعا ضخينا
وعاليا : ونقش عليه حروفا تقول ، كما أقول لكم : من فوق هذا

العمود سيصدق الملك الكافر لمدينة القسطنطينية (٦١) « وهكذا يبدو أيها النبلاء أن النبوة ستتحقق ، طالما أن ليعكم العمود والعاصي ، فلننفذ نبوة الفيلسوف ، وعندما سمع النبلاء هذا ، دهشوا جداً ، وأخذوا الرجل العجوز ليريهم العمود ، وعندما وصلوا إليه وتفحصوه دهشوا وسروا أيضاً لأنهم وجدوا طريقة موائمة لتنفيذ الحكم العادل في الخائن ، وعليه أمروا بإحضاره وهناك رفع إلى الأعلى ، وألقوا به إلى الأسفل من فوق قمة العمود وظهرت الشياطين التي أخذت روحه (٦٢) .

والآن بعد اعدام العاصي ، فإن كل النبلاء العظام من قادة الجيش ذهبوا إلى قصر الملك وتشاوروا معاً صغارهم وكبيرهم في كيفية التعامل بصورة واقعية مع ولايات الامبراطورية (٦٣) وكان هناك كلام كثير قبل أن يتخذوا قراراً في المشكلات ، وفي النهاية قالوا وأكدوا مايلي : منذ أن كانوا في طريقهم إلى سورية ، أمرهم البابا الاقدس بأمر رسمي عظيم بالتخلي عن تلك الحملة وبأن يذهبوا لاجلاس الكسيوس فاتانزس على عرش الامبراطورية ، وأنهم قد وضعوه ، وحيث أنه بعد ذلك قد ذبح وقتل من قبل شعبه ، العرق الرومي وأنه لم يكن هناك أحد غيره بينهم جديراً بالحكم إذا لنحتفظ به لأنفسنا ولنابق هنا ، بالحق أخذناه بحسد السيف ، (٩١٧ - ٩٥٧) والآن بعد أن وصلوا إلى هذا القرار ، كما أخبركم تماماً ، عقدوا عندئذ مجلساً لانتخاب امبراطور (٦٤) واختاروا اثني عشر نبيلاً من أصحاب الجدارة والاهلية ، والأكثر حكمة ، ستة منهم كانوا أساقفة ، وستة من قادة الفرسان ، واتفقوا تحت القسم على انتخاب امبراطور دون نية شريرة أو خداع .

وتشاحدوا مع بعضهم بكلام كثير ، لأنهم لم يكونوا متفقين فيما بينهم على اختيار امبراطور ، لأن بعضهم تكلم عن دوج البندقية وأثنى عليه عالياً كرجل حكيم بارع وأعلنوا أنه كان جديراً بأن يكون امبراطوراً ، وبسبب المشاحنات الكثيرة التي جرت بينهم ، ذهب

أحدهم وأخبر دوج البندقية ، ولبالغ حكمته وبراعته في كل شيء ،
أسرع إلى هؤلاء الاثني عشر من الرجال الحكماء ، وطرق الباب
حتى يسمعه وقال لهم مايلي : « أيها النبلاء انصتوا ، نقل أحدهم
إلي تقريراً جاء به أن بعضكم من فضلهم كقبلاء وحكماء عبروا عن
رأيهم : وقالوا لي أنني الرجل المناسب لمنصب الامبراطور ، وبأنني
جدير بأن أصبح امبراطور المدينة ، حسناً إنني أشكركم شكراً عميقاً
كأصدقاء وعقلاء وأخوة لي ، وليرد الرب عليهم ما قالوه لي حتى أنا
أخوهم ، وإنني مع ذلك بنعمة من الرب ومجده لأجد في نفسي ، وهذا
ما أقوله في نفسي نقصاً كبيراً في المحاكمة حتى لا أعرف أنه قد قام في
سكان البندقية أناس من ذوي المعرفة العظيمة والخبرة العسكرية
كما لي أماكن أخرى ، ولكن ما من أحد منهم وصل إلي مثل هذا المجد
في أن يتوج بتاج امبراطور ، وبناء عليه أتوسل إليكم كأصدقاء
وأخوة أن تتركوا الخلافات والمشاحنات ، لقد انتهى الكلام ،
وبالنسبة لمن تكلموا عن جعلني امبراطوراً ، إنني أخذ كلامهم
وهتافهم الذي نطقوا به وأضيف إليه قولي : ولنضم إلى الآخرين
ولتوجه الاثني عشر منا معا ، والاقتراع (٩٥٨ - ٩٩٣) لانتهاء
الامر ولنتنخب الكونت بلدوين امبراطوراً فهو أمير عادل ، وأمير
فلاندرز لأنه جدير ونبييل وخبير في كل شيء وهو بين كل الموجودين في
الجيش الجدير بأن يكون امبراطوراً ، ويسماع هذا الكلام وبناء
عليه توصل الاثني عشر النين حديثكم عنهم ، والنين اختيروا جميعاً
لانتخاب امبراطور إلى اتفاق وصادقوا عليه وخرجوا من حيث كانوا
مجتمعين ونهّبوا إلى قصر الملك ، ودعوا الجيش كله للاجتماع
لسماع الحل الذي تكلموا فيه وأعدوه : انتخاب الامبراطور الذي
كان له أن يحكم .

وعندما اجتمع كامل الجيش في القصور الفاخرة للملك خاطبهم
أبلغ وأحكم الاثني عشر وشرح الامر ، بأنه بخوف من الرب وبسطة
عظيمة اختاروا كونت فلاندرز ليكون امبراطوراً وملكا على المدينة
وكل امبراطورية الروم .

وعندما سمعوا هذه الأشياء كانوا جميعا الصغير والعظيم الغني والفقير ، العامة والجيش في سرور عظيم وصادقوا وأكدوا أن يكون الكونت بلدوين الامبراطور . واحضرت العبادة والتاج للامبراطور والابس وتوج كملك وهلل له وعظم بالطريقة الصحيحة المناسبة (٦٥) .

وعندما توجهوا واصبح امبراطورا نشب شجار ونزاع بين اللومبارديين وبين الفرنسيين ، الذين كانوا يرغبون ويريدون أن يصبح المركز امبراطورا ، والحقيقة أن مركز مونترفرات كان قائد الجيش والقوات (٦٦) ، كما اخبركم وبناء عليه حاول السير انريكو دوج البندقية البالغ الحكمة (٩٩٤ - ١٠٢٦) الملقب بـ"داندولو" مع آخرين من فئات مختلفة أن يضعوا حدا للمشاحنات ، وأخذ معه كونت طولوز (٦٧) وكان يعرف الكثير مما يقال لتهدئتهم ، وتكلم وشرح كرجل حكيم قائلا : أيها الأصدقاء والأخوة النبلاء بما أن انتخاب الامبراطور قد جرى وأنه قد توج وانتهى الأمر وأبرم ، فإن شيئا قبيحا وغير لائق وعارا عظيما أن يقال ويسمع في كل أنحاء الدنيا من كل الناس أنه بعد انتخاب الامبراطور الذي تم بكلمة واختيار مثل هؤلاء الرجال العظام ، وبعد تدوير الامبراطور غيرتم فكركم ، وكما يبدو بسبب الحسد ، وعليه أقول لكم ، إنني أتوسل إليكم أن يهتفي النزاع ، إنه ليس لصالحنا ، وحيث أن كونت فلاندرز قد أصبح امبراطورا فليكن مركز مونترفرات ملكا وسيدا ذا لقب وممتلكات موروثية لمدينة سالونيك ، وأن يحكم في كل ما يختص بذلك وبما يستحق له . وبسماع هذه الكلمات صاح أفراد القوات الصفار والعظام والأغنياء والعوام في الجيش الفرنسي بصوت عال : إننا جميعا موافقون على ذلك .

وعندما صدقوا على ذلك وتوجهوا بونيفيس المركز ملكا ، توقفت المشاحنات وأعقبتها سلام ، وبعد هذا وجهوا أولئك الاثني عشرة ، الذين انتخبوا الامبراطور ليقوموا بتوزيع أراضي آسيا الصغرى وكل بلاد الروم ، وكل ما يخص امبراطورية المدينة ، حسب المرتبة

والجدارة لكل واحد ، وتبعا لعدد القوات التي كانت تتبع كل واحد عند الغزو ، وبالحصص مع الانتباه جرى التوزيع ، وحدث أن كانت حصة البندقية الربع مضافا إليه نصف الربع أو الثمن كما يدعوهم بعضهم من مدينة القسطنطينية وكل بلاد الروم (١٠٢٧ - ١٠٣٨) تماما كما سجلها دوج البندقية في الوثائق وفي تقرير ماتحت سلاطانه . (٦٨)

وفي الوقت الذي أتحدث عنه إليكم ، في تلك الايام كان سيد فالاشيا وكل هيلاس في أرتا ويانينا وكل الديسبوتات ، كان رجلا يدعى كيريوانس ، وكان لقبه فاتاتزس (٦٩) وعندما سمع وعلم وأخبر أن الفرنجة قد استولوا على الحكم في المدينة ، وتوجوا أمبراطورا ، وأخذوا القلاع ووزعوا مدن كل بلاد الروم ، أرسل بسرعة رسالة إلى كومانيا (٧٠) (١٠٣٩ - ١٠٧٨) وجاء عشرة آلاف كل النخبة من الكومان مع كل نخبة التركمان (٧١) الجميع على ظهور الخيل ، وكانت لديهم أسلحة جيدة أيضا ، لقد حملوا الرماح (٧٢) وحمل بعضهم الحراب ، وحمل آخرون منهم الهراوات ، وحشد أيضا القوات في ولايته كلها ، وحشد جيوشا كبيرة وشجاعة وشن هجوما عنيفا لبدء الحرب على الفرنجة ، ولكن لا يقاتل في الميدان وجها لوجه ، بل بالكر كما هي عادة الاتراك ، والآن بعد أن مر فصل واحد وحل الآخر (٧٣) بالكر أرسل جواسيسه حتى يحاط علما في كل الاوقات بما يفعل الفرنجة ، وعندما عرف بمكان بونيفيس ملك سالونيك ، وهكذا كانوا يسمونه ، سار بالليل حتى وصل إلى هناك (٧٤) وخبا قواته في كمين في أماكن مناسبة ، وحالما بزغ الفجر وبدأ النهار ينبلج ، وجه مئتين من فرسانه الحقيقيين للاندفاع ولينهبوا ماحول القلعة ، فجمعوا الغنائم وأخذوها وهربوا . وإذ رأى اللومبارديون الذين كانوا مع الملك هذا ، أخذوا أسلحتهم بسرعة وقفزوا إلى سروجهم ، وخرج الملك نفسه معهم ، كرجال غير خبيرين بالأعمال الحربية عند الروم ، وأخذ حوالي خمسين رجلا يمشون جيئة ونهايا ، وهرب الذين نهبوا الغنائم بها من أجل وضعها في الكمائن ، وعليه قفز الذين

كانوا يرقدون في مخابئهم من الكمائن في كل الجوانب وبدأوا يطلقون السهام على اللومباريين والتف الكومان الذين تظاهروا بالهرب وهم يمتطون خيولهم ، حولهم وأطلقوا السهام على الفرسان المقاتلين ، وعندما رأى اللومباريون وبونيفيس أميرهم ، وملك سالونيك أنهم قد طوقوهم وأنهم يطلقون عليهم السهام ، جمعوا أنفسهم ليعيشوا أو يموتوا معا ، ولكن الكومان والروم لم يقتربوا منهم ، وكانوا يطلقون السهام عليهم من بعيد ، وبهذه الطريقة قتلوهم وقضوا عليهم ، منذ ذلك الوقت خاض الروم بالخداخ والحيلة كما هي طريقة قتلهم معارك مع الفرنجة نالوا منهم ونيل منهم في كر وفر (١٠٧٩ - ١١٢٧) كما هو شأن المعارك والحملات في كل مكان حتى انقضت ثلاث سنووات ، والآن ، وبعد مرور ثلاث سنووات وأكثر ، أراد الامبراطور بلدوين أن يذهب الى أدرنة ، التي كانت ما تزال مدينة كبيرة ، وحالما ذهب الى هناك ، كما أروي لكم ، أخبر احدهم بذلك كالوجان حسبا أخبركم سيد الاشيا الذي حالما سمع بهذا ، وعلم به جمع على وجه السرعة ، والاستعجال وبلهفة كبيرة جيوشه جميعا من كل مكان ، ووصل مسرعا الى أدرنة ، وكي لا أطيل عليكم وأبعث فيكم اللال لأنني مثلكم أيضا مللت الكتابة في هذا الا بكلمات قليلة وأكثر اختصارا ، وأنا أخبركم وأعرفكم أنني أكتب اليكم بصدق ، فإنه كما جرى تماما للمركيز ، ملك سالونيك كما أخبرتكم ، فقد حدث أيضا لبلدوين امبراطور المدينة ، بالكمائن والمؤامرات خدعوا وكسروا وسط الهياج والاضطراب والصياح ، وهم يصرخون ويقولون ان جيوش كالوجان اتية ، وأرسل كالوجان خمسين رجلا اندفعوا ونهبوا الحقول والأراضي حول أدرنة ، حيث كان الامبراطور ، وأعطى الامبراطور أوامره لمارشال له وصعدت الأبواق وقفزوا الى سروجهم ، وكان لية ستمئة من الفلمنكيين ، وثلاثمئة من الفرنجة ، الذين كانوا جميعا من الخيالة المنتقين ومعهم أسلحة ممتازة كما هي العادة بين الفرنجة : وللأسف إن الدمار وقع في ذلك اليوم بين مثل هؤلاء الرجال الذلاء من زهرة فرنسا ، حتى إنهم قتلوا وماتوا بلا حق ، لأنهم لم يكونوا بالمرة على معرفة بالأعمال الحربية لدى

الروم ، وجاء الآن نبلاء أدرنة وقالوا للامبراطور: « سيدنا الامبراطور ، امنع جيوشك من الخروج ، لأن الذين تراهم ، ممن جاؤوا ينهبون قد جاؤوا قطعهم ، بطريقة مأساة بالخروج ، وجيوشهم مخفية في كمين وهي تنتظر أن نستدرج اليها ، إنهم الآن لا يقاتلون كما تقاتلون أيها الفرنجة ، تنتظرون في الميدان لقرموا رماحكم ، كلا إنهم يقاتلون بالقوس والنشاب وهم يهربون وأهذروا ياسيدنا الطيب أن تخرجوا في أثرهم ، وإذا كانوا قد أخذوا منا الغنم والخيول والماشية ، فلندعهم يأخذوها بمثابة قرض قد نستريه في فرصة موايته . »

(١١٢٨ - ١١٦٩) وعند سماع ذلك وبخهم الامبراطور على هذا ، وبغضب أمرهم أن لايزيدوا على ذلك ، لأنهم كانوا يقترحون شيئاً معيباً جداً ، وقال : بالنسبة لي أن أرى بعيني هنا أمامي أعدائي يتلفون ويدمرون وينهبون أراضي ، واقف أنا كالجثة ، وأعاني من هذا ، إنني أرى أنه من الأفضل ، أن أموت اليوم من أن ينالني اللوم في كل مكان.

وأمر أن تصدح الأبواق ، ووزع الفرنجة في ثلاث سرايا ، والروم في ثلاث أخرى وخرجوا الى الميدان ، وعندما رأى الكومان الذين كانوا ينهبون أنهم قد خرجوا اليهم ، غمرهم السرور وتظاهروا بالفرار من القتال بالفنائم التي أخذوها ، وبدأ الفرنجة وهم عبيدوا الخبرة في هذا النوع من القتال في ملاحقتهم ليلحقوا بهم ، وكانوا ثانية وهم يهربون يرشقون بسهامهم الخيول التي يمتطيها الفرسان.

وهكذا استدرجهم بالخدعة حتى أضلواهم وأوقعوهم في الكمين ، حيث خرج الاتراك والكومان مسرعين وهم يطلقون السهام على خيول الفرنجة . والآن توقع الفرنجة أن يخوضوا معهم معركة بالحرب والسيوف كما اعتادوا ، ولكن الكومان هربوا ولم يقتربوا منهم ، وكانوا فقط يصلونهم بالسهام من أقواسهم وأوقعوا

بينهم خسائر كبيرة من القتلى ، لأن الخيول هلكت وسقط عنها الفرسان . وكان معهم هراوات وساليف تركي (٧٥) وكانوا يضربونهم بها على خوذتهم ، وقتلوا الامبراطور وكل جيوشه ، انظر الدمار الذي حدث في ذلك اليوم ، إن المرء لياسى على كل جندي نبيل ، لأنهم ماتوا بغير حق ، وبدون حتى فرصة للقتال ، وأصيب الروم الذين كانوا مع الامبراطور قرب ادرنة بجراح قليلة ، لأنهم عندما رأوا أن الامبراطور قد قتل ، هربوا وعادوا فدخلوا المدينة ، وبعثوا بالرسائل الى مدينة قسطنطين بأن الأتراك قد قضوا على الامبراطور ، وتصادف في حينه أن كان دوج البندقية هناك (٧٦) فشد الجيوش بسرعة (١١٧٠ - ١١٩٦) ومضى الى ادرنة لمساعدة القوات على حماية المدينة ، وفي الوقت نفسه أرسل بسرعة مبعوثا الى السير روبرت أخى الامبراطور بلدين (٧٧) وكان له سلطان على المدن والقلاع في نيمفوس (٧٨) ولديه جيوش قوية وقادة الفرسان معه ، وحالما سمع وعلم بأن الأتراك قد قضوا على الامبراطور زود قلاعه بالامدادات ومضى الى المدينة ، وكان دوج البندقية قد عاد الآن من كل القطاعات ، وبعث برسالة الى كل مكان للفرسان القادة الذين كانوا حينئذ يحكمون في أرض الروم ، وعندما تجمعوا والتقوا معا توجهوا روبرت أخا الامبراطور بلدين امبراطورا ، وفي حينه كان للامبراطور السير روبرت ابن سموه بلدين أيضا (٧٩) أصبح امبراطورا وفقد الامبراطورية وأرسل ابنته بعد ذلك ببضع سنوات الى ملك أراغون (٨٠) لتكون زوجة له ، ورست الشواني في يونديكوس (٨١) التي توجد في المورة (٨٢) وهي قلعة ضخمة.

وتصادف أن السير جيوفري أمير المورة هناك ، وكان الأخ الأكبر للأمير غوليوم (٨٣) وبالحيلة والمكر أسر وتزوج ابنة الامبراطور روبرت ، وكان الامبراطور شديد الاضطراب عندما سمع بهذا ولكن فيما بعد توصلوا (١١٩٧ - ١٢٢٠) الى اتفاق كما ستعرفون هنا في هذا الكتاب فيما بعد في فقرة أخرى .

وألف الآن عند هذه النقطة ، وأريد أن أنهى ما كنت أتكلم عنه من أجل أن أتناول شيئا آخر ، أن أخبركم بقصة ، قصة عظيمة حول ما فعله الروم عندما سقطوا ، وفقدوا امبراطورية مملكة القسطنطينية . وعليه سأبدأ عند هذه النقطة : اسمعوا حتى يمكنكم أن تعلموا ، والآن في الوقت والفصل الذي استولى فيه الفرنجة على القسطنطينية كما رويت ، وإذا رأى نبلاء الروم هذا وهم زهرة بلاد الروم هناك في آسيا الصغرى ، حيث كانت هيبتهم ، انتخبوا لهم أميرا توجهوا ملكا عليهم الامبراطور كيرثيودورس لاسكارس وكان صبورا للملك كير . اسحق فاتاتزس ، حيث كان قد تزوج من ابنته (٨٤) . وعندما توج ونصب ملكا ، زود قلاعه بالامدادات واستأجر الجيوش من الترك والكومان ، واللان ، والزيخوي (٨٥) وحتى اليلغار وبدأ بلهفة كبيرة ، في شن الحرب على الفرنجة الذين كانوا في أرض بيسية . (٨٦) هناك في آسيا الصغرى حيث توجد فيلادلفيا ، حيث كان يحكم السير روبرت فلاندرز ، ودامت حربهم ثلاث سنوات (١٢٢١ - ١٢٦٠) وأكثر ، حتى الوقت الذي قتل فيه الامبراطور بلدوين وتوجوا روبرت امبراطورا ، وعاش الملك لاسكارس ما شاء من السنين والفصول ملكا صاحب مجد وفخار ، وعندما جاء اليه الاجل العام لهذا العالم ليموت ، مات عن ابن هبى يافع قاصر ، وكان قد أمر باستدعاء كير ميكائيل بالابولوغوس الرجل الاول بين الروم ، حيث كان رجلا شريفا ، والرجل الاحكم بين الروم ، وأسلم اليه ابنه أولا ، ثم حكم كل الامبراطورية ، وتحت القسم تسلم ، سلم له أبا حقيقيا للملك ، وهكذا كانت الاوامر بأن يسمى ، وحالما توفي الملك أعطى بالابولوغوس الاوامر بتموين القلاع ، ووضع حراسا جيدين ، أقسموا قسم الولاء لاسمه ، وتقبل قسم القادة جميعا والعموم في كل الامبراطورية ايضا ، وعندما حاز على كامل السلطة مجد جميع نبلاء الامبراطورية ، ومنح بعضهم هدايا ، وأعطى آخرين مينا ، وحالما حقق رغباتهم كلها ، خذق وقتل سيده الصغير الابن الحقيقي للملك لاسكارس . انظر الاثم والشر الذي ارتكبه ذلك الحقير ، بقتل سيده والاستيلاء على سلطاته ، من يسمع بهذا ويقول ، بأن الناس الذين

لا يلتزمون بالصدق ولا بالقسم يؤمنون بالرب؟ لماذا يقسم لك أولئك الذين من السلالات غير المعمة ، وهم حسب عاداتهم وشريعتهم التي يتبعونها يقبلون بالموت ولا يرضون بالحنث بالقسم ولكن الروم الذين يقولون إنهم يؤمنون بالمسيح ، كلما زادوا من قسمهم لك وأكدوا إيمانهم ، كلما كان تأمرهم هناك ضدك أكثر لخداعك ليحصلوا على ممتلكاتك أو لينبذوك (٨٧) وللأسف ماذا يكسبون بالخطأ في حق الرب ؟ وكيف بهرهم تماما الالتم الذي ارتكبوه ، حتى انه جريهم من ولاياتهم ، وأصبخوا عبيدا لكل العالم (١٢٦١ - ١٢٨٨) أي شعوب أخرى توجد في العالم اليوم تباع كعبيد غير الروم ؟ ولكن كما يفعل كل رجل فإنه يلقي.

غير أن القصة التي بدأت أروينا واكتبها ، سأتابعها حتى أنتهي منها! بعد أن قتل كير ميكايل بالايولوجوس ، سعيده الصغير ، الابن الحقيقي للملك لاسكارس ، واستولى على السلطة على كل الامبراطورية ، جمع الجيوش من الاتراك والامم الاخرى ، وتعهد بحرب يقاتل فيها الفرنجة في آسيا الصغرى ، حيث كان له الامتياز.

والآن لم يكن الامبراطور السير روبرت حيا في الوقت الذي احدثكم عنه لأنه قتل قبل ذلك ببضع سنوات ، وكان ابنه بلودين هو الذي يحكم والذي فقد الامبراطورية بسوء إدارته.

وبناء عليه توصل بالايولوجوس الى اتفاق مع الهيئة الحاكمة في جنوا واعطاها غالاتا ، وهي قريبة من المدينة ، عبر الميناء فبنت حيا هناك ومؤسسة كبيرة . (٨٨) وأقسم الجنديون قسما ووقعوا معاهدات مع الملك ، بأنهم سيعفون من دفع العشور (كوميروم) (٨٩) في كل أرض الروم ، فإنهم سيساعدونه بالشواني في كل المعارك ويأنهم سيحصلون على أجورهم كمرتزقة وعلى هدايا إضافية لأنهم كانوا يساعدون بلودين ، وكانوا

يسيطرون على المداخل الى البحر وعلى الطرق البحرية حتى لا تجلب (١٢٨٩ - ١٣٢٤) المؤن الى المدينة من أي مكان .

وعبر مرة أخرى إلى جوار المدينة بأكبر عدد أمكنه أن يحشده من الجيوش (٩٠) وطوق المدينة من البر والبحر ، واذ رأى الروم في المدينة ذلك توجهوا الى تفاهم بسرعة مع بالايوغوس ، واقسموا قسما ، ووقعوا معاهدات وساعدوه على الدخول.

وعندما رأى الامبراطور بلدوين ، أن الشعب الرومي قد خافه هرب إلى القصور القديمة (٩١) مع كل الفرنجة الذين كانوا معه ، وهناك هاجمه الأتراك والروم ، والآن وقد رأى الامبراطور بلدوين أنهم قد عزلوه في القصور القديمة وكان لديه سفينة شحن منقطة النظير ، وكانت كبيرة وفاخرة فصعد إلى ظهرها ومعه ثلاثة آلاف آخرين وغادروا المدينة مبحرين عبر البحر حتى وصلوا إلى موندفاسيا وأرسوا السفينة هناك ، ونزلوا منها ووصلوا إلى اليس ، وكان الأمير غليوم هناك في ذلك الوقت ولما سمع بقدوم الامبراطور ، ذهب للقائه ، ومجده عاليا كامبراطور (٩٢) وأشرع الامبراطور في الذهاب إلى القرب بأمل وتوقع بأن البابا مع الكنيسة ، وملاك فرنسا يساعده ، ويقدمون له الجيوش ومعونة كبيرة حتى يتمكن من العودة مرة أخرى إلى المدينة ، وعليه فقد بقي الكثير من قواته هناك مع الأمير غليوم متوقعين أن الامبراطور سيجمعهم هناك عند عودته التي كان يأمل بها من هناك ، وبقي الذين أسميهم الآن : وكان أولهم السير انسلان ، وكان لقبه توسي ، الذي كان أخا لقيصر المدينة آنذاك والذي تزوج أم السير جيوفري دي تورناي وبقي في الأرض (٩٣) وبعده كان هناك (١٣٢٥ - ١٣٥٤) السير فيلان وكان لقبه دي اودوي . وكان في ذلك الوقت مارشال رومانيا ، وأعطاه الأمير أركاديا هبة (٩٤) وبقي دي بلانكنيس برايسر وكان الأمير وأربعة أخوة ، والاغنيس اثنان آخران ، وكان الاسبيناس آخرين ، وبقي هناك مرشحان لرتبة

فارس (٩٥) بالاضافة إلى نبلاء روم لا أسميهم لكم حتى لا أطيل الكتابة . ومن هذه النقطة وما بعدها سأتوقف عندما أخبرتكم به ، حول الأعمال التي قام بها الامبراطور باليالاوغوس وبلدوين لاني أحاول العودة إلى موضوعي ، كما توليته في بداية مقالتي ، وبناء عليه أدتهى من بداية التمهيد (٩٦)

كيف ربح الفرنجة أرض المورة

إذا كنت متعلما وذههم ما أكتب لك ، وضليعا في الكتب لتلتقط معنى ما أقول فلا بد أنك قد فهمت المقدمة التي نطقت بها في بداية كتابي ، وأخبرتكم فيها بدقة - كبداية للأساسيات ، لقد أخبرتكم بقصة سورية ، وقصة آسيا الصغرى وقصة المدينة ، وكيف غزا الفرنجة هذه الأماكن ، وأيضا إنني سأتي الآن وأنا أحملك معي لأخبركم بدقة ، أن الفرنجة غزوا المورة أيضا .

وإذا كانت لديك رغبة في سماع أفعال الجنود الجيدين وأن تعرف وتتعلم ربما تبلغ مرادك إذا كنت تعرف الحروف ، وتبدأ بالقراءة ، وإذا كنت من الجانب الآخر غير متعلم فاجلس بجانبى واسمع ، وأمل إذا كنت حكيما أن تستفيد لأن الكثير ممن جاء بعدهم بلغوا تقدما أكثر بسبب (١٣٨٣ - ١٣٥٥) روايات الزمن القديم (٩٧) .

وعليه سأبدأ عند هذه النقطة واستمع لما أقول : اختيار كونت شامبين الرائع - الذي حدثتكم عنه في بداية الكتاب ، والذي بدأ ذلك العبور والحملة مع مختلف النبلاء الآخرين ليذهب إلى سورية إلى قبر المسيح - زعيما وقائدا وكبيرا على الجيوش التي كانت لدى الحجاج في ذلك الوقت وسقط ومات كما أخبرتكم (٩٨) وكان له أخوان أخران أصغر منه . وعندما سمعوا وعرفوا أن أولئك الفرنجة الذين كانوا ذاهبين إلى سورية

ببركات البابا ، قد تخلوا عن رحلتهم ، وذهبوا إلى المدينة وغزوا بلاد الروم وأصبحو أمراء تشاور الأخوان معا على أن يبقى أحدهما في أراضيه الموروثة وأن يذهب الآخر إلى بلاد الروم ليكسب أرضا .

حسننا وكما أن جمال الحظوظ الانسانية والاخوة لا يشبه بعضها بعضا لا في المظهر ولا في السحر فإن أصغر الأخوين كان الأكثر مهارة وحكمة بين الاثنين ، ووافق الأخوان على أن يبقى الأكبر في بلاده ، وهي شامبين ، وأصغر الاثنين الذي يدعى السير غوليوم ، وكان له لقب خاص به ، فكانوا يطلقون عليه السالوث ، سيجد من الجيوش بقدر ما يمكنه أن يأخذ معه ، وأنه سينذهب إلى بلاد الروم ليفزو بعض القلاع والمدن ليجعل منها ملكا له (٩٩) . والآن (١٣٨٤ - ١٣٩٩) سلمه الكونت كل ما كان لديه من مال وقال له : بما أنني باق هنا كأمير في قلاعنا وأملكنا الموروثة ، خذ مالنا وممتلكاتنا المشتركة وانذهب ببركاتي العزيزة وبركات أبينا أيضا ، وأمل أيضا أنه برحمة الرب سيكون حظك طيبا (١) .

وبناء عليه جمع واستأجر القوات ، التي أرسلها إلى بور غاندي وذهب عدد كبير من هناك معه ، وحصل بعضهم على أجر كمرتزقة ليأتوا إليه ، وآخرون ممن كانوا قادة الفرسان وكانوا من الناس الأثرياء ، ذهبوا معه ليفزو كل منهم ما يمكنه لنفسه ، وأرسل رسالة إلى البندقية بأن يجهزوا السفن ، وأعد بقدر ما يريد ويحتاج بسرعة ، وفي شهر آذار ذهبوا إلى هناك وعبروا ليصلوا إلى المورة في أول أيار ، ورسوا على الرصيف في مكان يدعى (١٤٠٠ - ١٤٢٩) أخيا ، وهي على نحو خمسة عشر ميلا من هذا الجانب من باتراس (٢) . وبني على الفور قلعة كلها من القرميد . والآن في الوقت الذي أتكلم عنه وفي هذا الفصل ، إن كل أرض المورة التي تضم ما يسمونه البلبونين ، وهكذا يدعونها تحوي على كل اتساعها اثنتي عشرة قلعة فقط .

حسنا وعندما نزلوا إلى البر في أخيا وأخرجوا الخيول من سفن النقل ، ومكثوا هناك يومين حتى يريدها ، ثم ركبوا خارجين ونهبوا إلى باتراس وطوةوا القلعة والمدينة أيضا ، ونصبوا المنجنيقات حول كل الجوانب (٣) ، وأعدوا الأقواس وبدأوا المعركة ، ومن خلال القوات العديدة والشجاعة في القتال في الهجوم الأول اخترقوا المدينة الخارجية ، وبعد أن استولوا على المدينة توصل الذين كانوا في القلعة بسرعة إلى اتفاق أيضا وسلموا الحصن على شروط الاحتفاظ بممتلكاتهم ، كل واحد بيته وما كان له .

وعندما استولوا على باتراس ، وضعوا الحراس وزودوا القلعة وكذلك المدينة بالقوات والأسلحة وبما هو صحيح وموائم ، ومن هناك عادوا إلى أخيا وتشاوروا مع الروم المحليين الذين كانوا يعرفون الأماكن وأحوال كل واحد منها ، وتحدث هؤلاء ونصحوهم بأن أندرافيدا كانت أفخم مدينة في سهل المورة (٤) وهي تقع في السهل ، كمدينة مفتوحة وليس فيها أبراج ولا أسوار (١٤٣٠ - ١٤٥٢) من أي نوع حولها مطلقا ، وعليه انطلقوا إلى هناك رأسا ونشروا ألوية كل واحد من الجيوش ، وعندما اقتربوا من اندرافيدا واندرافيزاوا (٥) ، وعلم أهلها أن الفرنجة قادمون ، خرج النبلاء والعامة مع الصلابان والأيقونات ونهبوا لتقديم الولاء لكونت شامبين (٦) الذي استقبلهم كرجل حكيم جيد ووعدهم بأنه لن يوقع بهم ظلما ، ولن تتعرض أملاكهم لأي ضرر ، بل انهم سيحصلون على المجد والهدايا ومنافع كثيرة ، وأقسم الجميع له بأنهم سيموتون وهم عبيد له (٧) وعندما أرضى مدينة أندرافيدا تشاور معهم حول الاتجاه الذي يجب أن يسير فيه .

وعليه أعطيت له المشورة بأن يذهب إلى كورنث ، لأنها كانت قلعة حصينة قوية وأجمل ما في بلاد الروم ، وكانت العاصمة التي حكمت بلاد البلابونيز بأجمعها والتي تضمها المورة ، حيث

أنه إذا كان الرب أن يأنن بخضوع كورنث فإن كل قلاع أرض
المورة ستؤدي الطاعة بلا معركة أو أعمال بالسيف .

وبعد هذه المشاورة التي تمت كما أخبرتكم عن القوات التي
كانت ستتترك في أندرافيدا ، وذلك التي ستتنزل في
أخيا (١٤٥٣ - ١٤٨٢) ومجموعة ثالثة لباتراس ، وأمر
السفن أن تخرج إلى البحر ، وخرج هو وبقية قوات جيش من
هوستيتسا (٨) ومضوا إلى كورنث. وبعد وصولهم إلى المدينة نصبوا
الخيام حولها وعسكروا.

والآن إن قلعة كورنث تقع فوق جرف شديد الانحدار (إنه تل
صنعة الرب فكيف سيحمده الإنسان ؟) بينما تقع المدينة في
الأسفل بالوادي ، وهي محاطة جيدا بالأبراج والأسوار ، وحدث
أن كان هناك في الوقت الذي أكتب عنه رجل عظيم وجندي مهول
وكان يسيطر على كورنث وأرغوس كحاكم وسيد شرعي ، وكان
يحكمهم باسم ملك الروم - وكان يدعى سفوروس (٩) وكان هذا
لقبه ، وعندما أخبر بأن الفرنجة قادمون قاد النساء والأطفال
إلى خارج المدينة وكذلك الناس الذين يحملون أسلحة صغيرة ،
وقادهم إلى قلعة كورنث : وبقي في المدينة مع كل الذين يحملون
السلح للدفاع عن أنفسهم .

والآن بعد وصول كونت شامبين (١٠) إلى مدينة كورنث كما
أخبرتكم ، ركز قواته وأحاط بها ، وسمح لهم بالاستراحة ذلك
اليوم ، ولكن في الصباح التالي حاصروا بزغ النهار نفذوا أبوابهم
وبدأوا المعركة ، وأطلقوا منجنقاتهم من كل الجوانب على
الأبراج ، ولم تكن الأقواس قاذفة السهام تسمح لأحد بأن يرتكز
على فرج الأسوار ليرى من الذي يقذف (١٤٨٣ - ١٥١٠) .

ووضعوا سلالهم على الجدران ودخلوا على الفور واستولوا
على المدينة ، ووجد أولئك الذين استسلموا رحمهم ، والذين

استمروا في القتال قتلوا بالسيف ، وهرب سيفوروس الذي كان في الواقع رجلا شجاعا مدبرا (١١) ومضى الى القلعة .

وبعد ان استولى الفرنجة على مدينة كورنث أمر كونت شامبنين باصدار إعلان يقول ، بأن الذين من المدن المجاورة لكورنث ممن يقدمون الطاعة ويقبلون به أميرا لهم سيكون لهم حظوة ومنافع .

ولكن الذين يلجأون للحرب لن يلاقوا رحمة ، وبسماع ذلك بدأ النبلاء والعامة أيضا يتجهون صغيهرهم وعظيمهم من مدينة دامالا ومن من بعيدة بعد هاديون أوروس (١٢) وكلهم في لهفة كبيرة وأقسموا وتعهدوا أنهم سيموتون وهم عبيد له ، وتلقاهم بسرور عظيم واندشرت الرواية طولا وعرضا بعد ذلك بأن الفرنجة قد استولوا على حصن كورنث ، وأن لهم أميرا رائعا كانوا يدعونه كونت شامبنين وفي ذلك الفصل من السنة عندما ذهب كونت شامبنين ، ونزل في أخيا كما أخبرتكم من قبل (يبدو لي أني كتبت لكم في مقدمة الكتاب ، أنه بعد عام واحد فقط في الواقع بعد الاستيلاء على القسطنطينية ذهب كونت شامبنين ليغزوا المورة ، كما أخبرتكم) ، وما أن زاعت (١٥١١ - ١٥٤٨) الرواية وسمعت تصادف أن كان بونيفيس ملك سالونيك في الاشيا مع جيوشه ، وكان معه هناك ذلك الرجل الجدير بالثناء الذي كان يدعى سيرجيوفري ولقبه فيلهاردين (١٣) وبناء عليه اتفقوا عندما سمعوا الرواية على الذهاب الى كورنث لرؤية كونت شامبنين كما قرروا ذلك في المجلس وهكذا نفذوا ومضوا الى كورنث ووجدوا كونت شامبنين ، وأقاموا احتفالا كبيرا عندما التقوا هناك لانهم كانوا متلهفين جدا للتجمع مع بعضهم بعضا .

وبعد هذا قرروا بالتشاور أن يذهبوا الى أرغوس ، فأخذوا جيوشهم وساروا الى هناك ، وتقع القلعة على تل ، وهي

محصنة جيدا في حين ان مدينة أرغوس (١٤) الكبيرة تقع في سهل يشبه خيمة مفتوحة ، وبوصولهم الى هناك اشتبكوا في معركة ودخلوها .

وحدث الآن أن سفوروس الجندي الجدير بالثناء الذي كان في حصن كورنث وقد رأى أن جيوش الفرنجة قد رحلت جاء خلال الليل ودخل المدينة بأكثر عدد من الرجال أمكنه أن يحضر معه وأحدث دمارا وفوضى عظيمة ، ومذبحة بين الفرنجة ، الذين تصادف أنهم وماؤهم الثقة ، كانوا في المدينة ، وفي الواقع إن الذين كانوا في صحة جسدية وكان لديهم الوقت ليتسلحوا قد هاتلوا ، أما المرضى وكانوا يرقدون منفعلين فقد ذهبوا على الفور ، ولم ينج منهم أحد ، وفي ذلك الليلة نفسها أسرع الخبر الى كونت شامبنين ، وقد أخبرتهم أنه كان هناك في أرغوس ، وكان شديد الأسى والحزن من أجل المرضى الذين ذهبوا في قرشهم ، وغادر مدينة أرغوس وقد تمون جيدا ، وبقي الجنود الجيدون لحراستها ، وعاد الى كورنث وبعد أن عاد الى هناك توقف مع ملك سالونيك الأسير بونيفيس حوالي ستة أيام أو ثمانية ، في الواقع أقاموا هناك ، ثم التمس الملك (١٥٤٩ - ١٥٧٤) الآن بالانصراف ، وعندها طلب منه كونت شامبنين خدمة ، هي أن يوفر له المساعدة والتموين ، وأن يساعده بطريقة معا من مملكته وكمالك ذبيل حقا وهبه وأعطاه ولاء أمير أثينا ، وكان يدعى السيد العظيم هكذا لقبوه وكان عندئذ أمير أثينا ، وقد أخذوا بالواقع هذا الاسم عن الهلينيين (١٥) وأعطاه أيضا الولاءات الثلاثة لأمرأ يوريديوس وأيضا ولاء أمير بودونستا ، التي كان المركيز يعتقد أنهم يمكن أن يذهبوا عليها منه ، وأن يهتبروه أميرهم (١٦) ولما كان أمير أثينا من بورغاندي فإن أمرأ يوريديوس الثلاثة الذين أتحدث عنهم كانوا من فيرو ومن لومبارديا (١٧) وأمر الملك أن يكتب لهم بالذهاب الى كونت شامبنين ، وعندما ذهبوا الى حيث كان كونت شامبنين ، فإن

الملك نفسه سرحهم في سبيل أن يكون كوندت شامبنين أميرهم ثم ودعهم ومضى في طريقه .

والآن عندما كان السير جيوفري ، الذي جاء مع ملك سالونيك على وشك الرحيل تكلم معه والتمس إذنه بأن يبقى هناك مع أميره الذي كان يعتبره أميره الشرعي ، وأن كوندت شامبنين أنا أخبركم كان يتلف لرويته والاجتماع به والبقاء معه (١٨) (١٥١٥ - ١٦١٥) .

وهكذا بعد أن رحل ملك سالونيك وبقي السير جيوفري ، طلب كرجل داهية من النبلاء الروم المحليين ، والذين عرفوا الأماكن والقلاع والبلدات في جميع أرجاء البلبونيز الموجودة في المورة ، أن يشرحوا له ظروف وأحوال كل واحدة ، وحالما استلم تماما وعرف ، دعا كوندت شامبنين وقال له : أيها الأمير اني كفريب حقا عن هذه الأرض قد استجوبت النبلاء الذين معك ، وبما اني حصلت منهم على المعلومات الصحيحة ، رايت بعيني قلاع كورنث في أرغوس ونوبليون والقوى التي تمتلكها ، واذا كان لك أن تبقى لحاشرتها فاذك ستخسر ما تعهدت به وستدمر ، لأن الحصون قوية وجيدة التعمين ولن تتمكن بأي حال من أن تستولي عليها بالهجوم ولكن كما أخبرت من أناس جيدين من باتراس وعلى مسافة تصل الى كورون (١٩) ان المدن أكثر توزعا ، وهناك حقولا وأماكن مشجرة ، حيث يمكنك أن تمر بحرية مع كل جيوشك ، وعندما تستولي على المدن وتحصل على ولائها ، هل تبقى القلاع والى متى تصمد ؟ وعليه مر السفن أن تذهب في البحر ، ودعنا نذهب جميعا بطريق البر ، وبعد أن نصل الى هناك حيث توجد قوالتك في الأراضي التي استوليت عليها ، أمل أن يقدر لك برحمة الرب أن تحصل على ربح كبير .

وبسماع هذا شكر النبيل كوندت شامبنين مارشاله كثيرا وأمر بأن تمون كورنث ، وترك جيوشا جيدة لحراسة الأرض ، كما

قال السيرجيوفري تماما وأشار ، هكذا نفذ ونهبوا الى
المورة ، وخرجوا من باتراس ووصلوا الى أندرافيدا حيث كان
النبلاء سهل المورة ، وعندئذ جمع السيرجيوفري كرجل حكيم
النبلاء وقال لهم : أيها النبلاء والأصدقاء والأخوة والرفاق من
الآن فصاعدا ، انظروا وحدقوا في هذا الأمير الذي جاء هنا الى
أراضيكم ليستولي (١٦١٦ - ١٦٤٨) عليها ، لانه قدوا أيها
النبلاء جاء من أجل الأسلاب أو ليأخذ الملابس والحيوانات
ويرحل بعد ذلك من هنا ، اني أخبركم بهذه الحقائق لأنني أرى
أنكم رجال حكماء ، انظروا جيوشه وطلعته النبيلة ، إنه أمير
وإمبراطور وقد جاء ليستولي وليس لديكم أمير يحميكم ، وإذا
كان لجيوشنا أن تتقدم لنهب أراضيكم وتستولي على مدنكم
وتذبح رجالكم فماذا تفعلون بعد ذلك عندما تندمون ؟ وعليه
يبدو لي أنه من الأفضل أن نقيم علاقات ودية ، بحيث لن يحدث
القتل والسلب وأخذ الأسرى في أراضيكم وممتلكاتكم ، وعلى
العقلاء منكم ممن يعرفون الآخرين من أقاربكم وأصدقائكم
ورفاقكم أن يؤثروا عليهم ليقدّموا الولاءات (٢٠)

وعندما سمع النبلاء ذلك قدم الجميع الطاعة له وأرسلوا
مبعوثيهم الى كل الأماكن التي يعرفون أن فيها أصدقاء وأقرباء
لهم ، وبينوا لهم الأمر وأعلموهم به ، وأرسلوا لهم قسولا
رقيقا (٢١) ليأمن كونت شامبنين بأن كل من سيمضي ليقدّم له
الولاء سيحتفظون بميراثهم وسيعطيه الميزيد وكل من يستحق
وثبت أنه نافع سيكرم جدا .

وعندما سمع النبلاء والعامّة هذا بدأوا يدخلون وقدموا
الطاعة جميعا ، وعندما اجتمعوا في أندرافيدا عقد نبلاء اليس
وكل ميزاريا (٢٢) اتفاقا مع كونت شامبنين بأن كل النبلاء
الادنى الذين يملكون أقطاعات على كل منهم الالتزام بالبيعة
وبالخدمة العسكرية المتفقة مع مراتبهم ، وبذلك سوف يبقى له

من الاراضي والباقي وهو القسم الأعظم سيققسمه الفرنجة بينهم ، وسيبقى الفلاحون في القرى كما وجدوهم (١٦٤٩ - ١٦٧٦) وعينوا ستة من النبلاء وستة آخرين من الفرنجة ليوزعوا الأراضي والاقطاعات (٢٣) .

وعندما أنجزوا ما أخبرتكم به جاء المارشال السيرجيو فري الى المجلس وقال لكونت شامبنين ، يا أمير يجب أن تدركوا وتفهموا أنكم بعيدون جدا عن أملاككم الموروثة ولديكم هنا جيوش كثيرة مأجورة ، والسفن تكلف أكثر من القوات ، ولهذا السبب أقول لكم وأنصحكم أن لاتضيعوا وقتكم وقواتكم ، لقد علمت من نبلائكم أنه قريب منا تقع قلعة بونديكوس (٢٤) وهي على الساحل ، فلنذهب الى هناك ، ووراء هذه أركايا (٢٥) وبعدها كورون (٢٦) وعلى بعد قليل فقط منها كالاماتا (٢٧) وتقع هذه القلاع الأربع التي سميتها على الساحل ، وأقول هذا لكم ، يا أمير طالما أن لدينا السفن ، دعونا نذهب الى هناك لنستولي على هذه القلاع ، التي لها موانئ في أماكن مناسبة لنا ونجدها قريبة التناول (٢٨) °

وعندما سمع النبيل كونت شامبنين وبقية القادة الآخرين في المجلس هذه الأشياء شكروا السيرجيو فري ، وأقروا قوله وأعدوا أسلحتهم وكذلك سفنهم ، ووصلوا الى بونديكوس وهاجموها ، وكانت القلعة منخفضة الأسوار فأخذوها بالسيف ووضعوا بداخلها قوات جيدة كحرس (١٦٧٧ - ١٧٠٢) وعندما تم تموين قلعة بونديكوس ، أبحرت سفنه ومضت في البحر في حين وصل الى أركايا ويابرا ، ووجدوا البحر هائجا ولم يجدوا مرسى للسفن .

وعليه قرروا بالتشاور أن لا يهاجموا القلعة في حينه ، لقد ذهبوا الى هناك وقتها ولكن حيث أنه كانت لديهم السفن للذهاب الى القلاع التي كانت على الشاطئ ولها موانئ فان بعض مشاتهم

على أي حال اندفع وشق طريقه بالقتال الى داخل القرية (٢٩) وقتلوا كل من أسروا بالسيف في مكانه على الفور وبخل كل من تمكن من الفرار الى القلعة .

وبناء عليه زدوا السسفن ومضوا حــــالاً الى ميثون (٣٠) فوجدوا القلعة مهجورة ، وكانت مدمرة تماما ، وكان البنادقة قد دمروها في وقت سالف ، ثم انطلقوا ومضوا الى قلعة كورون ووجدوا القلعة منخفضة الاسوار والابراج وكانت تقع على جرف شديد الانحدار (٣١) ومحصنة ، وبوصلهم الى هناك أحاطت السفن بها من كل جانب وبدأ الفرسان والمشاة في القتال ، ونصبوا المنجنيقات وضربوا بصورة متكررة على المحصورين في الداخل ، ولم يكن في الواقع لدى أولئك الكورنيين الذين كانوا بداخل القلعة أية إمكانية للصمود فوق الأسوار (١٧٠٣ - ١٧١٦) وهم يرون كثرة القوات وجراءة الهجوم ، فرضخوا طالبين العفو اذا سلموا لهم الحصن مع شرط ان يقساموا لهم بأن تكون لهم بيوتهم وممتلكاتهم ، واذ سمع السيرجيوفري ذلك وعدهم مسرعا ، وسكنت المعركة وبخل الفرنجة وتسملوا القلعة ونقلوا المؤن الى قواتهم وخرجوا في اليوم التالي ومضوا الى كالاماتا . فوجدوا القلعة متهدمة ، وكانت تستعمل كبير ، وعندما وصلوا أمامها هاجموها وأخذوها بالسيف ، وسلمها المدافعون عنها بالشروط نفسها مثل الآخرين (٣٢) .

والآن حــــالاً ســــمع الروم في نيكلي (٣٣) وفي فيليغوستي (٣٤) (١٧١٧ - ١٧٣٤) وليكييمونيا (٣٥) تجمعوا معا وجاء الفرسان والمشاة من قرى ميلنفر (٣٦) وقرى لاكوس (٣٧) الى كريسوريا ، حيث علموا أن الفرنجة قد بلغوها وبدأوا يخرجون من القرى للنهب ، وأعلنوا وخططوا لهزيمتهم واقتيدوا الى مكان يدعى كابكيانوس ، ونقطة تحمل اسم (بستان زيتون كونتورا) وكان هناك ٥٠٠ رء منهم بين فرسان ومشاة ، والآن

عندما عرف الفرنجة ذلك أيضا من الروم الذين كانوا معهم ، والذين كانوا يعرفون الأرض ، وقادوهم الى هناك ، ذهبوا ووجدوهم واشتبكوا بالقتال ، الفرنجة والروم (٣٨) وكان عدد مشاة الفرنجة وفرسانهم ٧٠٠ فقط ، فهذا كان تعدادهم وحجمهم ، وبدأ الروم المعركة بلهفة لأنهم رأوهم قلائل جدا ، وندموا فيما بعد لماذا أخبركم بكل هذه التفاصيل (١٧٣٥ - ١٧٦٣) وما هو كسبي ؟ لقد كسب الفرنجة المعركة في ذلك الوقت ، وقتلوهم جميعا ، وفر القليل منهم ، وكانت هذه هي المعركة الوحيدة التي خاضها الروم خلال الوقت الذي غزا فيه الفرنجة المورة .

وبعد أن اخذ الفرنجة كالاتا وجدوا الأرض خصبة ، رحيبة وبهيجة بحقولها ووفرة مياهها ومراعيها ، وأعطى كونت شامبين الأوامر لكل سفنه بأن تأتي كل واحدة منها الى حيث كان ، لأن نبلاء الروم أخبروه بأنه لن يحتاج اليها بعد ذلك ، وعليه أمر بأن تنزل المؤن والأسلحة الكثيرة والمنجنقيات من سفن الشحن ، وبينما كانوا يعبرون أرض كالاتا ، وبينما كان يريح خيوله وقواته أيضا ، تشاور حول الى حيث يركبون ويتجهون ، وبناء عليه قال الروم والقادة في مجاسه بأنهم يجب أن يذهبوا الى فيلوغوستي ومن هناك الى نيكلي ، لأن تلك كانت الأماكن الرئيسية في كل المورة ، وتقع كل منهما في السهل وأنهم سيأخذونها بسرعة ، ومن هناك علاوة على ذلك عليهم أن يذهبوا الى ليكيميونيا . ثم قال المارشال السيرجيوفري وأشار بأن يذهبوا الى أركابيا ويستولوا على القلعة حتى تتوسع الأرض ، وأن يرسلوا القوات ضد أركلوفون الذي يقود الدورونفوس ، الذين يسلمون سكورتا (٣٩) وكانت قلعة صغيرة ولكنها تقع فوق تل صخري ، وكانت جيدة التحصين ، وقيل أن أحد الفوتساراداز كان يسيطر عليها ، وكان اسمه دوكا باتريس (٤٠) وكان جنديا عظيما ، وبعد أن ناخذ هذا المكان وتتسع أراضينا (١٧٦٤ - ١٨٠٣) دعونا نذهب الى تلك الأماكن الأخرى ، كما أشار السيرجيوفري هكذا فعل كونت شامبين

نفسه ، وقرر أن يكون ، وأمر بأن تصدح الأبواق وركبوا مباشرة وانطلقوا مفادين ، ووصلوا إلى أركانيا ساعة الظهر ونصبوا معسكرهم وأعدوا خيامهم في الميدان ، وطلبوا القلعة ، ولكنهم لم يتخلوا عنها لأن القلعة تقع على قمة صخرة ، وكان لها برج قوي يعود تاريخه حتى إلى زمن الهيلينيين ، وكانت لديهم مؤن وفيرة وكانوا يأملون في الصمود في المعركة أمام الهجوم ولا يستسلموا (٤١) . ومرت اليوم وبزغ فجر اليوم التالي وأمر الشامبني بأن تنصب المنجنيقات وبدأوا القتال حول القلعة ، ومن أحد الجوانب هاجموا بالمنجنيقات ، في حين كانت الأقواس والنشاب في الخلف والأمام ، وعندما رأى الأركانيين الذين كانوا في القلعة أنهم لن يصمدوا أمام الهجوم القوي ، أرسلوا رسالة مدوية تطلب وقف الهجوم ، واتفقوا على تسليم القلعة ، وأمر المارشال السيرجيوفري على الفور الجنرالات بوقف الهجوم ، وطلب الأركانيين بأن يعفى عنهم وأن يعطوا هم واتباعهم الأمان ، وبسرعة أقسموا قسمهم وسلموا القلعة .

وبعد أن تسلم الشامبنيين القلعة مكثوا هناك يومين فقط ، ثم وصل مبعوثون موثوقون إلى هناك ، وكانوا يحملون رسائل أحضروها من فرنسا وأعطوها للشامبني وانحدوا أمامه ورجوه شفاها (أن يعلن الرسائل) وبحزن والدموع في عيونهم قالوا : « اعلم يا أميرنا أن أخاك قد توفي ، ذلك الذي كان أخاك الكبير كونت شامبنيين (٤٢) ويلح نبلاء ولايتكم وكل الفرسان وعامة الناس أيضا وهم عبيدك ويتوسلون إليك أن تذهب بسرعة إلى هناك لأنه ليس لديهم أمير شرعي آخر سواك ، وملك فرنسا الذي أخذت منه أقطاعاتك راغب جدا ونافذ الصبر في انتظار (١٨٤٣ - ١٨٤٤) وصولك فوراً ، وقد كتب لك أقاربك وكل نبلاء الغرب يتوسلون إليك أن تذهب بسرعة إلى هناك .

وعندما سمع الشامبني النبيل تلك الكلمات ، أسف جدا كرجل حكيم شاب وبكى طويلا ، وبخل في حزن عميق ، ثم أمر باستدعاء

قاعة جيشه ومستشاره الاول السير جيوفري ، وتكلم معهم كرجل حكيم وقال : ايها النبلاء والاصدقاء والاخوة والرفاق والجنود ، ان الرب شهيد على الاسى الذي اشعر به موت سيدي واخي وعلاوة على ذلك ، فاني حزين ايضا واشعر بهلق عظيم لذلك الذي تمهنت به ، وتابعته الى النهاية ، فلقد ضيقت آمالي وقد أقيت على الارض ، وحدث لي العكس في كل مقاصدي ، ومع ذلك كما سمعت دائما من الرجال المدسنيين (٤٢) الذين اخبرونا وأعلمونا - نحن الذين عانينا من سوء الحظ ، ان نصبر وبهنا سنكسب ، وعليه أقول لكم ، أتوسل اليكم جميعا ان تشيروا كما يجب ويناسب حتى يمكن أن أقوم بالشيء الصحيح كما يليق بشرفكم حتى لا يجد أحد عيبا فيكم وانهم اتباعي .

وبناء عليه فان هذا هو المجلس ، الذي انعقد وفيه قام السير جيوفري ، كونه المارشال ومعه اسقفان وفارسان وخمسة نبلاء آخرين بترسيم الاراضي معطين لكل رجل حسب منزلته ورتبته والاسلحة والقوات التي لديه في الجيش (٤٤) وعليه جلس هؤلاء الرجال العشرة معا وحدهم وأعدوا قائمة بالقوات وقسامة الجيش ، وبعد أن أدرجوا الاراضي في قوائم ووزعوها ، أحضر العشرة الذين تكلمت عنهم كما فعل الشامبني نفسه ولأنه لم يكتب في التوزيع شيئا للسير جيوفري ، مارشاله لقد نهش كثيرا وأعلن شكره له على ترتيباته (١٨٤٤ - ١٨٧٨) وحكمته وكرمه ، وبناء عليه تكلم معه : سير جيوفري قال له - أمام الجميع حيث دعاه وتحدث اليه بصوت مرتفع : « لقد علمت وأقول لكم بصدق ، أنكم أعطيتكم المبادرة المحرصة الاولى والنصيحة في ذلك الوقت لاميري واخي من أجل الحملة السورية ، وكان قد جعل قائدا (٤٥) وعندما حدث لسوء الحظ الكبير ان توفي اخي ، فانكم لم تعانوا بأي حال من أن الحملة قد تم التخلي عنها ونهبت جميعا الى رومانيا واستوليت على المدينة ، وفي الواقع ان كل الانجازات والاعمال العظيمة قد اشرتم بها ورتبتموها وعندما سمعتم بأنني جئت الى هنا الى المورة ، تركتم الحصنة التي كانت

مستحقة لكم من الاستيلاء ومن الامبراطور بلديين ومن كل رفاةكم وراءكم وجئتم الي ، وسيكون اثما ولو ما كبيرا أن لا اكافئكم بشكل موافق ولائق .

وبناء عليه أريد أن أعطيكم ملكا لكم أراضي كالاماتا وأركايا والأراضي المحيطة بهما (٤٦) ومنحه فورا خاتما نهيبا ، وعندما تم منحه وقدم له الولاء ، دعاه مرة أخرى وقال له : سيرجيوفري ، من الآن فصاعدا ستكون تابعا لي ، لأنك تملك الأراضي بسلطاني ويتعين عليك أن تكون مخلصا لي في كل شيء ، ومن جانب آخر اني اخولكم بكل شؤوني ، وحيث أن علي أن اذهب الى فرنسا ، فأني أمرك وأطلب اليك اخلاصا لي أن تتسلم وتملك الأراضي التي ربحتها هنا في المورة وأن تحميها من أجلي ، وستكون نائباً لي بالطريقة والهدف الذي يعطيك السلطة التي لي ، واذا ماراق لي من جانب وحدث (١٨٧٩ - ١٩١١) أن أرسلت أحدا من رجالي من بين أقاربي ، في غضون عام واحد ، فعليك أن تسلمه الأرض والسلطة ، وأن تبعد يدك عنه ، واذا من جانب آخر مر الزمن ، زمن السنة الواحدة المحدد ، ولم يأت أحد ليتولى السلطة فانها أراذتي ورغبتني ، وبذلك أعطيك كلمتي بأنك ستبقى سيذا وأميرا بعدي ، سيذا وأميرا بالوراثة (٤٧) .

وبناء عليه انحنى السيرجيوفري الرجل الحكيم أمامه وتكلم شاكرا أباه للثناء والتشريف الذي شهده ، وثانيا للهدايا التي أعطاه إياها ، وهكذا ان النيابة على المورة والسلطة على الأرض التي تلقاها طبقا للشروط الموضوعة من قبل الشامبني ، والتي أمر بأن تدون الوثائق المتضمنة لها ، قد أبرمت مع القسم ، ثم وضع الفرسان والاساقفة وقادة الجيش اختامهم عليها .

وحالما أنجزت هذه الاتفاقات تجهز الشامبني ، وانطلق مغادرا ، وقام بالانطلاق والمغادرة واصطحب معه فارسين اثنين واثنى عشر سيذا رفيقا ، وقام بالعبور في إحدى الشوانى ، ومضى

الى البندقية وعبر مباشرة الى فرنسا والى شامبين ، وبقي السير جيوفري في الارض سيديا لها .

والان بعد ان بقي السير جيوفري كغائب للملك واميرا على المورة ، كما اخبرتكم امر بان تتجمع قواته في اندرا فيدا التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطة الادارة وحالما اجتمع الكبار والصغار فيها ، دعا بالسجل الذي دونت فيه حصة كل رجل وماخصص له التعرف والادارة من قبل الشامبيني (٤٨) . وفيه ادرج كل المستفيدين (١٩١٢ - ١٩٣٨) .

وكان اول من ادرج في القائمة هو السير غوتيردي روزيير ، وهكذا كان لقبه وكان يدعى ، وقد تملك حصة اربعة وعشرين فارسا من الارض ، واعطي املاكا في ميزاريا ، وبني قلعة هناك واسماها ، اكوفا ومازالت تسمى هكذا .

وكذلك اعطي مثله للسير هورغ دي برويير ، وهذا لقبه ، واعطي املاكه في درنغوس في سكورتا ، وخصص له حصة اثنين وعشرين فارسا من الاراضي .

وعندما تسلم اقطاعاته بنى قلعة هناك سميت كارتانيا كما ماتزال تدعى ، وكان له ابن ، هو السير جيوفري امير كارتانيا ، وهكذا كان اسمه ، وكان جنديا شهيرا في رومانيا (٤٩) ثم جاء بعده في القائمة بارون ثالث ، السير غوليوم ، وهكذا كان يدعى ، وكان لقبه المان وسجلت له بائراس للتملك والتصرف مع كل توابعها .

ثم خصصت له بعد ذلك بارونية السير ماثيو ، وكان لقبه مونس وهكذا عرف وملك قلعة فيليغوستي ، وحصة اقطاع اربعة فرسان وكان له ان يحمل علما (٥٠) .

ثم جاء بعده في القائمة سير غوليوم آخر لينال قلعة نيكلي مع ست حصص من الارض (٥١) .

ثم جاء بعده اخر في السجل وهو السيرغي ، وكان يدعى بلقبه دي نيفليت ، واعطي ست حصص ليعملها في شاكونيا وقد بني قلعة هناك اسمها غيراكي (٥٢) (١٩٣٩ - ١٩٥٤) .

واقطع السيراوتون دي نورناي ايضا ملكية كالا هريتا مع حصة اثني عشر فارسا .

وتلاه في القائمة السير هوغ دي ليلي ، لياخذ حصة ثمانية ، فرسان في فوستيتزا وقد تخلي عن لقبه ودعي باسم كاريفني (٥٣) . وبالنسبة لالسيرلوك ، فقد اعطي فقط حصص اربعة فرسان ، تجاور غريتسينا ووادي لاكوس (٥٤) واعطي السيرجان دي نويلي ، باسافا ، اربع حصص وكان له ان يحمل علما ، وان يكون مارشالا وان يبقى هذا المنصب وراثيا (٥٥) واعطي السير روبرت تريمولاي اربع حصص ، وقد بني كالا ندرتيزا ولقب بالامير (٥٦) واعطي للاستبارية اربع حصص ، واعطي للداوية اربع اخرى ، وكان لها ان ترفع علما وكذلك اعطي الالمان اربع حصص يملكونها في اراضي كالاماتا (٥٧) واعطي مطران باتراس (١٩٥٥ - ١٩٧٤) وكهنته ملكية حصص ثمانية فرسان ، واعطي اسقف اولينا اربع حصص واساقفة ميثون وكورون مع كهنتهم اعطي كل منهم اربعا ، وكذلك اساقفة فيليغوستي ونيكلي ، حيث لكل منهم اربع حصص ومثلهم اسقف ليكنيمونيا (٥٨) .

وكل اولئك الذين تسمعي انكرهم بالاسم كانوا في ايام الشامبني قد ادرجوا في سجله ومنحوا الاقطاعات ، والفرسان الذين كانت لهم حصة ، وكذلك حاملوا الدروع (٥٩) الذين اقطعوا لم اسمهم بسبب مايتطلبه ذلك من كتابه مطولة ، وبعد تلاوة السجل طلب السيرجيوفري مشورة القادة ، ورؤساء الاساقفة والاساقفة حول

كيفية وضع وترتيب التعليمات التي تتعلق بكيفية تأدية المقطعين بالاقطاعات لخدماتهم ، حتى يحافظوا على سلاحهم والاغارة بالسلاح فانها ستفقد مرة اخرى .

وبناء عليه تمت في مجلس عام بحكمة كبيرة مناقشة وترتيب ووضع ان الذين حصلوا على اربع حصص لهم ان يملكوا اعلاما وان يكونوا من قادة الفرسان ، وان كلا من هؤلاء سيكون له الى جانب علمه فارس يسير معه واثنى عشرة من حملة الدروع ، وان الذين ملكوا وكان لهم اكثر من اربع حصص لهم في مقابل كل حصاة ان يعطوا ويجهزوا اثنين من حملة الدروع الراكبين او فارس واحد ، والفرسان الذين يملكون حصاة ، يلتزم كل واحد منهم ، ويطلب منه ان يخدم شخصا كالترام : ومثل هذا الذين يسمون (سرجندية الاستيلاء) على كل منهم ان يقدم الخدمة بنفسه .

واعلنوا ورتبوا انه بما أنهم كانوا في حرب فان قسما منهم عليه أن يحمي الأراضي التي غنموها ، وأن يغزو الآخر ، تلك التي لم يحصلوا عليها ، وأن الخدمة الالزامية لكامل السنة ، يجب أن تجدر على الترتيب والنحو الذي أدرجه فيما يلي : أنه من بين الشهور الاثنى عشر في السنة يمضي كل رجل اربعة شهور في الخدمة العامة في الحاميات (٦٠) حيثما يريد الأمير ، وأنه في الشهور الأربعة التالية نذهب في جيش الى حيث يحتاج ويريد أمير التابع ، وفي الشهور الأربعة التالية يمكن للاقطاعي أن يكون حيث يشاء (٦١) وبالنسبة لما اعلنوا بأن هناك خدمة على مدار السنة ، فانه يعود الى تفضيل الأمير ايا كان أن يأخذ (٢٠٠٢ - ٢٠٢٣) من الشهور الاثنى عشر ما يشاء ، ولم تكن الكنيسة والساقفة والداوية والاستبارية ملزمين بأداء واجب الحاميات ، ولكنهم كانوا ملتزمين بأن يكونوا مستعدين بكل الطرق مثل الاقطاعيين للمساعدة ، في الغارات والمعارك حيثما يحتاج الأمير وعندما تتطلب حاجة البلد.

ومثل هذا تقرر هذا المبدأ لرؤساء الاساقفة في كل الكنائس أن

وبعد ذلك عبروا راسا الى نيكلي التي تقع في سهل ، والان برؤية جيوش الفرنجة والروم الذين كانوا معهم ، حصن نبلاء نيكلي الابراج بأي قوات ، وبأي اسلحة كانت معهم ، وكانت الاسوار عالية وكلها محكمة الرصف والملاط ، وقد تلقوا الهجوم بلهفة وصمدوا مدة ثلاثة ايام في وجه الهجوم على القلعة ولم يسلموا بأي حال ، وعندما ادرك جيوფري ذلك امر باحضار خشب لصنع خنازير (مثاقب لزعزة الاسوار) (٦٢) ، ومنجنيقــــــــــــات (٢٠٣٨ – ٢٠٧٢) واقسم بانه لن يغادر المكان قبل الاستيلاء على حصن نيكلي بالسيف ، وانه اذا اخذه بالسيف فلن يرحم نفسا واحدة . وعندما سمع الروم ممن كانوا مع الفرنجة ، ولهم اقارب بداخل القلعة هذه ، نادوهم واعلموهم بذلك ، وبانهم ان لم يذعنوا ويسلموا القلعة واخذت بالسيف فسيقتل الجميع . وحالما سمع كل النكليون هذا تشاوروا معا وسلموا القلعة ، وسلموها باتفاقات بان يحتفظوا باملاكهم .

- 423 -

الحقيقة مصممين جدا على عدم الاستسلام واحاط الفرنجة بالمدينة خمسة ايام مع هجمات لاتتوقف ليلا ولانهار ونصبوا المنجنيقات التي احضروها معهم من نيكلي °

وحالما بدأوا يعانون من الخسائر وتضررت الابراج ، استسلموا بسرعة ، بشروط ومع القسم بان يحتفظوا ببيوتهم والاقطاعات التي يمتلكونها .

وبعد ان استسلم الليكديميون اتخذ السير جيوفري مراكز هناك ، واعطى اوامر لجيوشه بان يبدأوا الطواف لجمع الاسلاب في ارض تساكونيا حتى هليوس وفي فانيكا وفي مونمفاسيا (٦٣) .

وبناء عليه جاء نبلاء ليكد يمونيا ، ونبلاء نيكلي ايضا ، الذين يملكون اقطاعاتهم في تساكونيا وفي الاماكن الاخرى ، حيث كانت تلك الجيوش تغير ، جاؤوا وتكلموا مع السير جيوفري ، وطلبوا منه ان يامر جيوشه بان توقف الاغارة ، وان القرى ستؤدي الطاعة وان يجعلوه اميرا عليهم ، ولانه كان عقلانيا (٢٠٧٣ - ٢١٠٧) في كل شيء ، نبه النبلاء ، وامر جيشه بالعودة .

وبناء عليه امر ان ياتي قادة مجلسه ليمثلوا امامه ، اولئك الجنود الذين اقطعوا (٦٤) البلدان ، ومن ثم امر ان يدون كتابة في السجلات كل ما تم كسبه ، وما تم غزوه منذ رحيل الشامبني . ودعا النبلاء وقادة المورة وطلب منهم ان يعلموه بالتمام اية قلعة بقيت دون ان تقدم الولاء ، واجابوه واعطوه هذه المعلومات مازال ينقصك اربع قلاع ياسيدي : الاولى في كورنث ، والثانية نوبليون ، والثالثة مونمفاسيا ، والرابعة ارغوس . وهذه القلاع قوية جدا وحسنة التموين ، ولايمكنك مطلقا اخذها بالهجوم ، واذا كان اميرنا يرغب في الاستيلاء على هذه القلاع فاننا نحن العرق الرومي سنموت عبيدا لك وهذا ما نطلبه ونرجوه ، فامنحها لنا تحت القسم كتابة حتى تكون لنا ولاولادنا ، ومن الان فصاعدا لن يجبرنا احد من الفرنجة

على تغيير عقيدتنا الى العقيدة الفرنجية ، ولاحتى عاداتنا وقوانيننا الرومية .

وتلقى السيد جيوفري هذه الكلمات بقبول حسن واقراها لهم مع القسم وبونت كتابة (٦٥) وبعد ان سوى السيد جيوفري كل الامور للفرنجة والروم ، وحقق لكل رغباته ، وعالج المشكلات في اقطاعاتهم ، احبه الجميع كثيرا صغيرهم وعظيمهم ،

لانه كان جديرا بالتقدير وعادلا بالنسبة للجميع ، حتى ان اكثرهم حكمه تشاوروا حول كيفية الابقاء على ملك اراضي الموره في يديه ، لانه كان رجلا طيبا وعاقلا في كل الامور ، بدلا من ان ياتي من فرنسا بعض النهابين عديمي الخبرة الطائشين ليوقعونا في الفوضى ، وبناء عليه (٢١٠٨ - ٢١١٣) ذهبوا اليه ، واحاطوه علما بجديتهم فاقشعر بدنه من الافعال الشريرة التي لايسمح بها تحت اي ظروف .

وتحدثوا معه مطولا وحثوه كثيرا حتى اخرجوه عن حكمته ، وقبل بالخطه التي ستنفذ والامور التي ستحقق (٦٦) وبناء عليه دبروا ليعوقوا بخطه وضيعة كل من يتصافى مجيئه من فرنسا وان يمنعهو ببعض الوسائل من الوصول قبل حدود نهاية الوقت الذي حدده الشامبني .

وبناء عليه ارسل السيد جيوفري كرجل واع فارسا كان لديه ويثق فيه ، وذهب الى البندقية وراسا الى الدوج ، وكانت هناك صداقة وحب وصلة بينهما ، وارسل اليه هدايا وتوسل اليه بحرارة ان يفعل شيئا ليؤخر مجيء من يتصافى ان يرسله الشامبني ؟ وقد ارسل الان فارسا اخر الى فرنسا للاصدقاء والاقارب الذين له من شامبين .

والان عند هذه النقطة ، ساتوقف عما كنت اكتبه واخبركم حول

السير جيوفري وحتى اخبركم بدقة عن هذا النبيل كونت شامبين (٦٧) وكيف اصاب نجاحا جيدا . عندما وصل الى هناك بعد ان سافر الى فرنسا من اجل ممتلكاته . والان بعد ان انطلق الشامبني من ارض المورة وسافر الى فرنسا ، وحمل الى شامبين ، التي كان يخبها كثيرا (٦٨) واستقبله اقاربه استقبالا حسنا ، وانطلق مسافرا الى ملك فرنسا ، ووجده في باريس مع نبلائه ، وكانوا يحتفلون بعيد الحصاد بالطريقة المعتادة لدى الفرنجة (٦٩) وكان الملك سعيدا جدا بالكونت ، لانه رأى انه عاد من رومانيا وهكذا ايضا كان البوقات النبلاء والكونتات ، الذين كانوا رفاهه واقاربه.

وحالما تبادلوا الهدايا مع بعضهم بعضا قدم ولاءه للملك عن الاقطاعية وطلب منه الاذن بالسفر ، وعاد الى شامبين ، وحالما عاد الى ارضه (٢١٤٩ - ٢١٩٠) واصبح اميرا وبينما كان ينظم ارضه وشؤونه مضى ثمانية شهور كانت كثيرة في عددها ، ثم تذكر الاتفاقات التي ابرمها مع السير جيوفري فيما يتعلق بارض المورة ، وكان لديه امل قوي وذقة عظيمة فيه ، حتى انه لو ارسل اليه احد اقاربه ، فانه سيستقبله كامير له وسيسلمه الارض ، وبناء عليه اجرى مشاوره مع اقاربه حول من الذي يجب ان يرسله الى المورة ككاتب له وامير ، وكان لديه ابن عم موثوق يدعى روبرت : وكان بابا لانظير له في كل شيء . واستدعاه كونت شامبين وقلده منصبا واعطاه سلطة على ارض المورة ، وامر بان تدون على الورق كل المزايا وتسليم المالكية التي عليه ان ياخذها معه ، واعطاه مالا كثيرا وحاشيته من اربعة فرسان و٢٢ من حملة الدروع ، وغادر شامبين في مطلع تشرين الثاني ، (٧٠) وعندما جاء الى سافوي لعبور الجبال ، وجد الذلوج كثيفة وسميكة على القمم التي تفصل فرنسا عن لومبارديا ، ولم يتمكن باي طريقة من ان يمر عبرها وكان عليه ان يتاخر هناك شهرا او اكثر ، وحالما اصبح قادرا على اجتياز الجبال خرج من لومبارديا وسافر الى البندقية ، حيث وصل في بداية كانون الثاني ، بامل ان يجد سفينة ليقوم بالعبور .

وعندما ابلغ الدوج بان روبرت ابن عم الكونت قد جاء - وكان قادمًا من شامبين ليذهب الى المورة - دعا اميرا له واخبره سرا بالامر وبخطة اعاقته وانه عليه ان لايعطيه سفينة ليذهب الى المورة وعندها استدعى الدوج روبرت وأظهر له تشريفا كبيرا وتشجيعا وأدبا حتى يثق به وحتى يخدعه ، واستبقاه كثيرا بكلماته الجميلة ، وتذرعاته وخدعه واعذاره الزائفة حتى أنه تأخر في البندقية نحو شهرين وأكثر ، ولكنه في النهاية أعطاه سفينة مسلحة حدث أنها كانت متجهة إلى كريت وأمر الكوميتاس (٧١) قائد السفينة (٢١٩١ - ٢٢٢٥) أن يتركه عندما يعبر كورفو ، لقد مضت الامور كما اخبرتكم تماما ، وحالما وصلت السفينة الى قلعة كورفو ، استدعى الكوميتاس روبرت وقال له : « إن هناك أضرارا أسفل السفينة ويجب أن نقيم لاصلاحها ، وعليه يا أخي الطيب دعنا نأخذ أمتعتك منها حتى تخف ، حتى يمكن اصلاحها » .

واذ صدق الآخر أمر بنقل أمتعته إلى القلعة ، بينما نزل في الفندق وعندما مر معظم الليل وعلا صياح الديك نفخ طاقم السفينة صفاراتهم ورحلوا مبتعدين ، وعندما حل الصباح وافاق روبرت واستيقظ ، أخبر بأن السفينة قد غادرت . وحالما أخبر بذلك بدأ يتألم ، ثم أدرك تماما الخيانة التي اقترفت ضده ، وعندما فهم الخدعة سعى حتى لايجاد سفينة يستأجرها ، وحيث أن قائد كورفو (٧٢) ارسل الى الخارج من قبل امير المورة السير جيوفري فانه امر باستدعاء صاحب السفينة وامره وحذره تحت طائلة الإيذاء الجسدي من ان يأخذ السير روبرت ويعبر به تحت اي ظرف.

وفي هذه الاثناء أنزلت السفينة التي كانت في طريقها إلى كريت رجلا في سانت زكارياس ، النقطة التي توجد عندها مدينة كلارنتسا (٧٣) اليوم ، وكان يحمل رسائل من دوج البندقية لاسير جيوفري ، امير المورة يعلمه فيها خطيا بأمر روبرت ، عندما وصل الى البندقية وكيف جرى تأخير شهرين وأكثر وأيضا كيف أن سفينة البنادق

التي كانت في طريقها إلى كريت قد انزلته في جزيرة كورفو . (٢٢٢٦ - ٢٢٧١) .

وكان السير جيوفري في أندرافيدا في ذلك الوقت ، وعندما حضر له البنادقة تلك الرسائل ، مجدهم وأعطاهم هدايا واستدعى أمر قلعة أندرافيدا وأعطاه تعليمات مفصلة حول كيفية التصرف عندما يعبر روبرت ويصل إلى هناك ، ثم ترك أندرافيدا وذهب إلى فليزيري لينتظر حتى يسمع بعض الأخبار حول روبرت .

وعندما أدرك روبرت أسلوب الخداع ، الذي كان البنادقة يخدعون به كما أخبرتهم أسرع يتعجل لإيجاد مركب ليغبر للوصول إلى المورة ضمن الوقت المحدد ، حيث تصادف وجود مركب ذاهب إليها من أبوليا ، وتدبر أمر الصعود إلى المركب الذي أخذه حتى سانت زكارياس ، وسأل أن يدلوه على مكان نائب الأمير وأخبره بعضهم أنه كان في أندرافيدا . وأرسل سرجنديا ليحضر له الخيول ، وقد سافر الأخير على طريق المشاة حتى وصل إلى هناك ، ولم يجد السير جيوفري ، الذي كان قد ذهب إلى مكان آخر ، بل وجد أمر قلعة مدينة أندرافيدا . وعليه تكلم معه وأبلغه رسالته ، أن روبرت كان في سانت زكارياس ، وكان ابن عم وقريب لكونت شامبين ، « الذي جاء ليكون أميرا لكم ، أيها الموريون أرسلوا له الخيول حتى يأتي اليكم هنا » .

وفور سماع أمر القلعة للرسالة ، أخذ معه كل القوات التي كانت تحت قيادته والنبلاء والمواطنين (٧٤) من كل أندرافيدا وأخذ معه كل الخيول التي يحتاج إليها وذهب رأسا إلى سانت زكارياس ، وأظهروا سرورا عظيما برؤية روبرت وأظهروا علامات الاحترام المتوجب وأنهم كانوا مسرورين جدا من أنه يجب أن يأتي ليكون أميرا عليهم وأنهم سيعيشون في خدمته . وبناء عليه تلقوه بسرور عظيم ، وذهبوا إلى أندرافيدا واسكنوه هناك ، وأبدي ابتهاجا عظيما وملاطفة حسنة ، واستقبل الجميع وخاطبهم بعبارات

زاكارياس ، غادر المكان بسرعة وذهب إلى كالاماتا ، ومرة أخرى عندما سمع أن روبرت قادم ، غادر من هناك وذهب مع حاشيته رأسا إلى فيليفيوستي ، حيث وصلوا ظهرا . والآن جاء الذين كانوا مع روبرت به رأسا إلى كالاماتا ، ومن هناك أخذوا الخيول وعادوا . وعليه بقي روبرت وحده تماما ، فاستدعى أمر كالاماتا وتكلم معه وطلب منه أن يعطيه خيولا حتى يمكنه أن يذهب إلى السير جيوفري نائب الملك في المورة .

فأعطاه من الخيول بقدر ما أمكنه وأعطاه أدلاء أيضا ليرشدوه ، فمضى إلى فيليفيوستي ولم يجد نائب الملك هناك ولكنهم أخبروه أنه ذهب إلى نيكلي . وعاد أهل كالاماتا وذهبوا إلى بيوتهم فيها . وبقي روبرت هناك في ضياع لأنه لم يجد خيولا ليأخذها معه وعلى أي حال فقد وجد له أمر القلعة خيولا بأفضل ما أمكنه وأعطاه أياها فمضى إلى نيكلي .

وبعد وصول روبرت إلى نيكلي ذهب الرسل إلى ليكديمونيا ،

حيث كان السير جيوفري ، وأعلموه أن ابن عم كونت شامبين المدعو روبرت قد وصل الى نيكلي (٧٧) وبسماع السير جيوفري للتقرير اخذ معه الرجال وعظماؤهم ، وفي الحقيقة كل من كان في حاشيته ومضى مسرعا ليقابل روبرت ، وقابله بتشريف وبعلاوات حقيقية للاحترام وابدى سرورا عظيما به في حضور الجميع وعندما وصل الى ليكديمونيا امر بأن ينزل في قصور الامارة (٧٨) .

والآن كان ابن عم كونت شامبين يتوقع احراز السلطة ، في الصباح التالي وبينما كان النهار ينبج ، أمر بأن يستدعى نائب الملك السير جيوفري وقال له أنه كان برفقته القادة وأصحاب الجدارة وقد جاءوا ليروا تنفيذ أوامر كونت شامبين ، وهي الأوامر التي جاء بها معه . وعليه ، اعطى السير جيوفري امره ، وحالما تجمع الجميع وجلسوا لاستماع ما كتبه الكونت ، نهض كاتب ممن جاء معه (٧٩) وأمره بقراءة الامتيازات التي جاء بها ، فقرأها وشرح الكلمات التي تبين أن الكونت قد أعطاه السلطة على الأرض وعلى كل البلونيز الموجودة في المورة ، ثم عرض بعد ذلك وقرأ أيضا الأوامر والوصايا لكل القادة بأن يستقبلوا روبرت كأمر لهم .

وحالما تليت جميع هذه الوثائق ، نهض السير جيوفري في حضور الجميع وانحنى بتواضع لسلطان أوامر الكونت ، وأمر بسرعة باحضار الامتيازات التي كانت لديه والاتفاقات والوثائق التي أعطيت له من الكونت والتي تقضي بأن تسلم اليه أرض المورة ليحكمها ويحميها وأن يكون نائبا له ، أنه اذا جاء خلال فترة عام ويوم الكونت أوعضوا اخر من عائلته ، فإن عليه أن يسلم له الأرض والسلطة ولكن اذا انقضت فترة السنة ولم يصل أحد منهم (٢٣٤٩ - ٢٣٧٧) كما اخبرتكم فإن الأرض والسلطة ستبقى حتما في يد السير جيوفري كوريث (٨٠) . وبعد قراءة هذه الوثائق ، والاتفاقات التي أبرمها كونت شامبين ، نهض السير جيوفري وقال للأساقفة وقادة الفرسان : « أيها النبلاء لقد سمعتم الاتفاقات والوصايا التي أصدرها سيدي الكونت ، والتي تركها عندي . وعليه

أقول لكم ، اني أتوسل اليكم وأمركم ، (٨١) باسم القسم الذي أقسمتموه للكونت ولي ، كمسيحيين تخافون الرب ، وتحترمون الصدق أن تفكروا وتحكموا بالحق في هذا الأمر ، وأتوسل أيضا لروبرت كننيل وأمير لي أن نقف في جانب الحق ونحكم بالحق ، بالشكل الموائم والموافق . إن سيدي لن يفعل شيئا جائرا ، (٨٢) وعليه فبالخوف من الرب ، احكموا بيننا .

وعندما سمع النبيل روبرت هذا وافق على الاقتراح بسرعة ورجاهم التفكير في الأمر ، وأن أي ما يقررون ويعلنون بخشية الرب ، فإنه سيقبله حقا ويذعن له . وعندما سمع الأساقفة وكل الفرسان تلك الكلمات ، أخذوا الوثائق وقرأوها من البداية بدقة وعناية عظيمة ، ثم حسبوا فترة السنة ووجدوا أن الحد كان متأخرا ١٥ يوما عندما وصل روبرت ليقدم وثائق كونت شامبين إلى نائبه (٢٣٧٨ - ٢٤١٥) السير جيوفري ، كي يعطيه الأرض (٨٣) وبناء عليه استدعوا الاثنين وقالوا لهما : أيها النبلاء ، لقد درسنا هذه الوثائق الخاصة بالكونت ، الذي وضع هذه الموائيق ، التي فحسناها والتي تحمل أخطامه وبموجبها فاننا جميعا نرى أنه بالقصد والهدف والموائيق المستوفية للشروط القانونية ترك السير جيوفري كممثل له في الأرض ، وحيث أنه بموجب الموائيق التي ترك له الأرض بها فإن الأمد الأخير قد انقضى ، فليس لك حق لأنه حيثما يوجد مسيحيون في كل الدنيا فإن الموائيق تقيد القانون والدعاوى القضائية .

وان ذاك ، وعندما سمع روبرت هذا ، لم يجر بسبب الأسى والمرارة في قلبه جوابا من أي نوع . ولكن السير جيوفري نهض واقفا وشكرهم جميعا في تواضع وبدقة كما هي العادة في بلاط الأمراء ، حيث يوجه الشكر للذين يحكمون بالعدل .

وبعد الحكم وصدور القرار بأن السلطة على الأرض في كل البلبونيز ، التي تدعى المورة ، يجب أن تبقى للسير جيوفري ، مجد

روبرت كثيراً وقال له : « سيدي وأخي ، حاول أن لا تحزن بسبب ما نجم عن هذا الحكم ، إن العدالة تتطلبه وهذه هي الطريق في الدنيا ، فإذا شئت ورغبت في البقاء معي هنا في أرض المودة ، فإنني سأعتبرك أخا لي ومن كل ما نكسبه معا تأخذ ما هو حق لك » . ولكنه بسبب من حزنه لم يقبل .

وعليه بعث السير جيوفري بدعوة عامة ودعا الجميع الصغير والعظيم وأقام كاموتسوكن (٨٤) ، كما يسميها الروم ، وأكلوا ومرحوا وتصارعوا ، ونظموا الرقصات والألعاب التي تفوق الحصر .

والآن استدعى هذا الذي أدعوه روبرت شامبين . السير جيوفري وقال له : « حيث أنني رأيت أنه ليس لي السلطة ، أعطني خيولا ومرافقة حتى أبرح » .

ومثل هذا طلب من كل القادة (٢٤١٦ - ٢٤٥٢) والأساقفة والرجال الحاذقين الذين كانوا في المجلس والذين أصدروا الحكم والقرار أن يحرروا له وثيقة ويضعوا أختامهم عليها ، يبينون فيها كيف قرروا وأعلنوا الحكم الذي أصدره ، وتضم صورة عن الميثاق الذي أبرم بين كونت شامبين والسير جيوفري بالغ النبيل حتى يأخذها معه إلى فرنسا ويطلع الملك وكل القادة الذين كانوا في حينه في فرنسا وكونت شامبين ، حتى لا يعتبروه غيبا أحقما في هذا الأمر . وقد نظموها بكل سرور ووضع الجميع أختامهم عليها . (٨٥) .

ثم أعطاهم السير جيوفري كثيرا من الهدايا المتعددة والتقدمات وأعطاه بكل لباقة وتواضع وعودا بأن يكون تحت أمره وبأنه سيبقى رجله دائما (٨٦) وأرشده بعد ذلك ورافقه ، ومضى بنفسه معه حتى أندرافيدا ومن هناك صعد إلى ظهر سفينة وسافر إلى فرنسا .

وبعد أن انطلق روبرت من المورة ، وبقي السير جيوفري أميرا ، أمر بأن يدعى أمير المورة . وبالنسبة للأراضي والأمور التي كان عليه تنظيمها ، فقد وضعت على أساس مختلف الآن حيث أنه أصبح الأمير الشرعي ، وكان دائما يبذل جهدا عظيما ويناضل ليزيدها ، وكما أنه طبعي أن الكل يجب أن يموتوا ، فقد جاءه أيضا الوقت ليرحل عن هذه الدنيا ، فدعا قادته وكل الأساقفة وحرر وصية جبارة ، ولكونه رجلا حكيما حدد ممتلكاته كلها وسجلها كتابة ووضع اختامه عليها .

وكان له الآن ولدان ، وكان الأول يسمى السير جيوفري كما كان هو نفسه يدعى ، وهو اسم والده وسمى الثاني غوليوم ، وكان لقب السير غوليوم دي كالاماتا ، وتركه وهو أمير لقلعة كالاماتا مع بقية أراضي القلعة ، لأن هذه كانت ممتلكاته الخاصة من أرض الاستيلاء الموروثة . (٨٧) (٢٤٥٣ - ٢٤٧١)

ووجه مع مناشدة حلوة توسلا للقادة والأساقفة وجميع الفرسان أن يقبلوا السير جيوفري كأمرير بالوراثة وأن يذكروا دائما مبادئه في الحكم ، والجهد الذي بذله لكسب المورة ، والعطف والمحبة لجذسه من بني الانسان الذي كان يشعر به تجاه الجميع ، وحالما سوى هذه الأمور وكثيرا غيرها ، توفي كمسيحي ، ليمنحه الرب العفو (٨٨)

وحالما توفي كما أخبرتم حدث حزن عظيم عليه في كل المورة ، لأنهم كانوا يعتبرونه عظيم الجدارة وأجلوه بعمق لحكمه الخير وحكمته ، وبعد تنظيم جنازته وسكون الحزن عليه نوعا ما ، تشاور الجميع الصغار والكبار وتوجوا كأمرير لهم السير جيوفري الأصغر ، وحالما تسلم سلطان الحكم بدأ يتقدم كجندي حكيم ، وكان مخلصا وخيرا تجاه الجميع وناضل بقوة لزيادة مجده ، (٢٤٧٢ - ٢٥٠٦) .

وبناء عليه بعد ذلك بوقت قصير ، حدث وانتبهوا لما سأنكره لكم ،

أن روبرت امبراطور مدينة قسطنطين ، والذي كان في حينه أمير وامبراطور رومانيا قام وعينيه على زواج تحالف ، بابرهم معاهدات واتفاقات مع ملك أرغون ، وملك كاتالونيا حيث أنه تزوج ابنة الامبراطور. ونقلها في اثنتين من الشواني بدشريف عظيم (٨٩) مع حاشية من الفرسان والنبيلات الذين صحبوا . ومضوا إلى قلعة بونديكوس في المورة (٩٠) ، قرب اندرافيدا وتوقفوا هناك ، وكما شاء القدر ، تصادف ان كان امير المورة في الجوار في المدينة المسماة فليزيري ، وبسرعة جاءت التقارير اليه في القلعة من بونديكوس .

كما تدعى لان هذا ما يزال اسمها ، ان اثنتين من الشواني كبيرتين رستا في ميناء بونديكوس ، كما قلت ، وهما اللتان كانتا تحملان ابنة الامبراطور روبرت وكانت في طريقهما الى ملك كاتالونيا ، وبسماع هذا ، ذهب السيرجيوفري الى هناك بكل السرعة ، ونزل عن حصانه ، وصعد الى ظهر السفينة وحيا ابنة الامبراطور ، ودعاها وحثها على النزول الى الشاطئ والدخول الى قصره للترويح عن نفسها بأن تستريح هناك يومين ثم تتابع بعد ذلك طريقها ، ونزلت السيدة النبيلة بسرور الى الشاطئ مع حاشيتها وبخلت القصر ، ومر ذلك اليوم وبزغ فجر اليوم التالي وتكلم بعض اتباعه ومسئاريه مع السيرجيوفري ونصحوه قائلين : أيها الأمير انك هنا في رومانيا وتملك أرض المورة التي انت أميرها واذا لم تنجب ابنا يرثها فما دفع هذه الأشياء لك ولماذا تهتم بها ؟ وليست هناك في أي مكان امرأة جديرة بك ، وحيث أن الرب هكذا رسم وأرسلها اليك (٢٥٠٧ - ٢٥٤٠) تلك التي تصادف انها ابنة الامبراطور، خذها واتخذها زوجة لك واجعلها سيدة لنا واذا تصادف ان الامبراطور أميرها غضب نوعا ما وحنن فانه سيقبل بذلك . »

وهكذا الحوا عليه وضغطوا حتى أنه استدعى أحكم اتباعه وسألهم جميعا أن يقدموا له المشورة ، واعلنوا جميعا مشورتهم له ، ان هذا مبعث سرور لنا فافعله بحرية .

وتحدث أسقف أولينا (٩١) مع ابنة الامبراطور واقترح عليها ان تتخذ من السيرجيوفري رجلا لها وزوجا ، وابدى لها اسبابا حكيمة مرضية وكيف أن هذه العلاقة بالزواج (٩٢) ستتحول لتكون أكثر نفعاً لأميرهم منها للملك الذي كانوا يأخذونها له في كثالونيا ، لماذا أخبركم بهذه التفاصيل الكثيرة فتملوا ، لقد قالوا لها أشياء كثيرة والحواء عليها كثيرا حتى وافقت وتم الزواج ، وبعد زواجهما والاحتفال بعرسهما عادت سفينة الامبراطور الى المدينة وأخبره الفرسان الذين كانوا على ظهرها وفصلا بما جرى ، وتآلم الامبراطور جدا عندما سمع به ، ولو كانت لديه القدرة ولو كان هذا ممكنا بالمرّة ، لبين للسيرجيوفري بوضوح انه قد ارتكب عملا قبيحا ، وشرا عظيما بالزواج من ابنته بدون موافقته لأن هذا قلب خططه لاقامة روابط الزواج واتفاقاته مع ملك ارغون حتى يكون له بدوره قوات وجيوش ومساعدات منه في حربه مع الروم ، وقد أعاقه الآن ووجد نفسه مخدوعا (٢٥٤٩ - ٢٥٨٩) .

والآن لم يقف السيرجيوفري أمير المورة الحاذق اللين ذو الخبرة في مكانه مضيقا للوقت ، لقد كتب بسرعة رسائل وبعث بالرسائل الى الامبراطور الذي كان في المدينة يطلب منه ويتوسل اليه أن يصفح عنه لما فعله وأنه أصبح ابنا له ، وأنه لم يفعل هذا بنية الشر ولا عن قبح بل ميلا للمقاصد السلمية لرجل يجد نفسه في رومانيا بعيدا عن أقاربه وأملاكه الموروثة ولم يجد بأي وسيلة امرأة يتزوجها ، تناسبه وتستحق المنزلة التي لديه ، وأنه يجب أن يأخذ بالاعتبار ويدرك أنه كان هو أيضا في رومانيا وخاض حروبا كثيرة مع الروم ، كما فعل الامبراطور ، ولم يكن له سيد أعظم يقوده ، وبسيفه كسب الأرض التي يملكها وعليه اذا كان الامبراطور يرغب فإنه سيفعل هذا كاصلاح لما فعله بأخذ ابنته زوجة شرعية وسيلزم نفسه كتابع موال له وسيستمد منه الأرض والسلطة على المورة ، واذا احتاج الى جيوشه والى شخصه أيضا عندما يأمر ويجد حاجة فإنه سيكون تحت امرته ، ويقف الى جانبه ، وانهما سيقومان بالحرب معا ويغزوان الروم بجيوشهما .

وبسماع هذا لم يكن الامبراطور روبرت ليجيب بأي حال قبل أن يتشاور مع أتباعه ، فاستدعى القادة الرئيسيين في مجلسه ، وأخبرهم بالتفصيل بالقصة وأطلعهم على الرسائل ، وعلى كل ما أعلمه به السيرجيوفري الموراني ، وتناقش القادة والامبراطور زمنا طويلا وتدبروا في الأمر ، وبناء عليه تكلم أحكمهم وأشار بأنه طالما أن امبراطور المورة قد وعد وجاهر بأنه سيصبح الرجل التابع لامبراطور المدينة وأن يتصرف في أرضه حسب تبعيته للامبراطور وأنه والامبراطور سيضمنان القوات ليحاربيا معا كل خصومهما حيثما يجدانهما ، وأن هذا كان كافيا ليكون هناك سلام وصداقة بين الأميرين في رومانيا ، لأن هذه العلاقة بالزواج كانت أكثر فائدة من تلك العلاقة التي مع ملك أرغون الذي كان بعيدا جدا ، ومادام قد ألزم نفسه بخدمة الامبراطور وبأن يحصل منه على الأرض التي ربحها ، وبناء عليها أعطى الجواب السيرجيوفري بأنهما يجب أن يلتقيا في الاشياء ليعقدا مجلسا وأن يسويا هناك (٢٥٩٠ - ٢٦٠٦) بشكل نهائي كل أمورهما التي يجب تسويتها .

وبناء عليه ذهب الامبراطور الى قلعة لاريسوس وسافر السيرجيوفري أمير المورة الى هناك عن طريق طيبة وأخذ معه الرجل الذي كان في حينه يحكم أثينا ، والذي كان يدعى الأمير العظيم والذي منه في الحقيقة حصل على الأرض والسلطة التي كانت له في رومانيا وكل قادة الفرسان الذين كانوا في المورة ، وسافر الجميع معه الى الاشياء وانضموا الى الامبراطور في لاريسوس (٩٣) وأقاما احتفالات عظيمة بعد لقائهما وخلالها تناقشا معا وتجادلا وحلا تلك النقاط التي أدرجها الآن لكم : أولا - أعطاه الامبراطور كهنية ودوطة كل الدويكانيز ليمتلكها عطية منه ، ثانيا - شرفه بتسميته أميرا ، ثالثا - جعله بمستق كبير

لكل رومانيا (٢٦٠٧ - ٢٦٣٥) ورابعا - كان له في الاراضي التي تملكها حق ضرب العملة التورنوز واليناريا (٩٤) وأصبح

فيما بعد الرجل التابع للامبراطور ومنه يحصل على الأرض التي يحكمها .

وفيما بعد أعطاه كتابة القوانين والأعراف التي كان الامبراطور يحتفظ بها في ذلك الوقت في كل الامبراطورية مع ان أخاه الامبراطور بلدين قد حصل عليها من القدس (٩٥) وعندما سويت هذه الامور التي اخبرتكم عنها استأنن كل منهما الآخر للسفر ، وسار الامبراطور رأسا الى المدينة ، وعاد السيرجيوفري الى المورة بالشكر والبهجة ، لانه حقق السلام الذي اراده ورغب فيه وكان متلهفا للحصول عليه ، وبعد أن عاد الأمير جيوفري الى المورة وعرفت زوجته الجليلة أميرة أخيا وابنة الامبراطور أن الأمير قد توصل الى تفاهم مع الامبراطور ، حمدت الرب وكانت سعيدة .

ثم دعا الأمير السيرجيوفري قاداته للمشورة حول مايجب عمله ومالذي يجب تنفيذه حول القلاع التي كان الروم مايزالون يحتفظون بها في الامارة : كورنث ، ومونفاسيا ، وأرغوس ، ونوبليون (٩٦) وبناء عليه أجابه قادة الجلسة : انك تعرف ياأميرنا ، أن الكنائس تملك مايقرب من ثلث المورة ، في كل الامارة يجلسون مرتاحين ولايلقون بالا الى الحرب التي نشننها على الروم . وبناء عليه (٢٦٣٦ - ٢٦٦٦) ياأميرنا ، اننا نعلن ونعطيك هذه النصيحة ، أن ترجوهم أن يحضروا أسلحتهم لمعاونتنا حتى نأخذ القلاع التي تقف في وجوهنا ، وإن لم يفعلوا أمسك عنهم اقطاعاتهم .

وعندما سمع الأمير هذا أقـره تماما ، وأمـر باستدعائهم ، وحضر اليه الجميع فطلب منهم المساعدة وأن يساعده الجميع بالقوات والجيش والأسلحة ، حتى يحمي الأرض ويهاجم قلعة مونفاسيا واجابوه بأنهم مبيدون له بالشرف والولاء فقط ، كأمير وأعلنوا أن كل مالبيهم ومايملكونه قد حصلوا عليه من البابا ، فغضب الأمير وأمر بأن تحجب عنهم الأراضي والاقطاعات

التي كانت بملكهم ، وأنه لن يأخذ شيئاً بالمرّة من بخل الاقطاعات والكناؤس ولكنه أمر بالشروع في انشاء قلعة كلوموتسي ، وحرّم الاساقفة بدورهم الامير الى الابد (٩٧)

والآن حجب الامير اراضي كل الكناؤس في كل الامارة ، حتى أنهى بناء قلعة كلوموتسي وحرّموا بدورهم الامير وكل بارونات الامارة ، وعندما انتهت كما اراد ورغب ، أرسل ميذوريّيس وفارسين الى البابا بالغ القدسية في روما معلنا ومجاهرا بأنه كان في حرب وكان يقاتل الروم في رومانيا ، ولهذا السبب طلب من الاساقفة الذين كانوا مطارنة واساقفة ومن الداوية والاسبتارية أن يساعدوه بأي طريقة في الحرب التي كان يشنها ، وانهم لم يساعدوه بالمرّة ، وقد حجب عنهم (٢٦٦٧ - ٢٧٠٤) الأراضي والاقطاعات التي كانوا يملكونها في الامارة وأنه لم يكن يريد أن يأخذ شيئاً من الضرائب مهما قل وأن (سخرة) كل الكناؤس ، لم تؤد الا الى بناء قلعة قوية سوف تحمي الساحل وميناء المورة . (٩٨) واذا حدث بالصدفة وفقد الفرنجة المورة فانهم سيستعيدونها بهذه القلعة » ولهذا السبب يرجوكم كبابا بالغ القدسية ، ان ينال حبكم وان تعفوا عنه ، لانه اذا أخذ الروم أرض المورة ، فإنهم لن يسمحوا بأي حال ببقاء كناؤس الفرنجة » .

وحالما علم البابا المقدس بذلك ، أرسل على الفور بالعفو الى الامير جيوفري ، وعندما رأى الامير عفو البابا ، كان سعيدا جدا ومجد الرب ، ثم بعث برسالة الى المطران الذي كانوا يدعونه مطران باتراس القديمة ليأتي وكذلك للاساقفة الذين كانوا في مقره وقادة فرسان الداوية والاسبتارية وأطلعهم على المرسوم البابوي ، عفو البابا ، ثم أمر بإعادة الأراضي التي أمسكها بناء على ذلك وتوسل اليهم بحكمة وبمسألة : « أيها الآباء فيما فعلته عندما أخذت اقطاعاتكم لم أخطيء معكم ، لا بالمسيح لقد كنتم أنتم المخطئين لانه كان يجب أن تعرفوا ، بل أنكم قد سمعتم بأن الروم اذا استولوا - لا سمح الرب - على الأراضي التي لنا هنا في رومانيا فانهم لن

يسمحوا لكم ، لأنكم من الكنيسة ، بأن تحفظوا باقطاعاتكم هنا ولا أن يكون هناك أوقاف كنسية بل إنهم سيقتلونكم ويحرمونكم من الامتيازات كما يفعلون بنا ، وبالعامة من الجند ، اني لا أطلب منكم ولا هو مطلوب منكم أن تقوموا بواجب الحماية مثل مالكي الاقطاعات ولكن في الامور الأخرى ، كحراسة الأرض أو تحرير قلعة يحاصرها الأعداء ، ان عليكم أن تساعدونا ، وانا ذهبنا في غارة للأسلب (٢٧٠٥ - ٢٧٤٩) وفي أمور أخرى من أجل الدفاع عن الأرض ، يجب أن نقف معا لحماية أرضنا ، لأنكم بدوننا لا شيء ، وانا كنت قد حجت أراضي الكنائس فاني لم أخذ ربحا خاصا منها ، وقد بنيت كما ستلاحظون قلعة لتحرير الأرض من أجلا ومن أجلكم ، لقد بنيتها لكي تكون مفتاح الأرض ، فاذا تصادف أن فلقنا أرض المورة فاننا سندستعيدها بواسطة قلعة كلوموتسي . وعليه اتوسل اليكم كأباء للكنيسة أن أثال عفوكم كما حصلت عليه من البابا ، ومن الآن فصاعدا ليكن بيننا اندسجام ، وتعاونوا معي في السلاح كما هو مناسب وملئم ، وانا بالمقابل سأساعدكم بأي طريقة ضرورية ، وبناء عليه عفوا عنه وأقاموا السلام ووعدوا بأنهم من الآن فصاعدا سيكونون تحت أمره .

والآن بعد أن حدث ما أخبرتكم به ، لم يكن للأمير جيوفري الحظ الطيب أن ينجب ابنا يتركه كوريث ، وكما هي طبيعة العرق البشري ان كل من يولد يجب أن يموت بطريقة ما ، سقط الأمير في هنيان الموت ، وعندما رأى وفهم أنه سيموت دعا أخاه غوليوم وقال له ماييلي وهو يتوسل اليه في حب : أخي الأحب والاهلي ، لقد أكملت سنوات حياتي وستبقى بعدي كامير بالوراثة على كل مافتحه أبونا وسيننا بصعوبة وجهد شديد كما يعرف الناس جميعا ، حسنا يا أخي المحبوب ، لقد كان في ذهني أن أقيم كنيسة وأشيد ديرا حتى أضع فيه البقايا المقدسة لسيننا وأبيننا ، وبسبب خطاياي لم أنجز هذا ، وعليه أطلب منك ، وأكلفك طالما أني لم أكن قادرا على انجازه أن تفعل ذلك ، ولتحل عليك مباركتي يا أخي الأصغر وبركات أبينا

وربنا الموثوق جدا ، ولتحفظ بقاياها في الضريح ، ثم دعني بدوري
أرقد إلى جانبها ، وأعمل يا أخي الطيب على أن يكون للبير كاهن
وجوقة ترتيل ، وأن تؤمن معيشتهم حتى يخلدوا نكرانا دهرًا بعد
دهر (٩١) وبعد هذا يا أخي أنصح وأقول أن تتخذ لنفسك زوجة
حتى (٢٧٥٠ - ٢٧٨٨) تنجب لك أطفالا يكونون ورثة حتى
يرثوا أرض أبينا ، والآن بعدما رتب السيرجيوفري كل الأمور كما
كان عليه كرجل حكيم أن يفعل أسلم الروح وحملتها الملائكة بعيدا ،
فقولوا أنتم يامن تسمعوني لتبقى روحه في سلام (١)

وبناء عليه توج الاساقفة وقادة الفرسان أخاه غوليوم
كأمير ، وقد تحول فيما بعد إلى رجل بارع حكيم ومجد بين كل
الرجال الذين ولدوا على أرض رومانيا ، وأحب رفاهه من البشر
وأحبه الجميع ، وبعد أن تسلم السلطة على الأرض وجد أن الروم
كانوا ما يزالون يسيطرون على قلعة مونمفاسيا ، وقلعة كورنث
وأیضا قلعة نوبليون التي بقرب أرغوس ، وكان لهذه القلاع أفضل
الموانئ التي كانت تصل إليها سفن ملوك الروم وهي تحمل المؤن
والرجال المسلحين (٢) واذ رأى ذلك اضطرب الأمير وقال انه
طالما لم يستول على هذه القلاع لن يحقق له أن يدعي أمير
المورة ، وعليه توصل بنفسه إلى نتيجة تشاور حولها مع آخرين ،
فكان أن وافقوا معه أنه اذا لم يكن لديه سفن للسيطرة على البحر
حتى لاتصل المؤن إلى القلاع المذكورة اعلاه فانه لن يكسبها ولن
يسيطر عليها ، وأرسل رسلا إلى دوح البندقية وعرض ان يصل إلى
تفاهم مع الجمهورية وفق الشروط التالية : أن تدعمه تلك
الجمهورية حتى يستولي على القلاع في مونمفاسيا ونوبليون ، بأربع
من الشواني مع تجهيزاتها الكاملة ، على ان يعطي الجمهورية قلعة
كورون مع قراها والأرض التي حولها ، ومثل هذه تكون ميثون ملكا
موروثا للبندقية ، وأيضا من الآن فصاعدا وإلى أن يتم الاستيلاء
على القلاع تقدم البندقية دائما من أجل حماية الأرض اثنتين من
الشواني فقط مع طقميها الكاملين (٢٧٨٩ - ٢٨٠٦) على أن
يدفع الأمير نفقاتها التي كانت تدعى باناتيكا باستثناء الأجور ،

(٣) وبطريقة مماثلة ، بينما كان الأمير يرتب ذلك ، رتب أيضا للقيام بحصار كورنث ، وفي هذا امر بأن يكتب الى امير اثينا ، وكانوا يسمونه الأمير العظيم - ليأتي للمعاونة على حصار - كورنث .

ثم ارسل بعد ذلك رسالة الى دوق ناكسوس والى امراء يوريبوس الثلاث ، ولكل من على الجزيرة ليأتي مع قوة وسلاح وجيش ، وبعد أن انضموا الى جيشه رتب الأمير الحصار (٤)

وحيث أن تل قلعة كورنث كان عريضا وعاليا وهائلا ولكون القلعة كانت تقوم على قمته ، وأنه كان يوجد الى الجنوب من القلعة تل صغير معين ، وهو جرف صخري منحدر ، أمر الأمير ببناء قلعة على قمته دعيت مونت اسكوفية (٥) ولا زالت تحمل هذا الاسم ، وعلى الجانب الآخر وهو الجانب الجنوبي بنى الأمير العظيم قلعة له ، ووضعوا في هذه القلعة المؤن والدروع الحاملة للعرادات وحاصروا أهل كورنث بأحكام حتى أن الواحد منهم لم يكن يستطيع أن يفادها لي جلب قطعة خشب ، ولا يمكن للمؤن أن تدخل اليهم من أي مكان ، وفقط مياه الينابيع والآبار التي على قمة التل وبدخل القلعة هي التي كانت وافرة ، فمن الذي يستطيع أخذها منهم ؟ حسنا ماذا اردت أن أكتب اليكم بالتفصيل كل ما حدث في حصار كورنث فان الملل سيحل بمن يسمع ، ولكن عندما رأى الذين كانوا بالداخل انه لا يمكنهم الحصول على المساعدة من أي ناحية بسبب شدة الحصار ، أذعنوا وتخلوا عن الحصن ولكن تحت القسم والمعاهدات بأنهم سيتدفقون بأقطاعاتهم حتى مثل بقية الروم في كل الامارة .

والآن بعد أن ربح الأمير غوليوم القلعة الملكية لكورنث ، أمر بأن يوضع مدد كبير من الرجال والسلاح فيها على النحو المناسب والملائم .

ثم دعا قبل كل شيء الأمير العظيم ثم جميع القادة وقال لهم

بحكمة بالغة : « أيها الرفاق والأصدقاء والأخوة يجب أن نشكر أولا مجد الرب ثم الشيوتوكوس للتأييد الذي منحوه لنا ، وقد كسبنا أجمل مكان في الدورة ، والآن لا يذق صننا الا القليل : قلعتا نوبليون ، ومونمفاسيا ، وأقول إنه لو أنكم كنتم متمثلون في التفكير بما أننا نجد أنفسنا معا ، دعونا نتنافس ونتشاور معا في الكيفية والحيلة التي سنتقاتل بها لنكسبهما أيضا » .

وعليه أعلن أكثرهم حكمة وأكد أنه طالما أن كلتا القلعتين تقعان على أرض ساحلية ولهما موانئ ، يجب أن نحاصرهما كليهما من البر والبحر »

(٢٨٤٤ - ٢٨٨٣) وبينما كانوا مايزالون مجتمعين في المجلس وردت الرسائل الى الامير غوليوم من قبل المبعوثين الذين جاؤا من البندقية واحضروا معهم المعاهدات وقد أبرمت تماما كما سعى لها الامير وكما رغب وأراد : لقد جاءت السفن الاربعة الى كورون °

وعندما سمع الامير هذا غلبه السرور ووافق عليه كل القادة ودعا الامير ومجلسه ورحبوا بالبنادقة الذين جلبوا المعاهدات ، وارسل فارسا الى كورون ، وسلم القلعة التي للبنادقة ان يملكوها مع كل التوابيع الموجودة في ميتون ، ولدوج البندقية ان يملك ويحكم القرى التي كانت هناك والتي كانت ملكا للبلاط في ذلك الوقت ، باستثناء الاراضي والاقطاعات التي يملكها المقطعون (٦) وبعد ان تسلم البنادقة في ذلك الوقت القلعة ، والاراضي المحيطة بها وقرى كورون ذهبت السفن رأسا الى نوبليون واقامت الحصار حول القلعة من البحر في حين احاط بها الامير مع كل جيوشه من البر ، واذقضي الصيف وجاء الشتاء فأمضوه هناك في البر والبحر ، وعندما حل الموسم الثاني وجاء الصيف ولدى رؤية الذين كانوا من قلعة نوبليون انه ليس امامهم اي نوع من المساعدة ابرموا معاهدة وسلموا القلعة ، وكانت نوبليون قلعة تقوم فوق جرفين وعليه فقد تفاوضوا

على أن تسلم الاولى ، والثانية الاضعف يتحفظ بها الروم وابرموا المعاهدات المؤكدة بالقسم والعهد .

وبعد أن تسلم الأمير نوبليون قدمها على الفور للأمير العظيم ليملكها مع ارغون كاقطاعات موروثه (٧) ، وهدية نوبليون وارغوس اللتان قدمها الأمير في ذلك الوقت للأمير العظيم كانت في مقابل المساعدة التي قدمها الأمير العظيم كما أخبرتكم للاستيلاء على كورنث ، وايضا لأن الأمير كان يتوقع منه ان يساعده في الاستيلاء على مونمفاسيا ايضا (٢٨٨٤ - ٢٩٢٤)

وبعد أن أخذوا حصن نوبليون بدأ الأمير رحلة مع الأمير العظيم ثم انفصلا فمضى الأمير العظيم رأسا الى مدينته التي تدعى طيبة وذهب الأمير الى ارض الدورة ، وعندما مضى فصل الشتاء بعث الأمير غوليوم بالرسل وكتب أولا ودعا الأمير الكبير وامراء بوربيوس الثلاث ودوق ناكسون وايضا كل الامراء الآخرين للجزر ، وكونت سيفالونيا (٨) وكل القناة في امارة الدورة صفيهم وكبيرهم ، أن يأتوا مع اسلحتهم ومؤونة كبيرة ، لقد كان يريد الذهاب الى قلعة مونمفاسيا وبما انها كانت منيعة ، رغب في محاصرتها برا وبحرا وفي ان يقيم حصارا وقوة محاصرة حتى يأخذها .

وعندما بدأ الموسم في شهر اذار جاءت الجيوش من كل مكان ، الى مروج نيكلي وهناك في الحقول تم حشد الجيش ، ومن هناك ذهبوا رأسا الى مونمفاسيا ، وذهبت الشواني الاربعة ورسد خارج الشاطيء وسيطرت على البحر ، ورتب الأمير حصاره ، وكانت مونمفاسيا في حينه مطوقة بالطريقة نفسها كالعندليب في القفص ، ولما عرف النين كانوا في مونمفاسيا بمجيء الأمير لمحاصرتهم ، جمعوا مؤنهم بوسائلهم ولم يكن رأيهم ان الجيوش الفرنجية ، لديها توقعات محدودة للنجاح ، ستمكث طويلا في الحصار الذي فرضته عليهم ، واذ رأى الأمير مثل هذا التبجح

اقسم على سيفه في غضب وثورته ان لا يبرح حتى يأخذ القلعة ، وامر بالمنجنقيات وقد نصب نحو ثلاثة منها فاخذت تقذف بلا انقطاع ليلا ونهارا ، فدمروا البيوت وقتلوا الناس ، لماذا اخبركم بهذه التفاصيل ومن اين لي بالوقت لاكتب كل ما فعله الامير في مონمفاسيا (٢٩٢٥ - ٢٩٤٨) وكيف تصرف المونمفاسيون ؟ (٩) ولكن من اجل مزيد من الايجاز واختصار الامر عليكم ، تصرف الامير حسب قسمه انهم لن ينالوا مونمفاسيا حتى تؤخذ القلعة والتل ايضا (١٠) ، ولهذه الغاية مكثوا هناك ثلاث سنوات اخرى ، ولم يكن لدى اهل مونمفاسيا ما يأكلونه فاكلوا القطن والفران ولم يعد لديهم شيء اخر لياكلوه سوى جثثهم ، وعندما راوا بلواهم وان الموت يقف في مواجعتهم تشاوروا معا في الاستسلام .

وطلبوا عقد معاهدة مع الامير غوليوم على ان يبقوا جميعا هناك مع املاكهم الموروثة ومع بضائعهم كالفرنجة في مزاياهم ولا يدينون باي (سخرة) سوى استخدام مراكبهم وان يكون لهم رواتبهم وهباتهم (١١) .

ودون الامير وختم المعاهدات والوعود التي طلبوها منه وحالما تسلموا نسخهم والاقسم اخذ ثلاثة من نبلائهم مفاتيح قلعة مونمفاسيا واحضرها للامير وكان احدهم يدعى ماموناس . والثاني ييمونوجيانوس والثالث سوفيانوس (١٢) .

وهذه كانت انبل الاسر (٢٩٤٩ - ٢٩٨٩) التي كانت في مونمفاسيا والتي ماتزال هناك ، وقد قدمت الولاء للامير ، واستقبلهم جيدا كرجل حكيم مميز في انه لكل الناس ، ورحب بهم ترحيبا حلوا وخلع عليهم العطاءات وهبات من الخيول والدواب واثوابا مذهبة كلها قرمزية ايضا ، واقطعهم علاوة على ذلك في ناحية فاتيكا . (١٣) وبعد ان تسلم الامير غوليوم قلعة مونمفاسيا الشهيرة وضع فيها مؤنا وفيرة ، ورجالا مسلحين ، واسلحة ومقننات غذائية كانت في حاجة اليها .

وعندما سمعت نواحي الاحواز من اراضي فاتيكا وتزاكونيا التي كانت في ثورة بانها قد استسلمت للامير غوليوم بدأوا يهرعون لاداء النولاء له ، وحياتهم الامير الحكيم جميعا واستقبلهم استقبالا حلوا حسب المرتبة التي يحملها كل منهم .

وحالما نظم الامير غوليوم القلعة ، قلعة مونمفاسيا والنواحي التي محيطة بها امر بصرف كل جيوشه وكذلك السفن التابعة للبندية وعاد الى ليكيميونيا ، ودعا قواده للمشورة واجابوا ونصحوه بانه نظرا لما بذلوه من جهود عظيمة في البر والبحر خلال السنوات الثلاثة التي مكثوها في مونمفاسيا ، يجب ان يحصلوا على اجازة الكبير منهم والصغير ليذهبوا الى بلادهم في عطلة ، وان الامير مع اهل بيته عليهم ان يبقوا في ليكيميونيا حيث يمضوا الشتاء ، وعليه رحل الجميع سفارا وكبارا وبقي الامير كما اخبرتكم ، ثم ذهب مع حاشيته يركب ويتنزه بين القرى في جوار مونمفاسيا والى هيلوس (١٤) ، والى باسافا والى الاراضي التي في هذا الاتجاه ومضى يتجول في سرور وامضى وقته (١٥) .

وعندما كان يتجول في كل هذه الاماكن وجد تلة رائعة مقطعة من سلسلة الجبال كقمة ، على بعد ميل امر اكثر فوق ليكيميونيا ، ولانه كان متلهفا لبناء حصن ، امر ببناء قلعة فوق التل واسمها ميسترا (٢٩٩٠ - ٣٠٠٧) حسب اسم المكان ، وجعلوا منها قلعة فاخرة (١٦) لان اهل المكان اخبروه ان زيفدوس الميلنفز كان درنفوسا عظيما وقد حصن الممرات والمن بقوة وكان شعبه متغطرسا لايحترم امير ، وفكر كثيرا كيف يمكنه ان يسيطر عليهم ، ولهذه الغاية قال له مستشاره: اما وقد قامت الان قلعة ميسترا فوق زيفدوس العائد للدرنفوس ميلنفز يتوجب عليه ان يقيم اخرى في مكان ما حول هذه الجبال حتى يسيطروا على المنطقة ، وعليه قام الامير بنفسه بجولة على الحصان وهو يتبع اتجاهات اهل الارض ، وتجاوز باسافا وسافر الى مين وهناك وجد جرفا رهيبا فوق نتوء

جبلي . ولانه وجده مناسبا جدا بنى هناك قلعة واسماها مين كما
لا تزال تسمى (١٧) °

وحالما رأى نبلاء وقادة الدرنفوس ان الفرنجة بنوا هاتين القلعتين ،
تشاوروا فيما بينهم حول ما سيفعلون ، وعليه قال القادة والذين
كانوا ايضا يملكون الثروة انهم يجب ان يقفوا بثبات بدلا من ان
يذعنوا للتبعية ، ومع ذلك فان حشود القوات وكل العامة قالوا
واعطوا المشورة بانهم يجب ان يقدموا الولاء ، ولكن يجب ان يكون
لهم تشریف فلا يؤدوا السخرة كما فعلت القرى التي في السهول ،
ولانه ما ان ظهرت القلعتان إلى الوجود لم نحصل على اجازة فقد
حجبتانا عن أن ننزل إلى السهول لنقل البضائع والمعيشة وليس
لينا القدرة على العيش في الجبال °

والآن و قد رأى النبلاء وقادة الدرنفوس أن العامة يرغبون في
تأبئة الطاعة ، لم يروا بدا من أن يسيروا معهم ، وأرسلوا الرسل
إلى الأمير غوليوم يطلبون عقد معاهدة ينالون بها الاعفاء ، أي أنهم
في كل حياتهم لا يؤدون السخرة ولا يدفعون المكوس ، وأنهم
سيقدمون الولاء والخدمة تحت السلاح كما فعلوا مع الملك (١٨) ،
واكد غوليوم ، الاتفاقات ووضعها كتابة ، ووشحها بالاختام.

و بعد أن أدى الدرنفوس الولاء ، قال بعضهم للأمير غوليوم إنه
إذا رغب في أن يكون كل الزيغوس تحت ارادته ، عليه أن يبني قلعة
على الساحل قرب غيسترنا ، وصدق الأمير الذي قال له ذلك وأمر
ببنائها وسميت ليفتروا (١٩) وبعد ان بذو القلاع التي سميتها لكم ،
ليفترو (٣٠٣ - ٣٠٦٣) وميسترنا ومين القبيمة (٢٠) أخضع
أراضي السلاف وجعلهم رهن مشيئته ، وسار خلال الامارة
واستمع بها جميعا كما لو كان قد غزاها ، وأصبح سيديا لها
جميعا (٢١)

ومن هذه النقطة وما بعدها ، سأتوقف عن الكلام عن الأمير غوليوم

أخيا ، وسأخبركم عن الملك كيرتيودروس ملك الروم الذي كان في الأناضول خلال تلك السنوات ، لأنه كان في المدينة امبراطور فرنجي يدعى بلدوين ، ولقد سمعتم أعلاه في الكتاب حول الوقت الذي كان فيه كيرتيودروس لاسكارس ملكا على الروم (٢٢) وكيف جاءه الموت ، فترك ابنه ، الذي كان طفلا قاصرا ليربى من قبل الرجل الذي يدعى كير ميكائيل ، الباليولوجوس الكبير الذي كان أول نبلاء رومانيا الذي اقتدر فائما ، حيث خذق سيده الصغير وقتله ، واغتصب امبراطورية رومانيا كلها. وعندما سمع انجلوس كالوانس كوترواس امبراطور هيلاس كيف تصرف بالولوجوس وما فعله وقتله الملك (٣٠٦٤ - ٣٠٧٧) واستيلائه على الامبراطورية ، غضب وثار وحزن جدا لذلك ، وأقسم قسما مغلظا أن لا يعترف بباليولوجوس ملكا ولا أن يعتبره سيدي له ، طالما أنه استولى على الامبراطورية الرومية بمؤامرة وتمرد ، ولن يعتبره أميرا ولا صديقا ولا حتى قريب له في الواقع (٢٣) ، وعندما سمع الملك بالولوجوس هذه الأشياء ، ثار سخطه جدا وغضب واحتاح وقال انه لو وجد طريقا للعبور إلى الغرب ، فإنه بأمد قصير سينكبه بدرجة كبيرة ، ولكن لأنه تصادف أن كان بلدوين امبراطور المدينة في ذلك الوقت ، ويملك السلطة ، لم تكن لديه القدرة (٣٠٧٨ - ٣١١٠) على العبور إلى الغرب ، ولكن بعد أن غزا مدينة قسطنطين وعبر إلى غلاطة وملك الامبراطورية ، بدأ العمل ، وشن الحرب من البر والبحر واندفع في هجوم رهيب ضد امبراطور أرتا ، ولأنه كان حكيما وأعد نفسه جيدا ، اشترك الفرنجة كمرتزقة ، والأمير غوليوم وأمير أئينا والديوريوتين أيضا ، فساعدوه وانطلق إلى المعركة (٢٤) .

وتوفي كيريوانس الامبراطور وترك كوريث له كيرنقفور ، ابنه وورثه كل امبراطوريته (٢٥) ، وكان له ابن آخر أيضا ولكنه غير شرعي ، ترك له قسما كبيرا من الاشيا ، ومدينا وقلاعاً قديمة ليحكمها ، وكانوا يدعونه كير ثيودروس وكان لقبه دوكاس ، وأصبح دوكاس رجلا شجاعا في حمل السلاح وكان جنيا رائعا ، وحكيما وماهرا وعندما رأى كالوانوس أن أباه قد توفي وأن أخاه قد بقي

وهو نةفور الذي لم يكن بحكمة أخيه ، رغب وأراد أن يستولي على
والاشيا وأن يستولي في الواقع على نصف الامبراطورية ، وبنى
قلعة قوية سميت باتراس الجديدة وبدأ صراعا ضاريا مع أخيه كير
نةفور الامبراطور ، ولأن الفرنجة كانوا يساعدون الامبراطور وذهب
كير تيودوس إلى الملك إلى كير ميكائيل الباليولوجوس العظيم ،
فوعده بأن يفعل له أشياء كثيرة ووعد أن يسلمه أخاه ، الامبراطور
مقيدا كخائن ليقدّم له الولاء ، وجعل منه حاكما لكل رومانيا
وأعطاه جيوشه لتكون تحت قيادته ليحارب ولكي يحضر أمام العدالة
أخاه ، وشرفه كثيرا وأعطاه هبات ^{٢٧} (٣١١١ - ٣١٣٧) .

وعندما سمع الامبراطور في ذلك الوقت الاخبار بأن أخاه كير
تيودوروس قد هب في ثورة ضده وبأنه قد ذهب إلى الملك ، الذي كان
عدوا له ، حزن جدا وفقد شجاعته تماما ، ودعا نبلاءه للمشورة
ونصحه الجميع بأن يعطي أخته كزوجة للأمير غوليوم لأنه اذا كسب
الأمير كحليف وأخ فإنه سيتحدى حرب الملك مهما كانت وحيثما
دفع ، وبعدما تشاور مع نبلائه بعث بالرسول إلى الأمير غوليوم .

وكانوا دهاة وسرعان ما تقربوا منه ، ووضعوا الاتفاقيات مع المهر
وترتيبات الزواج . وعادوا بسرعة إلى الامبراطور ، وأخبروه بكل
شيء ، وقدموا له تقريرا شفويا ، وشرحوا له كيف رتبوا الزواج .
وكان المهر ٦٠٠٠ هيبيريرا ^{٢٨} ، وقد أعطاهما الامبراطور في
حينه للأمير من أجل أخته الرائعة ، وهذا عدا عن أثوابها والهدايا .

ولم يتأخروا في عقد الزواج الذي جرى في باتراس القسيمة ، وحيث
أن الأمير والامبراطور وقد اجتمعا متصاهرين فقد أحبا بعضهما
بعضا كثيرا وكانا كشخص واحد ، واذا حدث أن احتاج الامبراطور
للجيوش أو الرجال المسلحين من الأمير فإن العدد الذي يحتاجه
يكون تحت إمرته ^{٢٩} (٣١٣٨ - ٣١٧٢) .

وعند هذه النقطة ، سأتوقف للحظة عن الكتابة والكلام حول

امبراطور ارتا ، لاخبركم ولاحكي لكم عن امير المورة السير غوليوم ، فالآن بعد ان استولى الامير غوليوم على قلعة موزمافاسيا ، توسعت ولاياته ، وفي الواقع لم يكن لديه سبب للقتال ضد اي رجل في الدنيا ، وبدا قادة فرسان المورة منع الفرسان في بناء القلاع والحصون في كل اراضيهم ، وبني هو قلعة خاصة به ، وحالما اقاموا هذه الحصون تخلوا عن اقباهم ، التي حصلوا عليها من فردسا ، واتخذوا اسماء الاراضي التي اخذوها .

وعليه كان اول من بدا القائد العظيم الامير السير جيوفري ، وكان لقبه دي برويير ، وكان امير اسكورتا - كلا من الدرنفوس والارض - وبني قلعة محصنة ، وحصنا جميلا ، سماه كاريتاينا ، وهكذا بات يعرف بلقب امير كاريتاينا ، الجندي الشهير ، وسمي الثاني السير غوتير دي روزيير وكان هذا لقبه ، فقد بني قلعة رهيبة في موزاريا ، وسماها اكوفا ، ففدا اميرها . ولقب آخر بالسير جين دي نويلي ، وكان ايضا مارشال امارة المورة ، ولقد احتفظ بالمارشالية كمنصب وراثي ، وبنت امارته قلعة دعته باسافا ، وحمل آخر لقب دي نيفليت ، وكان اسمه السيرجين ، وبنت امارته قلعة اسمتها جيراكي ، وتوجد في تزاكونيا في هذا الجانب من هيلوس ، ومثله مثل الآخرين ممن حملوا القبابا اقطاعية قام الفرسان والاساقفة وكل قادة الفرسان ، فبني كل منهم حصنا في ارضه ، وكانوا يرغبون ويريدون مسرات العالم ، وابتهجوا جميعا خلال الوقت الذي توفر لهم.(٣١٧٣ - ٣١٩٩).

وعند هذه النقطة سأتوقف عن الكلام عنهم وأعود فأخبركم كيف

بدأت الحرب بين أمير المورة وأثينا ، السير غوليوم ولقبه دي لاروش وهكذا كان يسمى ، ويسمى وقد سمعتموني أخبركم في وقت سلف من كتابي حول الزمن والفصل والايام وتلك الايام عندما جاء ، بونيفيس ماركيز مونتفرات وملك سالونيك إلى كورنث إلى

أمير المورة ، الشامبني ، وبسبب الحب الكبير الذي كان يكنه كل منهما للآخر طلب الشامبني المساعدة من المريكز . ومنحه الولاء والتبعية ، أولا لأمير أثينا والترزيري الثلاثة في يوريبوس وبالإضافة رابعا (كذا) ، للمريكز بودونتسا (٣١) ، وخلال الحرب التي شنها الأمير غوليوم وأيوه أيضا ، السير جيوفري ومثلهما السير جيوفري أخوه ، أمضوا جميعا وقتهم بلطف ، وحالما أصبح الأمير غوليوم سيدا لامارة أخيا وأصبحت تحت سلطانه طلب من الأمير العظيم أن يؤدي له الولاء ، وأيضا من أمراء جزيرة يوريبوس ومثل ذلك من المريكز ، أمير بودونتسا ، والتقى الخمسة معا وتشاوروا مع بعضهم وأجابوه بأنهم يعتزفون به فقط كندلهم — (٣٢٠٠ - ٣٢٤٤) وأما بالنسبة للولاء الذي ذكره فانهم غير مدينين له بشيء ولن ينزلوا مطلقا إلى مستوى تقديم الولاء له .

وغضب الأمير عندما سمع هذا الكلام الذي بدا له غير مناسب . فعقد جلسة استشارية وأشار عليه المجلس بشن حملة وبأن يسير ضدهم ليحاربهم كمتمردين وخونة ضده .

ولهذه الغاية أمر بتسجيل كل واحد في الامارة : قادة الفرسان . الفرسان ، كل الأساقفة ، فرسان الداوية والاسبطارية وكل ممثلي البرلمان ، وكلهم بالاجتماع في نيكلي في ١٢ أيار ولا عذر لأحد ، وعندما سمع السيد العظيم وعرف أن أمير المورة كان يعد للزحف اليه ليحارب جميع جيوشه ، أرسل الدعوات إلى كل مكان حيث يوجد له صديق ، يطلب ويلتمس منهم أن يأتوا لمعاونته ضد الأمير ، الذي جاء ليحاربه ، وكان أفضل صديق وقريب له في ذلك الوقت هو الأمير الباسل سيد كاريتاينا (٣٢) الذي كانوا يرتجفون أمامه في كل رومانيا ، فتزوج من اخته . وكتب للسيد العظيم يعلمه ويتوسل اليه كأخ مخلص له أن لا يخذله في تلك المناسبة ، التي يحتاج فيها اليه لأن أمله وثقته كلها فيه .

وعندما سمع ما طلبه منه أخوه ، فإن أمير كارييتاينا الباسل الشهير فكر وتأمل بعيدا كيف يجب أن يعمل ، لمن يذهب أولا للمساعدة . إلى الأمير الذي كان تابعا له والذي تربطه به قرابة الدم . فقد كان عما له - أو الأمير العظيم أخو زوجته . ويقرر ما تأمل فقد كان خياره هو الأسوأ ، والذي لم يكن ليشرفه ، وقال إنه اعتبر إنه من الأفضل أن يفقد شرفه من أن يخذل أخا زوجته . وهذا هو الآن التعليل الذي كان في ذهنه في ذلك الوقت - فإذا خذل الأمير - فإنه كان . قبل كل شيء عمه - وقد ينال عفوه ، وأنه سيأخذ الأمر على هون ، وعليه جمع الجيوش القوية وسمع هذا في كل مكان ودهش له الجميع ، وعندما سمع الأمير بذلك غمرته البهجة ، معتقدا بأنه سيأتي إلى جانبه . ولكنه أسرع بالذهاب إلى الأمير العظيم (٣٢٤٥ - ٣٢٨١) وأخذ جيوشه وذهب إلى طيبة حيث وجد الأمير العظيم يجمع جيشا ، وعندما وجد أن ابن حمية قد جاء إلى هناك ، بدا له أنه قد كسب نصف الدنيا ، وكان سعيدا جدا ، وندم فيما بعد . وعندما سمع الأمير بالفعل وبالأعمال الشريرة لابن أخيه أمير كارييتاينا ، بدا له الأمر مدعاة للأسف الشديد وقد حزن بعمق ، أولا بسبب السمعة التي كانت له في العالم كأفضل الجنود الذين كانوا في رومانيا في تلك السنوات ، ومرة أخرى لأنه كان قريبا له ، وكان ابن أخيه وخان أميره وذهب إلى عدوه ، ومع ذلك ولأنه كان حكيما فقد واصل نفسه وأمر جيوشه وذهبوا إلى كورنث وشقوا طريقهم بالقوة إلى دهلز ميغارا وكسب هذا الأمر في المعركة ، (٣٣) وسمع الأمير العظيم بهذا واضطرب جدا لأنه علم أن الأمير قد اجتاز الشعب ودخل أراضيه وخرج يبحث عنه ، فأخذ جيوشه وخرج للقائه وتقابلوا عند موقف كاريدي ، وبدأوا المعركة على قمة الجبل ، وحيث أن الرب حاكم ويحكم بالعدل وقف مع الأمير فربح المعركة.

وكان قائد الفرسان الذي قتل هناك في المعركة يدعى السير غويرت دي كورس وهذا لقبه وكانت زوجته ابنة السير جين دي باسافا ، وتزوجت بعده السير جين وكان لقبه سانت - أومر ، وأنجبا ابنا رائعا هو السير نيكولاس دي سانت أومر أمير طيبة والمارشال العظيم لامارة أخيا (٣٤) . وقتل أيضا في هذه المعركة سرجنية وفرسان بلا عدد (٣٢٨٢ - ٣٣١٢) .

وهرب الأمير العظيم إلى طيبة بأكبر عدد من أتباعه ممن ذهبوا معه . وذهب أمير كاريثاينا إلى هناك معه ، والآن بعد أن هزم الأمير غوليوم الأمير العظيم في المعركة التي وقعت في كاريدي ، هرب الأمير العظيم ، وذهب إلى طيبة وكان أمير كاريثاينا هناك معه وكذلك السير نيكولاس دي سانت أومر مع أخوته ، السير جين دي سانت أومر ، والسير أوتون (٣٥) ، وأيضا أخوة الأمير العظيم الثلاثة الذين كانوا جميعا جندا جديرين بالشاء ، وفرسان يحمل كل منهم علمه ، وأمير سالونا السير توماس (٣٦) وأمراء يوريبوس الثلاثة والمركيز وقد حملوا جميعا الأعلام ، ولكن الفرسان الآخرين الذين كانوا في المعركة مع الأمير العظيم ولا ادرجهم هنا لما يتطلبه ذلك من كتابة مطولة جدا .

وإذ رأى الأمير أنه قد ربح المعركة وقتل وقضى على أعدائه ، تتبعهم بحكمه مع جيوشه إلى طيبة وحاصروهم ، وأمر أن تنصب الجيوش الخيام حولهم ، ونهبوا الضواحي واستولوا عليها ، والآن عندما رأى الكبراء في الجيش أن أقاربهم الذين أحببهم هناك وأن الأمير العظيم مع الآخرين الذين معه ، كانوا يفقدون قراهم ، ذهب مطران طيبة وآخرون من الموثوقين هناك ليتوسطوا للوصول إلى تفاهم مع الأمير العظيم والذين (٣٣١٣ - ٣٣٤٩) معه . وأقسم الأمير العظيم للأمير في ذلك الوقت أن يضع نهاية لاغارته وتدميره ، وبناء على اسمه سيذهب إلى كورنث ، وفي مدينة نيكلي سيقدم له الولاء وأنه سيرجع ويعوض

عن أي خطأ فعله في حقه ، وعن أي جريمة ارتكبها ضده ، وعن الأسلحة التي شتمها في وجه الأمير ، كما يقضي العدل ، وتدخل قادة الفرسان كضامنين وضمنوا أن يذهب الأمير العظيم الى نيكلي خلال مهلة حددوها في حينه . وحالما قرروا ما أخبركم به انطلق الأمير ونهب الى كورنث وسافر من هناك راسا الى نيكلي واستعد الأمير العظيم على الفور وأخذ معه النبلاء من قادة فرسانه وكل الفرسان الذين تبعوه ، وبشرف ونبل ، انطلق بعد ذلك ونهب راسا الى مدينة نيكلي حيث كان ينتظره الأمير غوليوم .

وحالما وصل الأمير العظيم الى نيكلي وانضم الى كل النبلاء في الإمارة . نهبوا معه جميعا الى حضرة الأمير ، وركع أمامه وتوسل اليه الجميع أن يصفح عما فعله الأمير العظيم برفعه السلاح ضده في المعركة ، واكونه رجلا حكيما ونبيلا فقد صفع في حينه عن الأمير العظيم بدمائة . وبناء عليه أدى الولاء الذي دان له ، وقبله في نفسه وتصالحا (٣٧) ، وبعد هذا وفي حضور القادة أمره كتفويض عن الجريمة التي ارتكبها واشهاره السلاح ضده في المعركة أن يذهب الى ملك فرنسا ليحاكم من قبله . ووعده الأمير العظيم على الفور أنه سيغفر ما أمر به الأمير (٣٨)

وبعد أن انتهوا من هذا الأمر الذي أخبركم به. أخذ الأساقفة مع الآخرين كلهم (٣٣٥٠ - ٣٣٧٧) بما فيهم الأمير العظيم ، السير جيوفري أمير كارتياينا والقيد في عنقه ونهبوا الى الأمير ، وتوسلوا اليه وهم راكعون وصلوا لكي يكون رحيما ويصفح عنه ولم يقبل الأمير وعارضهم بقوة ، وبين لهم السبب وكان محقا وهو الخطأ الذي ارتكبه بنهاية الى صف عدوه ، لقد تخلى عنه وهو أميره الشرعي (٣٩) . ومع ذلك الصوا عليه وتوسلوا اليه كثيرا الأساقفة منهم والنبلاء والقادة حتى رجعوا الأمير في صفهم وأشفق على أمير كارتياينا ابن أخيه ، فعفا عنه بناء على ذلك وأعاد له أرضه ليتملكها من حينه ملكا قابلا للتوريث للورثة المباشرين له . وأنه لو كان لديه أكثر لنحه ملكيته من حينه فصاعدا (٤٠)

والآن بعد هذه الاتفاقات ، أقام الفرسان الشبان احتفالا وعقدوا حلقات المبارزة وكسروا الرماح وأمضوا وقتا جميلا . وبعد أن احتفلوا جيدا انطلقوا من هناك واستأنن الأمير العظيم وأمراء يوريبوس من الأمير ورحلوا .

ولأن موسم الشتاء كان يقترب بقى الأمير العظيم ليمضى الشتاء ، وعند ما حل الموسم الجديد ، وفي شهر آذار جهز سفينتين كبيرتين وركب وعبر إلى برنيزي ونزل هناك (٤١) (٣٣٧٨ - ٣٤٠٧) واشترى خيولا بسرجين الأسفر (٤٢) ، وأخذ الطريق وسافر شوطا بعيدا حتى وصل إلى باريس .

ووجد الملك هناك ، و كانت هناك عطلة كبيرة تدعى عيد الحصاد وكان الملك يحتفل (٤٣) ، وانحنى الأمير العظيم في خضوع بين يدي الملك الذي لقيه بتشريف كبير لأنه كان قد علم أنه كان قادما من رومانيا ، وكان الأمير قد أرسل رسالة مكتوبة مع أحد فرسانه حول الحالة التي سببها الأمير العظيم ، وقام الفارس بالحناءة للملك وأعطاه رسالة الأمير غوليوم وقد سلمها الملك وأمر بتلاوتها ، وبعد أن فهم تماما الفعل الذي ارتكبه الأمير العظيم في ذلك الوقت ضد الأمير أدرك بدهائه في حينه أن أمير الدولة قد أرسل الأمير العظيم إليه نظرا لشرفه تجاه العالم ، (٤٤) ولهذا السبب ، أمر بناء عليه بدعوة القادة الذين كانوا في باريس في إجازة في حينه بأن يمثلوا بين يديه ، وطلب منهم أن يشيروا عليه بمشورة جيدة ، فناقشوا بشكل مطول جدا وبالتفصيل الجريمة التي ارتكبها الأمير العظيم ضد الأمير غوليوم ، وعندما تكلموا أخيرا ووجدوا الحقيقة ، استدعوا الأمير العظيم وكذلك الفارس ، وأعطوا جوابهم لكليهما ، وأعلنوه شفاهما لهم وقدموه اليهم كتابة أيضا . ووقف الأمير العظيم واستمع للكلمات ونطق أحد البارونات بقرار المحكمة ، ودعا الفارس وقال له : اسمع يا صديقي وأخي وافهم الكلام الذي يجيبك به القضاء الفرنسي ، إذا كان الأمير العظيم قد قدم الولاء هنا لأميره الأمير غوليوم وبعد ذلك حمل السلاح ضده وحاربه وجهها لوجه في

الميدان ، فإن القانون يأمر والعدالة تتطلب أن يحرم هو وسلالته من أي أرض وأي سلطة يستمدّها منه ، ومع ذلك طالما أن الوثيقة التي جنّتم بها إلى هنا تعلن ، كما أخبرتمونا بأفواهكم الشيء نفسه في حضرة المحكمة ، أن الأمير العظيم لم يقدم الولاء لأميركم ، أمير المورة فإن الجريمة لاتضع الأمر عند نقطة الحرمان ، ومع ذلك حيث أن الأمير العظيم عرف واعترف هو نفسه ، وكانت هذه أيضا وصية أميره المتقدم ملك سالونيك ، أنه كان يجب عليه أن يقدم الولاء له ، لم يكن له بأي حال أن يحمل السلاح أو يشن حربا على أميره ، وعليه ، وحيث أن الأمير غوليوم أرسل الأمير العظيم ، وأنه جاء هنا إلى محكمة سينا ، وأنه جاء بنفسه وهو متلف على التعويض وجاء متكلفا بذقة عظيمة وتعبا ومشقة وكانت رحلته رحلة طويلة ، وكان الصدق فقط دافعه لأن يأتي من رومانيا إلى هنا في فرنسا ، زد على ذلك تمجيدا لسيد عظيم مقام سينا ، ملك فرنسا ، إن هذا في حد ذاته تعويض مناسب يكفي كي يعفى عنه . وعندما أنهى البارون هذا الخطاب الذي سجلته لكم ، وقف الأمير العظيم أمام المحكمة ، ورفع قبعته وأجاب بحكمه (٤٥) ، فشكر الملك وبعده المحكمة ، وبعد هذا طلب بتوسل من الملك أن يكتب إلى الأمير ما توصلت إليه المحكمة ، والحكم الذي أصدرته ، وقرارها ، وبهذا أمر الملك النزيل وقد نفذ.

وبعد كتابة الأوراق وانتهاء المهمة ، دعا الملك بنفسه الأمير العظيم وقال له بلطف وكياسة : « لقد جنّت من أرضك رومانيا ، متحملا المتاعب والنفقات إلى هنا إلى مملكتي ، وإن يكون من اللائق بالنسبة لك أن تعود دون أن تحصل مني على هدية تعويضية ، ولهذا السبب أقول لك أطلب مني (٣٤٥٠ - ٣٤٧٣) أي شيء تحبه ، وسأمنحه لك » .

وعندما سمع الأمير العظيم الداهية ذلك انحنى للملك وشكره عشرات الألوف من المرات وفكر قليلا ثم أجاب : « أشكر تاجك وجلالتك (٤٦) ، يا سيدي لأن لديك الرغبة في أن تمنحني

مبة ، وعليه أقول ياسيني لجلالتكم المقدسة أن الطاعية أثينا التي عندي وأملكها ، كان كل من يملكها في الأزمنة القديمة يلقب بالدوق ، فليكن بكلمة منك وأمرك في أن اسمي من الآن فصاعدا بالدوق . وعندما سمع الملك ذلك ، وافق عليه بترحيب ، وأمر بأن ينقل اللقب وهو في القصر (٤٧) .

والآن ، ومن هذه النقطة وما بعد ، سأقوله عن الكلام عن ملك فرنسا ودوق أثينا وسأخبركم وأقص عليكم من جديد كيف أن أمير المنورة غوليوم أسر في معركة بلاغونيا هو وقواته .

وكما سمعتم هنا أعلاه في هذا الكتاب ، أبرم الامبراطور كوترواس معاهدة مع الأمير غوليوم ، أمير المنورة وأعطاه أخته زوجة له . (٤٨) ومن هذه المصاهرة تقوى الحرب (٣٤٧٤ - ٣٥١١) بين الأمير والامبراطور ، وفي الواقع أنهما وقواتهما قد أحبا بعضهما بعضا كما لو كانا أخوين من أم واحدة ، وعندما اشتدت الحرب التي خاضها ثيودوروس دو كاكس باستمرار مع الملك في ذلك الوقت ضد الامبراطور ، خطط الامبراطور لتوجيه ضربة للملك وتحطيمه.

وعندما سمع الأمير بهذا وعلم به أخذ فرسانه وقادتهم وسافر رأسا إلى باتراس القديمة ، وفي الوقت نفسه وصل الامبراطور إلى ايباكتوس (٤٩) وعبر من داربانون ومضى إلى باتراس والتقى بأبن حميه الأمير ، وأقاما مع قواتهما احتفالا رائعا ، وبعد أن احتفلا كما يريدان جالسا معا ومع قادتهما وكل المستشارين الحكماء الذين كانوا معهما ، وعليه بدأ الامبراطور الكلام ، وأعلن شكواه من الاضرار التي عاناها من نائبه وأخيه ، وعندما انتهى من ذلك وجد له الحكماء والأساقفة نصيحة ماكره وندموا بعد ذلك هي أن يسير الاخوان : الامبراطور والأمير يجيوشهما عبر والأشيا (٥٠) ويخلان إلى رومانيا ويجتاحان وينهبان كل رومانيا ، فإذا هادفا

جيوش الملك أو الذقوا بنائبه فإنهما سيقاتلانهما في الميدان
وينتصران عليهما.

وبعد أن جمعا المجلس ، عاد الامبراطور الى أترا ، وأرسل الى
كل مكان لجمع (٥١) الجيوش (٣٥١٢-٣٥٤١) وعاد الأمير الى
مدينة اندرافيدا ، وبعث بالرسائل الى كل مكان حتى يجهز الجميع
أذفسهم بالسلاح الصغير منهم والكبير ، المشاة والفرسان ، وفي
ربيع السنة ، بعد مضي الشتاء ، وبعد أن يمضوا معا عيد
الفصح ، في شهر نيسان عليهم أن يأتوا جميعا رأسا الى أندرافيدا
ليعبروا ويفزوا أرض رومانيا ، وأخذ الامبراطور الآن في انفاق المال
لاستئجار المرتزقة ، فاستأجروا من الجيوش بقدر ما أمكنهم جلبه
(٥٢) °

وعند هذه النقطة تحول عما أرويه لأتولى ذكر أمور أخرى لكم
ولاخبركم بأمر الملك . وما أن حدث اللقاء ، الذي أخبرتكم به
والذي عقده الأمير والامبراطور في باتراس حيث اجتمعا وتشاورا في
أن يفزوا معا أرض الملك ، وأن يخوضا المعركة ضده ، لينهبأ أرضه
ويجتاحا والأشياء التي يحكمها النائب ، وعليه فإن النائب أيضا
عندما بلغته هذه الأنباء ، شحن قلاعه ، وحصنها بقوة بالعاكر
وبالأغنية ، حتى يقيموا فيها ويحرسوها وأمر وجه أن يدخل
الجنود العائدين الذين كانوا في القرى هذه القلاع بالقدر الذي تدفع
له وأن يحملوا السلاح ، وأن يمضي الباقون الى الجبال مع
حيواناتهم ليحموا أذفسهم هناك.

والآن فإن كيرثيودورس ، الذي أخبرتكم به ، وكان له ثلاثة
أبناء رائعين يحملون السلاح ، وكان الأول يسمى كومينوس
والثاني دوكاس والثالث انجيلوس (٥٣) وكان قد رتب ليصبح الأول
كومينوس أميرا وحاكما في أرض والأشياء (٣٥٤٢ - ٣٥٧٩)
وأمر أن يوقف الصغير والكبير ذفسيهما له ، وحالما أنهى
استعداداته أخذ كل من رغب في الذهاب معه وذهب الى الملك الذي

كان في المينة وشرح له بالتفصيل حالة استعداد الجيوش التي اعدوها ، وبين أن أمير المورة وامبراطور أرتا كانا يستأجران المرتزقة في كل مكان ، ويسرعان بجمع الجيوش ليأتيا مع الفصل الجديد لغزو رومانيا ، وهما يريدان كما أعلننا أن يستوليا على امبراطوريتكم ويحرماكم وإيانا من الاتباع ، وبسماع هذه الأشياء غمر الملك المسن ميكائيل (٥٤) مع حركته الكبيرة وشجاعته ، الخوف مع ذلك ، وانهارت معذوباته بشكل كامل تقريبا ، لقد كان خائفا من الأمير لأن الفرنجة كانوا معه ، وعليه فقد أمر بدعوة الحكماء ، والقادة النبلاء الذين كانوا في مملكته ، وبدأ يخبرهم ويقص عليهم أن أمير المورة وامبراطور هيلياس قد اتجها الى الميدان وأنهما قادمان مباشرة الى رومانيا ، وعليه اريد وأتوسل أن يتشاور الجميع حول ما يجب عمله بعد هذا وكيف نتصرف ، وتكلموا وقالوا الكثير ولكنهم في النهاية اتفقوا وأعطوا مشورة واحدة:

وكان أول من تكلم وخاطب الملك النائب كيرثيودروس وقال للملك والقادة : « أيها الملك الامبراطور المقدس يا صاحب الجلالة والرحمة ، إذا توقعتم حماية رومانيا بالقوات التي تملكونها وحدها ، اني أعلمكم أنكم بهذا سيفضي عليكم وستفقدون امبراطوريتكم وستحرموننا أملاكنا ، مروا أن تفتح خزائنكم وانفقوا أموالكم وأستأجروا الالمان ، وابعثوا بكلمة الى ملك هنغاريا ليمدكم بالقوات وأيضا الى ملك الصرب ، وهو جار لكم ، ليأتي بنفسه إذا استطاع (٣٥٨٠ - ٣٦٢٧) أو أن يرسل ليأتوا . وبعد أن يأتي هؤلاء الذين نكرتهم وأسسميتهم ، فإن أملنا بالرب أولا ثم في مباركتك بأننا سنحمي أرضكم من العدو وأننا سندمر أولئك الذين يهددوننا » °

وعندما سمع الملك المسن كير ميكائيل هذا القول ومشورة النائب شكره بعمق وأطراه بحرارة لأنه بدا له حسنا أنه بهذه الطريقة ستحمي أرضه ، وأنه سيدمر أعداءه ، وعليه فقد أمر أن تكتب

الرسائل الى كل الاراضي التي ذكرها كيرثيودروس دوكاس وتشاور حولها ، ونهبت الرسل الى المانيا ، واستأجروا ثلاثمائة كلهم من الفرسان المختارين والمتقين ، وجاء من هنفاريا خمس عشرة مائة ، كانوا كلهم من رماة السهام الراكبين المختارين ، وأرسل كرال ملك هربيا ستمائة من الخيالة وكلهم من رماة السهام الجيبيين ، وجاءه عند لاحصر له من الأناضول وجاءوا معهم بخمسمائة من الأتراك ، وعندما حل الفصل الجديد في شهر آذار تجمعت الجيوش في الميدان الواسع في جوار أدرنة وكان الملك الحكيم مايزال قلقا وأرسل في طلب ألفين من الكومان ، من رماة السهام الراكبين الرشيقين في القتال فجاءوا ، وبعد أن تجمعت جيوشه كلها ، دعا نائبه كيرثيودروس وجعله قائدا للجيوش كلها وسلمها جميعا اليه وأمرهم جميعا أن يقبلوا به قائدا لهم وممثلا للملك وأن ينفذوا أمره كما لو كان هو يقودهم بنفسه ، وعند هذه النقطة سأتحول عما أقوله وأرويه لأعود فأخبركم بأمر الامبراطور وأمير الحورة غوليوم ، وما الذي فعلاه وكيف تصرفا في المعركة التي بدأها .

وعندما انقضى فصل الشتاء وبدأ الفصل الجديد في شهر آذار وبدأت طيور العنديل في التفريد وابتهجت كل الكائنات في النيا وجسدت نشاطها ، أرسل امير الحورة غوليوم الذي كان بعيدا عن الامبراطور الى يورييوس وكل الجزر وجمع جيوشه من كل مكان ، وعبر بحر باكتوس عند بيرغوس (٥٥) وسافر رأسا الى حيث كان الامبراطور. وفي أرتا (٣٦٢٨ - ٣٦٦٤) التقت الجيوش وتجمعت القوات ولم تمكث أكثر من يوم واحد فقط ، وفي اليوم التالي انطلقت لتذهب عن طريق يانينا وبخلت والأشياء وانتظرت هناك فترة قصيرة حتى تصل قوات يورييوس ، والجزر وطيبة وأثينا وأمير سالونا. ومروا رأسا عبر الاسايدربوتا وجاءوا أمير والاشيا ، وانضموا معا على سهل تالاسيندوس (٥٦) وبعد أن تجمعت كل الجيوش تشاور الأمراء الكبار معا حول كيفية تحقيق تقدمهم ومن أين يبدأون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يجهزوا

جيوشهم لمحاصرة باتراس وزيقوني (٥٧) ومهاجمة القلاع الأضعف ، ولكن الأحكم والمترسين في طرق الحرب لم يوافقوا على هذه المشورة ، لأنه إذا أعدت القوات نفسها لمهاجمة القلعة فإنها ستخفق في تحقيق أي شيء ، والشئ الأفضل والأكثر فائدة لنا هو أن نذهب من هنا إلى رومانيا نهب وندمر الأراضي التي للملك ، وإذا ألحقنا الملك وهو ينتظرنا في الميدان فإننا بقوة الرب سنقاتله ، وإذا كان مما يرضي الرب أن يعطينا النصر سنستولي بسهولة على أراضي سالونيك ، وعند عودتنا سنأخذ كل الأشياء وسنمضي الشتاء هنا ثم سنرى أنه عندما تسمع القوات التي في قلاع والأشياء أننا حاربنا وانتصرنا فإن كل القلاع ستسلم لنا بسرعة .

وتوصل قادة الجيوش إلى اتفاق على هذه الخطة ، وعليه فصلوا ألف خيال وثلاثة آلاف من الجنود المشاة ليصحبوهم في تقدمهم لنهب الأراضي ونظموهم في ثلاثة مجموعات وأعطوهم التعليمات فكان عليهم أن يتجمعوا معا في (٣٦٦٥ - ٣٦٩٥) نقطة واحدة جميعا ، وبعد ذلك تفرقت جميع فرقهم واتخذوا طريقهم وبدأوا السير وهم ينهبون ويدمرون أرض والأشياء ، وكان مفيروهم يسيرون دائما على مسافة مسيرة يوم أمامهم ، وهكذا كانوا يتقدمون بهذه المسافة (٥٨) وعندما نهبوا الأماكن في الأشياء عبروا الحدود التي تفصل أرض الملك عن الأشياء عند مكان يسمى كتيكالون (٥٩) وبخلوا أراضي الملك للنهب ووجدوا هناك قلعة تدعى سيرفيا (٦٠) وأسروا بعض القوات من هذه القلعة ، وطلبوا منهم أن يخبروهم بالمعلومات التي عرفوها فأجابوهم وأعلموهم بأن « نائب الملك مع كل جيوش كيرميكايل الملك تنتظركم قرب أدنة في الحقول الواسعة وهم في طريقهم إلى هنا للبحث عنكم ونتوقع أن يكونوا قد عبروا إلى مكان ما قرب سالونيك » (٦١) وبسماع هذا أظهر الأمير وكذلك الامبراطور بوضوح سرورهم العظيم لقواتهما وأنهما رغبا وأرادا القتال ، وتشاوروا على الفور حول ما يجب عليهم فعله ونصحهما مجلسهما أن يذهبا مباشرة إلى حيث كانت تلك الجيوش لقتالها وأملا في النصر ، وإذا حالقهما الحظ وربحا

المعركة ، فانهما كانا يأملان في أن يستمرا سادة رومانيا وركبا حتى
وصلا الى ناحية بيلاغونيا كما تسمى (٦٢) (٣٦٩٦ - ٣٧٢٨) .

وكان كيرثيودروس دوكاس والاشيا حاكما لكل
رومانيا ، وشهيرا في الاعمال الحربية ومقدرا في كل الاشياء ،
وعندما سمع أن الأمير والامبراطور قادمان ، جهز جيشه وفصل
السرايا وشرح لكل من قادته استراتيجية الحملة التي ينوي
اتباعها ، وكان يتبعه ألفان من الكومان ولأنهم كانوا أرشق كل
الجيوش كان لهم أن يركبوا في المقدمة ليستطلعوا المكان ، وكان
يأتي بعدهم الألمان الثلاثمائة ثم أعد الهنغاريين وكان عليهم أن
يشكلوا الفرقة التالية ، ويأتي بعدهم الصربيون والبلغار ثم يأتي
هو ومعه الروم والترك . وعندما فصل كل سراياه كان هناك سبع
وعشرون فرقة راكبة .

واكونه داهية بعيد النظر في كل الأمور أرسل الأوامر الى كل
القرى ليأتي الفلاحون مع خيولهم وثيرانهم وأبقارهم وأي حمير
ركوب لديهم ، فاحضروها وركبوها فوق الجبال وعلى البعد ظهروا
كالفرسان ، وكان كل واحد منهم يشغل لنفسه نارا في المساء وبدأت
جميع الجبال والدقول كما لو كانت تحترق ، ثم أمر بعد ذلك الكبار
والصغار في جيوشه وبين الفلاحين أن يطلقوا في صوت واحد زئيرا
صارخا ، حتى يبدو ذلك أن هزيم الرعد يهز الأرض ، وبعد ذلك
أيضا وجه بعض رجاله ليأخذوا ثيابهم وخيولهم ويتسللوا خارجين
ليذهبوا الى الأمير أمير المورة والى الامبراطور وأن يرووا له أمورا
كاذبة لم يشاهدوها ولم يسمعوها ، فامتدحوا جيوش الملك في مغالاة
وبالقوا في اعدادها (٣٧٢٢ - ٣٧٧٠) وادعوا أن كل منها يضم
٥٠٠ رجل وسربوا روايات زائفة كثيرة حتى أصبح جميع أتباع
الامبراطور في خوف شديد (٦٣) .

وبعد ذلك استدعى رجلا من مجالسه وعرض عليه ووعد
بالاقطاعات ومالا كثيرا ليتظاهر بأنه تخلى عنه ويذهب الى

الامبراطور واعطاه وثيقة يعطيها سرا للامبراطور قائلا انه سيصدق ما قد يخبره به شفويا ، فأخذ رسائله وأخذ طريقة وسار بسرعة حتى وصل الى الامبراطور ونهب اليه سرا وطلب أن يختلي به وكان المتسلل بارعا وماكرا ، فاختلق الدهوع وبدأ كلامه مع الامبراطور : « أيها الأمير سيدي ، لقد أرسلني أخوك هنا لأخبرك بسر ، ونصيحتك لك إنه الصدوق ياسيدي وهو يشهد به ، أنك أيضا وقعت في النزاع والخصومة بسبب خبث الناس وحسدهم والدوافع التي لا تقاوم لأنك تريد والأشياء وهو يريد الامبراطورية ومن هذا السبب قام النزاع بينكما وانتما أخوان ، ومما كان سبب لوم كبير ، أن يحارب أحدهما الآخر ، وعليه حسنا ياسيدي الطبيب عندما هاجمته لتأخذوا والأشياء لم يكن لديه شيء ، ليقوم ويحاربك فالتمس الملجأ عند الملك وهو خصم لكم ، ثم عرف الملك أنكم تعدون الجيوش وأنكم صاهرتهم أمير المورة ليكون أخا لكم ، باعطائه أختك زوجة ، وأنكم حالفتموه وهو وكل جيوشه (٦٤) لقد تلاقيتهم المشورة السيئة ، التي اعطيت لكم لتتركوا أراضيكم وتسهلوا الذهاب الى رومانيا الى أراضي الملك ؟ من أنتم يا امبراطوري لتشنوا حربا على الملك ؟ كم لديه من أمثالكم تحت قيادته ؟ حسنا ياسيدي الطبيب ، اسمع وصدقني أن جيوشا كثيرة قد جاءت الى هنا لملاقاتكم ولديه ٥٠٠ من نخبة الألمان وثلاثة عشر ألفا من الهنغاريين وكلهم مزودون بالقسي ، ولديه نحو أربعة آلاف من البلغار والصرب ، ولديه هناك كل الروم من أهل رومانيا ومن تركيا والناضول مما يفوق الحصر ، وبالنسبة لماosلكم ولدي الأمير (٣٧٧١ - ٣٨٠٨) هناك مائتان مع الأمير مقابل كل واحدosلكم . ولهذا السبب يا امبراطوري وسيدي أن أخاكم يقول ، مع أنكم كنتم تقاتلون بسبب شرور الشيطان ليس لديه صديق أفضل منكم في كل الدنيا ، وأنه كما يحبكم كثيرا يشفق عليكم كثيرا جدا ، ولتعرف شيئا آخر ، ياسيدي ، كم هو عدو لكم ملك رومانيا باليولوغوس ، وإذا بخلتم في معركة ضد مثل هذه الجيوش الكثيرة ، فإنه بالامكان بسوء الحظ أن تفقدوا حياتكم وثانيها وما هو أكثر سوءا إذا سقطتم في يد الملك باليولوغوس وهو يحمل لكم هذا

العداء ، انكم عندئذ لن تروا مرة أخرى ارتبا ولا الامبراطورية،
وعليه ياسيدي ان سيدي اخوكم يقول هذا لكم : اعدوا خطة للهرب
مع مجالسكم لتتقدوا انفسكم انتم والنبلاء الشبان في الامبراطورية
وانهبوا الى اراضيكم واحموا قلاعكم . والى جانب انكم اذا فقدتم
جنودكم المشاة ، سيبقى لكم السلطة وسيتبقون في
الامبراطورية ، ولن تفقصكم الجيوش وسيكون لكم
ما تريدون (٦٥) « والآن ان هذا الرجل الكافر الذي كان يقول هذه
الاشياء قلها وهو يبكي اثناء ذلك ، لقد روى قصته وهو يبكي
وينتحب ، وحالما انتهى من تلك الكلمات وأخرى غيرها كثير ورأى
بوضوح وعرف أن الامبراطور قد أنهارت معذرياته ، طلب الآن
لينسحب ، ولكن الامبراطور استبقاه حتى يتحدث مع الأمير ويطلع
على الرسائل ، واستدعى اثنين من غلمانه وانتحى بهما جانبا حيث
تحدث اليهما : انهما الى الأمير وأخبراه عني ان يأتي الى هنا على
الفور ، وأني احتاج اليه في الحال ، فأسرعا خارجين ومضيا
مسرعين الى الأمير ليخبراه بما كان عليهم قوله نقتلا عن سيدهما
الامبراطور ، فأسرعا الى حيث كان الملحد في خيمة الامبراطور وتكلم
هنا مرة أخرى الى الأمير بالتفصيل ، وروى كل شيء له كما فعل مع
الامبراطور ، وبعد أن قص على الأمير ما كان عليه أن يخبره فيه
أعطياه الآن بالمفادرة فعاد من حيث
أتى (٣٨٠٩ - ٣٨٤٥) حيث روى
للحاكم (سيفاستوكراتوب) ما أنجزه مع الامبراطور وأنه قد وعده
بالرحيل في تلك الليلة بالذات .

وعندما سمع كيرتيودروس هذا كان سعيدا واستدعى أحكم
مستشاريه ممن كانوا في جيشه وأخبرهم بالقصة كلها فابتهجوا
كثيرا ، ولكن امبراطور هيلاس لم يكن سعيدا وقد غمره أسى
شديد ، واستدعى الأمير ، وتشاور الاثنان حول ما عليهما فعله معا
وكيف يتصرفان ، واستدعيا قوادهما الأوائل في الجيش وجعلاهم
يقسمون على المحافظة على سر المشاورة ، والآن بعد أن أقسم
القادة على المحافظة على سرية كل ما سيخبرهم به امبراطور

أرتا ، بدأ الامبراطور يتكلم ويروي لهم بالتفصيل الرسائل التي افضي بها اليه من قبل الخائن ، الذي أرسله كيرثيودوروس دو كاكس ، أخو الامبراطور ، وكلها شريرة .

وعندما سمع النبلاء الكبار في الجيش هذه الأشياء صدقها بعضهم رأسا وقال انها صحيحة ، وقال آخرون ان الخائن قد روى اكايب وخجل الامير الشهير امير كاريثانيا عندما سمع بالهرب المقترح وكان يقظا جدا وقال : « ان الشرير الذي جاء يروي هذه الأشياء للامبراطور قد روى اكايب كلها مختلفة في الوقت المناسب متباها بالروم المتبجحين الذين ينتقدون أعداءهم ، ولكن دعونا نتوقف هنا في هذه الحقول واذا جاءوا ضينا دعونا نلتقاهم بمعركة لاتخافوا بالمرّة لانهم اكثر منا فأني قوات غير متجانسة من جنسيات مختلفة لايمكن ان يكون بينها اتفاق جيد ، والآن مع أننا قليلو العدد بالمقارنة معهم فاننا جميعا كالاخوة ونتكلم بلسان واحد ، وبعد قليل ســــنظهر فيمــــا اذا كنا جنودا او لم نكون (٦٦) (٣٨٤٦ - ٣٨٧٢) .

ولم يصغ معظمهم من الخوف لامير كاريثانيا بالمرّة ، والواقع انهم في النهاية أعلنوا أنهم قرروا أنه مع حلول الليل وطلوع القمر ، وبينما تكون عامة القوات نائمة ، بحيث لايمكنها ان تدرك مايفعلون سيندفعون بأكبر مايمكنهم من الهدوء والتخفي سيندفعون للخروج والهرب الى أبعد مايمكنهم للنجاة من الخطر ، وحالما قرر المجلس الهرب ذهب كل واحد الى قطاعه .

وعليه شعر امير كاريثانيا بالغ الشجاعة ، ذلك الجندي الرائع الجدير بالثناء بالأسى وامتلا قلبه حزنا ، لقد خجل من الهرب المقترح وحزن أيضا على قواته وفكر كرجل حكيم كيف يمكن أن يساعدهم حتى لا يضيع هؤلاء كأبرياء بلا ملامة ويكون هو مننبا صاحب خطيئة عظيمة ، ثم وقف في خيمته وهو يمسك في يده عصا وراح يقول لها : « يا عساي أمسكي بالخيمة التي تقطيني بقوة وأخبريها

عني أنها يجب أن لا تتكرر أني أحبها جدا ولا أريد لها أن تتعرض للخطر ، لقد تشاورنا : الامبراطور والامير وكبار رجال الجيش ، حول الهرب هذا المساء وأن نتترك عامة القوات لمسيرها . ولهذا السبب ، أقول لك ياخيمني الحبيبة لا تفكري بأي حال بأن الأمر بخلاف ذلك ، وفكري كيف يمكنك أن تهربي من الخطر » (٣٨٧٣ - ٣٩١٧) .

وعندما سمعت القوات التي كانت معه هذه القصة غير المألوفة التي لم يروا مثلها في حياتهم كلها روعوا واهتزوا بعمق وانتشر الأمر من رجل لآخر ، وعندما سمع به الأمير غضب جدا وأمر على الفور باستدعاء امير كاريتانيا وقال له بفضب : « هل كان مايفعله شيئاً جيداً ، أن تخون القسم الذين أقسمناه والمشورة أيضاً وأن تتخلى عنا ؟ إنك لم تتصرف بحكمة لقد كان هذا سلوكاً سيئاً منك » .

وأجاب امير كاريتانيا الأمير قائلاً : انني است منبأ بأي سلوك خاطيء وكل من يلومني أنا مستعد للدفاع عن نفسي أمامه وسأقاتل كل من يقول بأنني أخطأت باستثناء سموكم فأنتم حليفي وسيدي وأن أقاومكم ، ان الذين قالوا بأننا يجب أن نهرب ونتخلى عن قواتنا ، اعتبرهم حمقى منحوسين ، لا يحق لهم أن يكونوا سادة ولا أن يحملوا سلاحاً ولا أن يسموا جنوداً » .

وعندما سمع الأمير هذا فهمه وخجل وندم بعمق على كل ما حدث ، واستدعى المارشال وأصدر إليه الأوامر بأن يجعل المنادي يعلن بأن لايبالي أحد ولا أن يخشى أني خشيته من الاشاعات التي انتشرت بين الجيوش ، وأن لايصدقها أحد فهي أكاذيب كبيرة ، ولكن ليعرفوا أن هذا هو الصدق ، فعلى كل من لا يصدق هذه الأكاذيب أن يعلم أننا بمشيئة الله سندخل المعركة غداً .

وعندما سمع الموريون جميعاً هذه الرواية وقد ذاعت ، وأكدت أن

الشائعات كانت كاذبة وأن هناك معركة في صباح اليوم التالي ، ابتهج الجميع وأيدوا ذلك كثيرا ، وعندما سمع نبلاء الامبراطورية بذلك اضطربوا للغاية وذهب كل النبلاء الى الامبراطور وقالوا له سرا وفي خلوته : « سيدنا ماذا تفعل ؟ هل تريد منا أن نموت هنا ظلما مدك ؟ لاتصغ الى فرجة الدورة المنحوسين ، الذين لم يخافوا من الأعداد الكبيرة من جيوش الملك التي تواجههم والذين بدلا من ذلك يتسللون لقتالهم » وأجابهم الامبراطور قائلا « اني أتمسك بما قلت وبالمشورة التي أعطيت فليقل الدوريون وليفعلوا ما يريدون لينذهب أحدكم الى جيش الامبراطورية ليواجه نداء ، وعندما يأتي المساء (٣٩١٨ - ٣٩٤٩) وحالما يبرز القمر ليبدأ الجميع على الفور وفي هدوء شديد ولنذهب جميعا الى مقاطعاتنا رأسا ، وكل من لديه إرادة القتال ويرغب فيه فليبق هنا غدا وسيجد ما يبحث عنه » (٦٧) .

وهكذا فعل أولئك الرومان من الامبراطورية ، فعندما حل الليل تسللوا من الجيش ، انظر هذا الفصل الشرير الذي ارتكبه الامبراطور في ذلك الوقت ، ان يأتي ويخرج من الدورة الأمير غوليوم مع زهرة النبالة في الدورة الذين كانوا يتمتعون بالسلام والراحة والقوة التي لاتنازع لينهبوا لمساعدته في حربه ، ثم يتركهم في أيدي أعدائه ويهرب هكذا رجل تصحبه لعنة الرب ، من الذي يسمع بهذا ويصدق روميا على الاطلاق سواء في الحب أو الصداقة أو في أي علاقة ؟ لاتصدق روميا وان أقسم لك بأي قسم ، فعندما يريد خيانتك إنه يجعلك عرابا لطفله أو أخا بالتبني أو صهرا حتى يمكنه أن يبيدك (٦٨) .

والآن انها العادة الطبيعية في الدنيا أن أحدا لايبقى الأخبار السيئة سرا ، ان ذلك الكافر ، الخائن الكبير الذي طبخ كل هذه الامور التي أخبرتكم بها ، عندما رأى أن الامبراطور يهرب مسرعا ، هـرول مسرعا الى جيش الملك ، روى للحاكم « السيفاستوكراتور » أن الامبراطور قد هرب بالجيوش

التي أحضرها من الامبراطورية وأن الأمير قد بقي وحده وعندما سمع الحاكم ذلك سعد جدا فأعد السرايا بسرعة وبدأوا في التحرك وأسرعوا رأسا الى بيلاغونيا (٣٩٥٠ - ٣٩٩٢)

وتحركوا يوم السبت وتقدموا تجاه الأمير ، وفي يوم الأحد صباحا اصطفوا للشروع بالقتال ، وعندما رأى الأمير أن الامبراطور قد هرب وعرف الفعل الذي ارتكبه تجاهه وأنه قد بقي في بيلاغونيا مهجورا هكذا إلا من جيوشه التي جلبها معه من الدورية وعرف أن قوات الملك قائمة مع الحاكم نائب الملك لقتاله ، وكجندي حكيم ونبييل دعا قواده ، الكبار في الجيش ، وكل الفرسان من الفرنجة واليونانيين على السواء وبدأ يتكلم فيهم ويوجه اليهم الخطاب ، وحضهم بلطف وطلاوة وواساهم : « أيها الرفاق والأخوة والأصدقاء ، أنتم يامن عندي كأولادي إن الرب في مجده يعرف مدى صدقي بما فعله أخي الامبراطور بنا ، فتخلي عني كطفل وأوصلني الى هذا وأنا لأجل محبتي له ، مرة أخرى لشري وأنا أرى الموت والحرمان الذي هدد به من قبل نائب الملك ، وكان أخوه الذي أخذ منه والأشياء يسمى وراء الامبراطورية ، أخذت جيوشي أنتم يارجلي وجئت كحليف له لمساعدته ، وحالما جاء بي الى هنا الى رومانيا سلمنا لأخيه تماما كما فعل يهوذا عندما سلم المسيح لليهود ، وعليه أقول لكم ، وأتوسل اليكم جميعا الآن وقد أسلمتنا هذه الخطيئة لأعدائنا ، وأنتم تعلمون أننا بعيدون جدا عن الدورية وإذا كان لنا أن نهرب فأننا لن نحقق شيئا ، وسيكون شيئا بشما أن يروى ذلك عنا في كل الدنيا أنه مع أننا جذود هربنا كالأفساء والأحرى بنا أن نقف كرجال وجذود ذوي خبرة ، قبل كل شيء لحماية أرواحنا وهو أمر لازم ، وثانيا وبعد هذا أن نحافظ على ثناء العالم ، الذي يحبه كل من يحمل السلاح وأن الذين جاءوا لقتالنا قد التقطوا من كل مكان من أمم عدة (٦٩) وأريدكم أن تعرفوا ، ولاتدعوا أحدا يصدق أن القوات المسلحة المتنافرة المجموعة من أماكن عديدة يمكن أن يكون هناك ابنى اتفاق وتام فيما بينها ، ونحن من الجانب الآخر مع أننا قلة في العدد بالمقارنة

معها ، أننا جميعا معارف ورجال لنا روح واحدة ويجب أن يحب الواحد الآخر كاخوة (٣٩٩٣ - ٤٠١٧) لأننا اذا أحببنا بعضنا كما يجب فان كل واحد منا سيتحدى مائتين من هؤلاء الذين جاءوا هنا لقتالنا اني لست قلقا من أحد ، سوى من الألمان ، أنهم ثلاثمائة فقط ، ولهم أمير يدعى دوق كارنثيا (٧٠) وقد أبلغت أن الألمان سيشكلون أول سرية لهم تدخل المعركة ، فاذا قمنا بهجوم كجنود عقال بمقاولة زخم الهجوم الألماني واذا منحنا الرب والحظ ومباركة الأهل القدرة على تشتيتهم وهزيمتهم تماما سيكون لدينا الآخرون مثل الصدوق والحجل ، وعليه أقول لكم فلتكن أول فرقة لدينا هي الأفضل وكلها من الرجال المختارين الذين يعرفون كيف يقاتلون وواعين للرأي العالمي ، وليكن قائدا عليهم وأميرا ابن أخي أمير كاريتانيا ، وأمل في الرب أولا ثم في شجاعته وبراعته الحربية أن يتصرف بحكمة وكجندي جيد » *

وكما قال الأمير جري ، فقد فصلوا سراياهم وأواجههم لدى تجميع سراياهم وأواجههم التي أعدوها ، وأخذ الأمير غوليوم وملك الروم ميدان بيلاغونيا (٧١) وكانت فرقته الأولى من الألمان (٤٠١٨ - ٤٠٥٧) وعندما راهم أمير كاريتانيا المشهور ، انطلق رأسا نحوهم فوضعوا رماحهم في مواضعها ، وكان أول المواجهين الذي طعن أول طعنة رمح هو الذي كان يدعى دوق كارنثيا ، فضربه في الصدر فوق درعه وبجوانه صدمة فوقع ميتا على الأرض ، ثم ضرب اثنين آخرين ممن كانوا من اقاربه وانكسر الرمح الذي كان يحمله ثلاث قطع ، وعلى الفور وضع يده على سيفه وبدأ يقاتل الألمان ، كل من جاءوا ضده ليقاتلوه ، وأطاح بكل هؤلاء فانطرحوا كالعشب فوق المرعى (٧٢) وعندما رأى الآخرون الذين كانوا معه ذلك ، احتشد الجميع بشجاعة حوله وذبحوا الألمان وقتلوه .

وعندما رأى الحاكم نائب الملك من حيث كان يراقب أن الألمان قد تشتتوا واستولى عليهم الذعر هرول مسرعا الى حيث كان

الهنغاريون وأمرهم بأن يطلقوا سهامهم على السرية التي اختلطت بالألمان وقال لهم بجرأة : « لاتبالوا أبدا بالألمان مطلقا لأنهم رجالنا لأنني كما أرى والاحظ أن هذا التين أمير كاريتانيا يضغط عليهم بشدة ، وإذا كان لكم ان تقذفوا الفرنجة فقط فانكم لن تتجحوا مطلقا في كسر هجومهم والأحرى أن تقذفوهم جميعا معا عند قتالهم لتقتلوا الخيول التي يركبونها حتى يسقط الفرسان عن خيولهم ، وحتى نقتلهم قبل أن يقتلونا ، وإذا كان للألمان أن يموتوا معهم فان من الأفضل أن يضيعوا وحدهم بدلا من أن تضيع كل الجيوش ، وليكن الأثم علي ، فافعلوا كما أمركم . »

وفعل الهنغاريون كما أمروا ، وبدأوا يطلقون سهامهم نحو الفرنجة والألمان ، ومن الجانب الآخر جاء الكومان ، وأطلقوا معا سهامهم على شعب الفرنجة لماذا أخبركم بكل هذه التفاصيل وكيف لي أن أذكرها بكل دقة ؟ ونبحت كل خيول ومطايا (٤.٥٨ - ٤.٧٨) الفرنجة والألمان ، وسقط الفرسان ، سقط أيضا الفارس الرائع فخر الجند وعزتهم أمير كاريتانيا مع مهره ، وعندما رآه نائب الملك وعرفه أطلق صرخة قصيرة وركض نحوه ، لئلا يطلق أي شخص آخر سهما نحوه ليخترق جسده ، وقال له : « سيرجيو فري أمير كاريتانيا ، قبل أن يقتلوك يا أخي استسلم لي ، الي يا عزيزي ولن تجد خداعا » وأقسم له على سيفه فاستسلم ، وبعد أن استسلم أمير كاريتانيا الجندي الشهير سقط علمه حيث تسلموه ، والتقطه نائب الملك نفسه وأخذه وسلمه لشخص من حاشيته ليحفظ به بعناية وليحرسه له .

وعندما رأى الأمير الشر الذي ارتكبه نائب الملك في بداية المعركة ، عندما اختلط أمير كاريتانيا والألمان وأخذوا يذبحون بعضهم بعضا جعل الهنغاريين والكومان أيضا يطلقون سهامهم نحوه ليذبحوا خيولهم فأخذ معه سرية وركب نحوه ليساعده اذا أمكنه حتى لايتغلبوا عليه ، ولكن الأعداد الكبيرة من الروم وحشود رماة السهام (٧٣) نبحت الخيول ، وسقط الفرسان ، وعندما

وجدوا أنفسهم جنودا رجاله وسط الجيوش ، لم يستطيعوا فعل شيء أرادوا أو لم يريدوا ، وقبل أن يموتوا بدون حق في هذه الدنيا ، استسلموا جميعا كما فعل الأمير نفسه (٧٤) ولم ينقذ منهم سوى حشد الفقراء حيث هرب منهم كل من استطاع عن طريق الأشياء وتمكن بعض المشاة (٤٠٨٨ - ٤١٣٠) من الجنود من النجاة وذهبوا الى المورة وأسر الوالاشيون آخرين في الأشياء علاوة على الباقين الذين قتلوهم ونهبوهم ، وحالما انتهت المعركة وهزم الفرنجة أمر نائب الملك بنصب الخيام ، وكانت خيمة مقره ذات أربعة أعمدة وبعد نصبها وبخوله اليها أمر بحضور جميع نبلائه وقادته ثم أمر بإسخال الأمير غوليوم أمير كاريثانيا وكل الفرسان وأخذ بيد الأمير باحترام وحياء بلطف وأجلسه بجانبه ، ثم قال « مرحبا يا أخي مرحبا يا ابن عمي ، كم كنت مشتاقا لرؤيتك كما أراك الآن تماما وباليدي الأخرى أخذ أمير كاريثانيا وجعله يجلس الى جواره وعندما جلسا معا مع حشد الفرسان وملا النبلاء الخيمة بدأ نائب الملك يخاطب الأمير : والآن بالمسيح أيها الأخ الطيب الأمير ويابن العم لابد انكم شكرتم الرب والقديسين شكرا جزيلا عندما منحكم الرب انتم وسلالتكم ان تكونوا سادة المورة وأن يكون لكم مثل هذا الجد وكان يجب أن تبقوا مستريحين في ولاياتكم وأن لاتسعوا الى حرمان الآخرين ، أخبروني بماذا أخطأت معكم وماهو الشر الذي أوقعته بكم حتى جنتم ضدي للاستيلاء على أملاكي ؟ زد على هذا لم يكفكم أن تزحفوا ضدي أنا جاركم وقد أعطيتكم اختي ، بل جنتم ضد أميري الملك المقدس لتستولوا على مملكته وتصبحوا ملوكا ، وفي هذا الامر لابد انكم سمعتم وفهمتم أنه رجل افضل بكثير منكم وأنه مسيحي حق ، والرب العادل الذي يحكم بالعدل قد أوقعكم في يديه وأصبحتم تحت سلطته ، وحيث أنكم سعيتم لتجريدته من أملاكه ، فإنه سيخرجكم من المورة التي ليس لكم حق فيها ، انه السيد الشرعي لرومانيا ، وعندما تخرجون من السجن انهبوا الى فرنسا حيث أملاككم الشرعية ، وبعد أن انتهى مما أخبرتكم به أجابه الأمير كرجل حكيم بالالسان الرومي: (٧٥) « سيدي نائب الملك وأخو زوجتي ان لك افضلية أكبر مني في الكلام

والعمل بدرجة كبيرة ، لأنني في سجنك وحتى لو حدث أن مت في مكاني ، فاني مع ذلك لن امتنع عن ان اقول ولو جزءا من الحقيقة ، أن الرجل النبيل يجب أن لا يذفاخر ولا أن يلوم عدوه الذي شاء القدر أن يكون في سجنه كما تحفظ بي شيء آخر أسوأ هو أن يجد المرء عيبا في حالة يتحمل هو نفسه مسؤوليتها ويلام عليها ، اذا حاولت يا أخي ان أزيد فخري وثروتي ومجدي يجب عليك ان تمنحني ، لأن الرجل الذي يحمل سلاحا يجب عليه أن يزيد ثراه وشرفه طالما أنه لا يتصرف بغير حق ، يأخذ من أقاربه ويحرم أهله وأهـدقاء أهله ، وعلى أي حال انا أمير وجندي صغير ، ولم ترني أهاجم قريبا لي ، ولا جارا مسكينا لي لأخذ ما هو له ، بل هاجمت ملكا وهو أمير عظيم لديه القوة والسلطان العظيم في العالم ويشتهر بشجاعته على كل الجنود ، وإنه لشرف لي وفخر أن اشتبك معه لأنه ملك وأنا جندي صغير ، وعلاوة على ذلك إنه من عرق الشعب الرومي وليس بيني وبينه أية قرابة أشاطره إياها ، والآن أنت وانت الذي أخـو الامبراطور وبالطريقة والوسيلة التي تعرفها أنت نفسك لم يكفك أنه أعطاك من أملاكه ما تملكه من أرض امارة والاشيا وهي أفضل قسم من مملكته وكذلك أردت أن تحرمه بالمرّة وأن تأخذ منه ما يملك وكل الامبراطورية ليصبح بادئسا نفسه (٧٦) وحيدا في الدنيا ، وارتكبت حتى ما هو أكثر ، وهو عمل شريع لأنك لم تكف بقتاله كجار وقريب وبالطريقة المقبولة في العالم كله ، بل هرعت الى الملك السيد العظيم — ونهبت اليه لأنه عدو له وهناك خصومه معه — حتى يساعدك ويعطيك القوة والجيش حتى تدمره وتحرمه تماما ، ولم يكن لا ذفا بك يا أخي ولا بشرفك لأن الخطيئة والحظ في الحرب قد جعلاني أقـم بين يديك وأنا الآن في سـجنك كي (٤١٧٣ - ٤٢١٢) تؤنّبني بهذه الطريقة البشعة بلا حق وبلا سبب على أشياء ومشاريع لا شأن لي بها ، وهنا في حضور مثل هؤلاء الناس النبلاء ، وتتملص من الأمور ومن مسؤولياتك وتضعها على رأسي ، وهي أمور لا شأن لي بها .

وعندما سمع نائب الملك كلام الأمير وأنه قد أجابه بكبرياء عظيم

ولم يبال بحقيقة أنه كان محتجزا ليه ، اكتاب جدا وحزن حزنا عميقا ، والواقع أنه أصبح غاضبا جدا من الأمير غوليوم (٧٧) ولولا مشاعر الخجل عنده أمام النبلاء الذين كانوا حضورا من فرنجة وروم لتكلم وتصرف تجاه الأمير بصورة قبيحة ، والآن وعندما رأى النبلاء الذين كانوا معهم مظاهر الغضب على سحنة نائب الملك عملوا بالكلمات والطرق اللطيفة على تخفيف وقع كلماتهم وأوجدوا سلاسا بينهما .

وبعد أن ارتاح نائب الملك وجيوشه في بيلاغونيا - وأمضوا يومين في دفن القتلى والعناية بالذين جرحوا بمداواة جراحهم - أعد جيوشه وانطلقوا رأسا إلى القسطنطينية حيث كان الملك (٧٨) وأحضر الأمير معه بطريقة قتلوي على الاحترام ، وركب إلى جواره وناما في المكان نفسه وتابعوا السفر حتى بلغا المدينة وبعد أن نزلا واتخذا مراكزهما ، أخذ نائب الملك الأمير غوليوم وهو ممسك بيده إلى القصر ، وكان الملك جالسا على عرشه يحف به النبلاء الأقل قدرا ، وحيا الأمير وهو جاث على ركبتيه الملك كرجل نبيل وحكيم وأخذ الملك بيده وأنهضه ، مرحبا أيها الأمير بك وبحاشيتك . ورجاه أن يبقى معه برهة صغيرة ، ثم أمر الملك بأن يؤخذ من هناك ويوضع في السجن مع تشريفه ، ووضع أمير كاريثانيا (٤٢١٣ - ٤٢٦٠) وقاعة الفرسان الآخرين مع الأمير في سجنه حتى يشاطروه محنته ويواسونه ، مع القدر نفسه من التشریف الذي فرضه لهم جلالة الملك ، وبعد أن أمضوا اسبوعا في السجن أمر الملك باحضار الأمير وكل الفرسان الذين كانوا معه إلى حيث كان الملك في القصر ، وقال الملك بنفسه : « انك أنت نفسك أيها الأمير رأيت ولاحظت أنك في السجن وإني وضعتك تحت سلطاني وإن شئت تركتك حرا أو شئت أوردتك حذفك ، وسأقدم لك هذه المعلومة فلا تكذبها ، لو كنت في المورة حيث كنت سيدا وكان لك أن تحاربني كما فعلت فأذك لن تكون قادرا على الصمود طويلا جدا أمامي ، وسألقي بك خارجها سواء بالبر أو البحر وسأغزو أرضك وهي ولايتي بالوراثة ، حسنا الآن أنت هنا في سجنى ومعك كل

قواتك ، لو أني أرسلت جيوشي الى هناك الآن ليعبروا البحر بالسفن ثم مرة أخرى عن طريق البر عن طريق الجزء القاري الرئيسي ، وحيث أن أرضك مجربة من جيوشها فإنهم سيأخذونها بسهولة وستخسرهما وعليه أقول لك يا أمير ، وأقدم لك هذه النصيحة ، طالما أملاك قد ناضلوا واندفعوا أموالا كثيرة للاستيلاء على المورة وقد فعلت أنت الشيء نفسه ، بعدهم وبدلا من فقد ماتملكه وبقيائك محروما ، خذ من مالي - سأقدم لك هدية عظيمة القيمة - أنت وفرسانك الحضور هنا معك ، وسأطلق سراحكم وأترككم أحرارا تذهبون لشراء المين في فرنسا لتكون لكم وأولادكم دائما وأتركوا لي المورة فهي من ممتلكاتي لأنني اذا أطلقت سراحكم من سجنني ، وبقيتم في المورة كما كنت من قبل فانكم وأولادكم لن يتحقق لكم السلام مطلقا ولا الراحة التي تأكلون فيها خبزكم .

وسمع الأمير كلمات الملك وفكر كيف يجب حتى لايقع في أي خطأ ، وحالما تكلم الملك وانتهى من قوله بدأ الأمير بدوره الكلام معه « ايها الامبراطور الملك المقدس ، اني استعطف قوتك ، وانا الرجل الغريب غير المجرب ، أن أحصل على انك في الاجابة وحيث أن سلطة جلالتك ايها الامبراطور تتطلب مني أن أسلم اليك الأرض مع السلطان الذي أملاكه في المورة ياسيدي في مقابل ما (٤٢٦١ - ٤٣٠٧) تعطيه لي ولرفاقي من مال ، لنمضي الى فرنسا التي نملكها ، ونشتري الأرض ونبقى فيها ونبقى لكم المورة وهي من ممتلكاتكم ، ان من سلطتي وقدرتي على الرد أن أعطيكم فقط الجواب الذي سأقوله فتقبله كحقيقة ، لأنك لو ابقيتني في السجن خمسة وخمسين عاما فلن تحصل مني على غير هذا الذي يمكنني أن أخبر به جلالتك : إن أرض المورة هذه الآن ياسيدي ليست من ممتلكاتي ولاهي ورث لي من أجدادي لأملاكها ، مع سلطة التخلي عنها وجعلها هبة لك ، لقد أخذت هذه الأرض من قبل أولئك النبلاء الذين جاءوا الى هنا الى رومانيا من فرنسا مع أبي كأصدقاء ورفاق ، لقد أخذوا أرض المورة بالسيف وقسموها بينهم بالوزن والميزان ، وأخذ كل منها حسب مرتبته وبعد ذلك انتخبوا أبي

باعتباره الاحكم والاكثر امانة بينهم وجعلوه قائدا على الجميع ، وبالاتفاقات المكتوبة وماضمنوا من الشروط لم يكن لديه سلطة الحكم وحده ، أو أن يفعل شيئا للشعب دون مشورة المجلس وارانة كل رفاقه وعليه ياسيدي الملك ليس لدي سلطة التخلي عن ذرة واحدة من الأرض التي أملكها لأن أسلافي كسبوها بالسيف طبقا لعاداتنا التي اشترطوها فيما بينهم ، ومع ذلك كما هي العادة التي يتبعها الجنود الذين يأسروهم في المعركة ويبقونهم في السجن فانهم يفقدونهم بالمال والهيبريرا فدعوا سلطة جلالكم تقرر حسب منزلة كل منا نحن الذين هنا مايجب على كل ان يعطى ليفتدي نفسه ويخرج من سجنكم واذا أيدت سلطة جلالكم هذا فإن كلا منا أيها الامبراطور سيبدل مايمكنه من جهد ويقدر على دفعه ليفتدي نفسه ويخرج من سجنكم ، واذا بدا لكم انه من الافضل لكم ياسيدي ان لاتصرفوا معنا بهذا الاسلوب فنحن هنا في سجنكم ، ولتكن مشيئتكم .

وبسماع هذه الكلمات ، غضب الملك جدا وقال للأمير بغضب شديد : « يا أمير واضح جدا أنك فرنجي لأن فيك الرعونة نفسك التي لدى الفرنجة ، إن غطرسة الفرنجة تؤدي بهم دائما إلى الضلال وإلى ضياع آمالهم ، تماما مثلما جعلتك (٤٣٠٨ - ٤٣٣١) رعونتك أنت أيضا تقع بين يدي وهنا في سجنني ، وأنت تقول وتتوقع بغطرسك أن تخرج من بين يدي ومن سجنني ، أقسم لك بالرب وكملك ، وخذ ذلك كحقيقة ، أنك لن تبرح من هنا مطلقا في حياتي مقابل الديناري ولن تشتري نفسك بالمال ، ولن تبرح مقابل الثروة . »

وأعطى الملك أوامره على الفور بالامساك به واعادته إلى السجن حيث كان ، تماما كما سمعتموني أقول وأخبركم ، وعندما سمع كل الفارنجيون والروم الذين كانوا في حضرة الملك كلامه ، أمسك الحرس بالأمير بعجرفة وألقوا به في السجن حيث كان ، وأمضى

هناك مع جميع رجاله ثلاث سنوات بذل خلالها جهودا عظيمة لافتداء نفسه بمبالغ من الهير بير (٧٩) .

وعندما رأى وعرف هو ورجاله أنه لا بالهيربير ولا بالثروة سيتحرر ويخرج من سجنه ، وبالمشورة ورغبة أمير كاريتانيا وقادة الفرسان الآخرين أبرم هذا الاتفاق : أن يعطي الملك من أجل حريتهم قلعة موندفاسيا وقلعة مين الكبيزة . وثالثة وهي الأجل (٤٣٣٢ - ٤٣٧٦) قلعة ميسترا وقصد وفهم أن يطلق سراحه مع رجاله ، مع كل من كانوا معه هيربرهم وكبيرهم ، وحالما تقرر هذه الاتفاقيات دونت وعززت بالقسم .

وكان للملك ابن صغير ينتظر العمد ، فطلب من الأمير أن يصبح أقارب بهذا العمد . وفي الاتفاقيات التي أبرمها ضمن هذا أيضا : أنه لن يكون هناك حرب بينهما بل سيحافظان على السلام ، وإذا هاجم أحد أيما من الاثنين أو شن عليه حربا أو سلبه ، فإن الآخر سيساعده بكل قوته .

وعندما وطدا هذه الأمور التي أخبركم بها وجه الأمير والآخرين ممن كانوا معه أمير وأمروه أن يذهب إلى الدورة لتسليم الحصون التي كتبتها هنا ، إلى وكلاء الملك ، الذين سيأخذهم معه ، وقد أبرمت سرا المعاهدة التي أروها لكم من قبل الأمير ومشاوريه في ذلك الوقت بنية وقصد وهدف : أنهم حالما يتحررون من سجنهم سيفعلون شيئا ببراعة ومهارة ليستعيدوا مرة أخرى القلاع التي سلمها ، وحيث أنهم لم يكونوا يصلحون لأي غرض آخر غير هذا ، خرج هو ورجاله من السجن ، وذلك القسم الذي أقسمه في السجن حيث كان لم يلزمه بأن يكون محسوبا كما كانت باليمين ، طبقا لما تشترطه الكنيسة وما يقوله الحكماء .

وترك أمير كاريتانيا ، الرجل الشهير المدينة مع ممثلي الملك الذين أرسلوا لتسلم القلاع ، ورحلوا عن رومانيا بطريق البر وساروا عبر

والاشيا ونهبوا إلى طيبة ، وهناك وجدوا أن الأمير العظيم قد وصل في ذلك الوقت من مملكة فرنسا - حيث أرسله الأمير غوليوم كما سمعتم هنا - مع التشريف والمرتبة التي أعطيت له من الملك وأن يخاطب ويذكر كدوق أثينا ، وعندما رأى الدوق أن ابن حميه أمير كاريتانيا (٨٠) قد وصل ، وهو ما كان يتوقع اليه ، كان سعيدا جدا كاخ له ، وعندما سأل وأخبر من قبله بأن الأمير غوليوم وافق لكي يخرج من السجن الملك على تسليم حصن - ومنفاسيا (٤٣٧٧ - ٤٤٠٥) وحصن مين الكبير وحصن ميسترا للامبراطور ليملكهم - رفض هذا بشدة وحزن حزنا شديدا ، وبكى بصوت عال ، وأخبره بوضوح أنه لا يرضيه بأي طريقة بالمرة أن يأخذ الامبراطور القلاع الثلاثة ، لأن الملك عندئذ سيكون عظيم القوة وسيرسل جيوشه برا وبحرا ليخرجنا من المورة ويأخذها لنفسه ، وبقي أمير كاريتانيا مع الدوق ، وأمضى أسبوعا هناك في طيبة ، حيث تناقشا واحتفلا كرجال طال اشتياقهما واشتد ليرى كل منهما الآخر ، وليحتفلا معا ، وبعد ذلك انطلقا سويا وعبرا من كورنث ونهبا إلى نيكلي ، وهناك وجدا الأميرة مع كل السيدات من كل البلبونيز التي تدعى المورة ، اللاتي اجتمعن معا للتشاور ، (٨١) حول الروايات التي سمعتها حول تلك القلاع الثلاثة التي اعطاها الأمير للامبراطور ، ليخرج من السجن هو وكل قواته ، ومعهم كل رجال المورة وكل قادة الفرسان والفرسان الذين كانوا هناك في المدينة ، ولهذا السبب كانت النبيلات من زوجاتهم منع الأميرة في قلعة نيكلي يمددون برلمانا ويتشاورون ، ولم يكن معهن من الرجال سوى السير ليوناردو الذي كان اللوغويث والرجل الحكيم والسير بييريفو الذي كان احكم رجلا في كل الامارة (٤٤٠٦ - ٤٤٤٠) وكان هذان الاثنان حاضرين هذا البرلمان (٨٢) .

وعندما وصل الاميران ، دوق أثينا وأمير كاريتانيا ، اتخذوا على الفور مراكزها من مدينة نيكلي ، ثم نهبا رأسا ليريا السيدات اللاتي كن جميعا من القصر مع الأميرة ، وعند رؤيتهما حيثهما

الأميرة بلطف ، وبدأت تستجوب أمير كاريتانيا حول صحة الأمير وأتباعه من سجن الامبراطور وعن الفعل الذي ارتكبه ليخرجوا من السجن ويهودوا الى بيوتهم ، وبدأ امير كاريتانيا يعيد رواية كيف ان الأمير وقادة فرسانه قد بذلوا جهودا عظيمة للخروج من السجن باعطاء المال ، وأن الملك قد أقسم لهم بروحه بأنهم لن يخرجوا من هناك بالهدايا والمال ، وأنهم مع لهفتهم للخروج من سجنه توصلوا الى اتفاقية اعطوه القلاع الثلاثة وهذه فقط : قلعة مونمفاسيا ، وقلعة مين الكبيرة وأيضا قلعة ميسترا ، التي تملكها ملاكا خاصا ، وصنعوا سلاما قويا وعلاقة قرابة بالتعميد ، مع القسم الذي أكد بأنهم لن يدخلوا حربا أبدا وعليه اجاب الأمير العظيم نفسه وقال للأميرة وكل الأساقفة الذين كانوا في ذلك البرلمان الذي أخبرتكم به : إن الحقيقة التي يعرفها الصغير والكبير ، هي أنني خضت الصعاب مع سيدي الأمير لأنني قلت إنه كان يطلب مني بصورة غير قانونية أن أصبح تابعا له وأن أحصل منه على الأرض والامارة التي هي ملك خاص لي ، ولقد حملت السلاح لخوض الحرب معه ، ولكنني عرفت بعد ذلك أنني ارتكبت جريمة ضده وقمت بالتعويض كما اشترط هو نفسه .

ولهذا السبب ربما يعتقد بعضكم أنني خصم لسيدي الأمير فيما أخبركم به (٤٤٤١ - ٤٤٩١) ولكني أقول الصدق فخذوه مني ، اذا أخذ الملك هذه القلاع الثلاثة فإنه لن يتمسك بالقسم الذي أقسمه ، وسيرسل هنا ضلنا جيوشا وقوات كثيرة تخرجنا من هنا ، وتحرمنا أملاكنا . وعليه ، ربما تدركون اخلاصي الطيب ، إنني أقول وأؤكد بأنني سأفعل هذا : سأدخل السجن وليخرج الأمير ، أو اذا كان الأمر أمر افتداء له مقابل مبالغ من الهيريرا فاني سأرتهن أرضي مقابل الديناري ، ولتدفع هكذا فدية سيدي الأمير .

ثم نهض أمير كاريتانيا وقال للأميرة أمام الأمير العظيم : إن كل ما يقوله الأمير العظيم هنا ، قلناه هناك في سجننا ، والمخاطر والمخاطرات التي يمكن أن تتبع . ولكن لأننا رأينا أن عناد

الامبراطور كان تصميميا ، فقد تكلمنا عن ذلك بين أنفسنا واتفقنا عليه : وقلة مومنفاسيا كما يعرف الجميع كان سيدنا الامير هو نفسه قد كسبها وهو الذي بنى مين وميسترا ، وسيكون اثما وعارا ان يموت هو واتباعه في السجن من اجل القلاع التي كسبها وبنائها هو نفسه ، فقط لنجعله ينجو من عذاب السجن الذي هو فيه وبعد ذلك سيساعدنا الرب في الاستيلاء على قلاعه لتعود اليه ، وعليه أقول لكم وخذوا هذا عني ، ليس لأي رجل في الدنيا لالكلمات والاعذار التي قد يتفوه بها أحد ، أن تجعلني أترك سيدي وأميري يموت في السجن ، وسأنفذ الأمر الذي أعطاه لي بتسليم قلاعه حتى يتحرر من عذابه ، وعندما يخرج من السجن ، فليساعده الرب » ثم تكلم الأمير العظيم نفسه مرة أخرى مع أمير كاريتانيا وأجابه هكذا : « بالمسيح يا أخي الطيب ، أقول لك الصدق ، لو علم الامبراطور وأخبر بأننا لن نسلم له القلاع التي يطلبها ، فإنه لن يرش الأمير بالملح ويأكله ، بل سيأخذ الهيريرا ليطلق سراحه ، وعلاوة على ذلك أقول لك وخذ هذا كما تشاء أنه اذا فكر الأمير فيما يمكن أن يتبع لكان من الافضل له أن يموت بنفسه كرجل واحد بدلا من يفقد بقية فرجة الدورة أملاكهم التي كسبها أهلهم بالمشقة مثلما فعل المسيح ، الذي ذاق الموت ليخلص أرواح الجنس البشري من اللعنة الأبدية ، حيث كان على الجميع أن يذهبوا ، من الافضل أن يموت واحد بدلا من أن يموت الالوف من أجله إني أفرغ ما بذهني (٤٤٩٢-٤٥١٥) وأقول الصدق وأفعل أنت يا أخي ما أمرت بفعله » .

والآن بعد (٨٢) أن انتهى البرلمان ، انطلق أمير كاريتانيا الذي كان يحمل المذكرات (٨٤) التي اعطاه الأمير اياها ليقدّمها الى امار القلاع ، انطلق من نيكلي وأخذ معه ممثلي الملك ، الذي أرسل معه ليعطيه القلاع نيابة عن الملك ، وذهب إلى ميسترا التي سلمها اليه أولا ، ثم مومنفاسيا وثالثا إلى مين . وحالما سلم القلاع التي ذكرتها عمد إلى أخذ رهينة ليسلمها إلى الامبراطور تكونت من ابنة أمير باسفا ، الذي كان مارشالا لكل الامارة ، وكان يدعى السير

جبن دي نويلي وهذا لقبه ومعها أخت خوبيرون الذي كان المفوض الأكبر للأماره كلها ، وذهبت الاثنتان إلى المدينة رهينة وأطلق سراح الأمير والفرسان ، وكل قادة الفرسان الصغير والكبير ، ونهبوا إلى الدوره بسرور كبير (٨٥) .

وعندما ذهب الأمير إلى الدوره في ذلك الوقت ، استقبله الجميع استقبالا (٨٦) حسنا ، وحيث أنه كان نافذ الصبر في انتظار رؤية ودفتيش (٤٥١٦ - ٤٥٥٣) قلاعه ومدنه التي كان مغرما بها لم يرد اضاعة أي وقت هناك بالمره ، فأخذ الفرسان الذين كانوا يرفقته وسافروا معه يفتشون القلاع والمدن وذهب مباشرة إلى ليكسيمونيا ، وطالما كانت له الرغبة والميل لرؤية الدوره ، فإنه لم يسافر وحده كجندي مسكين ، بل ذهب كأمر مع مرافقة جيدة إلى تلك الأماكن التي أحبته وافدقته ، وأسرع الجميع للسفر في معيته وحمل بعضهم السلاح وكان بعضهم بلا سلاح ، وعندما راهم الروم ، ممثلوا الامبراطور من أعلى قلعة ميسترا ظنوا واستنتجوا أن الفرنجة كانوا يسعون لقتالهم ، أي لقتال الرومان ، فأخبروا قادة الدرونغوز ، من الميلنغز وتوصلوا إلى اتفاق وأقسموا أن يوقفوا مع الامبراطور وأن يتذكروا للفرنجة ، وأرسلت الرسائل إلى الكانتاكوزينوس (٨٧) ، وهو قائدهم ، حيث كتبوا له وأكثروا وأبلغوه أن الأمير قد جاء مع كل جيوشه وأنه قد أعلن الحرب ضد الامبراطور ، وصدق هذا وجهز سفينته ، وبعث بالرسول فذهبوا إلى المدينة حيث الامبراطور وأبلغوه أن أمير الدوره غوليوم ، قد حث بقسمه وبدأ الحرب من ليكسيمونيا بكل جيوشه ، وبدأ ينهب أراضي الامبراطور (٨٨) .

والآن عندما سمع الامبراطور الباليولوجوس العظيم صدق هذه الأشياء التي أخبرتكم بها ، التي رواها له حاكمه (٨٩) من مونمفاسيا ، ودهش بدرجة عظيمة وسيطر عليه أن الأمير غوليوم قد حث بهذه السرعة بقسمه الذي أعطاه له وبدأ حربا ساخنة في الدوره . وعليه ذهب إلى تركيا واستأجر الأتراك كمرتزقة ،

واستأجر ١٥٠٠ من القوات المنتخبة (٤٥٥٤ - ٤٥٧٧) وذهب حوالي ٢٠٠٠ من الأناضوليين معهم .

وعين ابن عم له كقائد على كل أولئك الذين سمعتموني انكرهم ، وكان يدعى ماكريدوس (٩٠) واستدعاه وأمره أن يأخذ الجيوش التي وضعها تحت أمرته ويذهب إلى المورة لمتابعة الحرب والقتال لقريبه بالتعميد ، ذلك الذي يدعى الأمير غوليوم .

وأصدر إليه أوامره وطلب منه أن يخبره بكل ما يحتاجه من أموال لاستئجار القوات ولكافة أي من رجاله ، وعليه أن لا يكون مترددا أو بخيلا أو مهملا بأي شكل ، بل أن يهرع في لهفة لفزو الأرض . « لأنه ما دام الأمير قد بدأ الحرب في حين أننا قد أقسمنا على المحافظة على السلام ، إن عليه الاثم وعليه اللوم » . لقد ختم له بخاتمه الذهبي بعض الأوراق البيضاء وقال له : يا ماكريدوس خذ هذه معك وإذا وجدت ضرورة منح اقطاعات أو هبات فافعل حسب الجدارة . التي تتوسمها من كل رجل ومر بأن يدون هذا على هذه الأوراق .

وأحضر إلى كبراء الدرنفوس وزعماء الغاردا ليفوس (٩١) ، وأيضا إلى كبراء تساكونيا وعدا بأنهم سيمنحون خرز بول يؤكد منح المزايا للجميع اذا (٩٢) ما حملوا السلاح وأنهم لن يكلفوا بالسخرة ، لقد صعدوا إلى ظهور الشواني والناقلات والقوارب ، وذهبوا (٤٥٧٨ - ٤٥٩٣) بحرا إلى مونمفاسيا بطريق البحر (٩٣) ، وبهذه الطريقة كما أقول لكم وكما أكرر عليكم بدأت الحرب في المورة حيث تحارب هذان الاثنان ، الامبراطور والأمير ، اللذان كانا مع ذلك أقارب بالتعميد .

وعندما وصل ماكريدوس الى مونمفاسيا نزل مع قواته من السفن . وذهب رأسا الى ليكنيمونيا مع الجيوش ، وسأل عن أسماء أمار القلاع ورؤساء الجماعات في درنفوس الميلنغز والتساكونيا وبعث

بالوثائق اليهم باسم الامبراطور وجعل بعضهم سيفاسنوا والقيادة حتى تزدستيدز (٩٤) واستسلمت فاتيكا كما فعلت تزاكونيا ودرنفوس الميلفنز وأراضي غيسترا وفي الحقيقة ثارت لصالح الامبراطور (٩٥) .

وعندما عرف الأمير الأخبار وأن ماكريذوس وصل وبدأ الحرب وكان ينهب ويخرب المدن بشدة ، بعث بالرسل الى الأمير العظيم الى يوريبيوس والى الجزر ، ليأتي قادة الفرسان مع جيوشهم لمساعدته فعصوه ولم يذهبوا الى هناك (٩٦) ، وغضب الأمير منهم ، وأخذ ماتوفر له من الجيوش في المورة وذهب الى قلعة نيكلي بالقوات التي معه ، وعندما سمع وعرف أن تساكونيا وفاتيكا ودرنفوس السلاف قد ثاروا نصح بأن لا يهاجمهم لأنهم كانوا قوات كثيرة وكان مالهيه منها قليل .

ولكنه نصح بحماية القلعة ، وبأن يمولونها ويحصنها جيدا ، وأن يذهب هو بنفسه الى كورنث ليحبر الأمير العظيم هو وأمراء يوريبيوس الثلاثة وماركيز بودونيتزا وأمراء الجزر على الحضور بسرعة ، وحالما أعطي هذه المشورة ، ذهب الى كورنث ، وكان أمل الأمير الموثوق وتوقعاته ان يدخل في معركة مع قائد الامبراطور ماكريذوس هذا إن وجده في الميدان .

وعندما رأى ماكريذوس هذا ، أنه عند الضربة الاولى استسلمت الأماكن التي أدرجتها لكم ، له جالس وكتب الرسائل وبعث بالرسل الى الامبراطور الذي كان في المدينة ، يروي له أنه ذهب الى المورة بجيوشه وأن الرب ومباركة الامبراطور قد منت عليه يكسب ثلث المورة بذنون ضربة سيف ، وعليه ، إذا أرسل اليه الملك عددا كبيرا من الجيوش أكثر مما سلف إعطاؤه له ، فإنه يرجائه في المسيح وبمباركة الامبراطور سـيربح كل أرض المورة له / (٩٧)

(٤٦٢٩ - ٤٦٦٥)

وبسماع هذا ، كان الامبراطور سعيدا جدا ، وعليه دعا
الدمستق الكبير الذي كان أخا له وقال له : « أخي » أريدك أن تذهب
من هنا الى المورة وأن تأخذ معك ألف رجل من الخيالة
تنذقيهم ، وصبوا الأجور والمرقزة والهيرييرا ، وأعطوهم ما
يريدون ودع كاتا كونزinzوس أيضا يذهب معك لأنه جندي جيير
وشهير ، وانهبوا بأسرع ما يمكنكم لمساعدة ماكريزوس الذي
أرسلته من قبل للاستيلاء على المورة .

وإن سمع الدمستق الكبير الأمر الذي أعطاه له أخوه الامبراطور
بنفسه أسرع لتجنيد زهرة رومانيا ، وصعدوا الى ظهر الشواني
والناقلات ووصلوا الى مونمفاسيا في خمسة عشر يوما . والآن
بعدما نزل الدمستق الكبير أخو الملك في مونمفاسيا سأل عن المكان
الذي يمكن أن يجد فيه ماكريزوس فأخبر بأنه متمركز في ميسترا مع
جيوشه ، ومنها كان يحاصر ليكييمونيا ، « وهو ينتظر جلالتهكم يوما
يعد يوم ، يا سيدي » . وعند سماع ذلك أسرع بالذهاب الى
ليكدويمونيا وانضم الى ماكريزوس وتشاورا معا حول كيفية
التقدم ، وعلموا بأن الأمير كان في كورنث وشكا في أن تكون قواته
معه ، وعليه أعطيت المشورة بأن يذهبوا الى المورة حيث سيجدون
الأرض غير محمية فيأخذونها وقسموا السرايا في الجيش ، وكان
لليهم ٦,٠٠ فارس شكلوا منها ثمان عشرة سرية كانت كل ثلاث
منها تضم ألف رجل . وكان لليهم من الجنود المشاة ما يفوق
الحصر ، لأنه كان لليهم قوات غارد ليفوس الى جانب تلك التي من
تساكونيا من الدرنفوس الملنغز وقوات من حين الكبيرة (٩٨) وثار
الاسكورتندو وانضموا اليهم .

وانطلقوا خارجين ومروا عبر منطقة (جبل) هلموس (٩٩)
ووصلوا الى فيلفوستي أقاموا معسكراتهم ، وأحرقوا الربض (١)
وتركوا القلعة فقط ، وفي اليوم (٤٦٦٦ - ٤٦٨٧) التالي دخلوا
سهل كاتيانيا ، وامضوا الليل بجانب الغدير (٢) ، وانطلقوا صباح
اليوم التالي وذهبوا الى ليودورا وذهبوا رأسا في اتجاه انحدار نهر

الفيوس ، ونهبت سرية من الأتراك الى ايزوفا (٣) وحرق
الخير ، انظر أي عمل شرير جرى ومن هناك ذهبوا رأسا الى
برينيتسا وعسكروا هناك ونصبوا خيامهم ، والآن وقد رأى
الاسكورتندو العدد الكبير من الجيش استسلموا بسرعة وارتكبوا
بذلك خطأ كبيرا - وعملوا لهم كمرشيين وصحبوهم .

والآن عند هذه النقطة أترك الكلام هنا واتكلم عن الدمستق الكبير
وجيوشه وسأخبركم ، وبدقة عن المعركة التي جرت في ذلك الوقت في
برينيتسا (٤) لقد هزم ٣٠٠ من الفرجة هذه الجيوش ، كما أنوي
أن أقص فيما بعد في كتابي ، وعندما ذهب الأمير الى كورنث في ذلك
الوقت من أجل الترتيب لجيء دوق أثينا والأمراء الآخرين من الجزر
مع جيوشهم (٤٦٨٨ - ٤٧٢٥) لمساعدة الأمير حتى يقاتلوا
الدمستق الكبير مع جيوشه ، وبقي في المورة كنائب شرعي له السير
جين دي كاتافاس وهو أحد فرسانه ، وكان رجلا حكيما عالي
الخبرة ، وجنديا شجاعا ومحترفا للأسلح ، وكان ذا بلية مروعا
لاصابته بالروماتزم ، ولم يكن يتمكن من الإمساك بسيف أو رمح
(٥) وعندما علم بالمعلومات بأن جيوش الملك التي كان الدمستق
الكبير يقودها ، كانت قادمة ، بذل جهودا عظيمة ، وجمع من سهل
المورة أكبر عدد ممن استطاع جمعه ، وحالما جمعهم قدر العدد الذي
كان به وكان الموجودون ٣١٢ فقط فأخذهم ونهب الى جـوار
كرستينا ، وهو يبحث ويستعلم عن مكان وجود جيوش الامبراطور
التي كانت تغزو سهل المورة . وعندما علم بأنهم قد وصلوا الى
بيرنتزا دخل وادي رافد الالفوس ليسر بجانبه . وعندما وجد
علامات مسامير (الاحنية) لذلك الجيش فتتبعها ، وعندما وصل
الى دهليز ضيق يدعى عند الفريدي لكويتوبييتسا (٦) ، ورأى الحقول
ملينة بالجيوش - وكان الوقت ما يزال مبكرا نوعا ما ، ساعة
الفجر - هاجموا تلك الجيوش فجأة ، ولم يفقد السير جين
ديكاتافاس الجندي المهول شجاعته في الجيش الذي كان من الممكن
أسره ، وأصبح متهللا ودعا رفاقه وبلهفة كبيرة تحدث اليهم بهذا
القول الحكيم : « أيها السادة والأصدقاء والاخوة والرفاق

المحبون ، إنكم جميعا يجب أن تبتهجوا وتحمدوا الرب حيث أتى بنا الى مثل هذه النقطة المواتية ، بهذه الجيوش العبيدة التي تفوق الحضر حتى نهزمهم . انتبهوا أيها الأخوة الطيبون ويجب ألا يخشاهم أحد منكم لأن هناك العد من القوات ، والسبب الذي ساقوله لكم ، إن الأفضل لنا أن نقاتل هؤلاء ، من أن يكونوا أقل ولكن من عرق واحد ، إن هؤلاء أجانب كليا ومن أراض مختلفة (٤٧٢٦ - ٤٧٧٦) وبلا خبرة في قتال رجال الفرنجة ، ودعونا لا نتردد لحظة لئلا يكتشفونا وبانقضاض مفاجيء دعونا نهاجمهم برماحنا ، إن خيولهم كلها أفراس هرمة وإن واحدا من خيولنا يسقط ١٥ منها في كل مرة . وعلاوة على ذلك أقول هذا أيها الأخوة أني اذكركم بالجهد الذي يبذله أمراؤنا وأهلونا من أجل احتلال الاراض التي نملكها . وإذا لم نستعمل ارادتنا هذا اليوم ليدافع كل منا عنها بحياته ولنزيرهم بالسلاح أننا جنود مسلحون فلن ننقذ في الوقت نفسه أملاكنا ، إذا لم نتصرف بهذه الطريقة التي أخبركم بها (٧)

يجب أن لا نعتبر من رجال السلاح ، أو أن نملك اقطاعات ، ولا أن نشرف في العالم . وفي العام الثاني فكروا أيها الاساة والرفاق انه إذا منحنا الرب وحفظنا أن نهزم هنا أخا الملك وتلك الجيوش بالقتال وبالسيف فإنه طالما بقي الفلك على جبل ارارات سيبقى طويلا اطراء هذا اليوم ، الذي سيضيفه علينا كل من سمع به . والآن فإني كما تعرفون وترون غير قادر على حمل السيف أو الرمح أو الوقوف في المعركة التي أخوضها ولكني قد أبدي الحماس نفسه مثلكم ، وسأحمل راية الأمير وستربطوها في يدي حتى أحملها بثبات ، إن بامكاني أن أرى خيمة الدمستق من هنا وأقسم لكم بالمسيح أني سامضى اليها رأسا . وكل من يراني أتردد أو أبدي أي خوف فاني اعتبره عدوا للمسيح أن لم يمزقني على الفور .

وكان الدمستق الكبير جالسا في خيمته فوق رابية صغيرة في قرية برينتزا ، (٨) وحالما ظهر الفرنجة فجأة ، قال هذا

القول - وقاله هو بنفسه : « أرى فطورا صغيرا حقيقا قد جاء نحونا » ، وأمر ثلاثة سرايا فقط بالركوب والخروج ، ألفا من القوات الراكبة لمواجهة الفرنجة ، وركبوا بسرعة وهاجموا الفرنجة وقابلوهم بصدمة الكل برأحهم ، وفي هجمتهم الأولى سقط ثلث الفرنجة عن خيولهم لأنه كان مقابل كل واحد من الفرنجة عشرة رماح رومية اسمعوا (٩) وبتأييد المسيح ، إن أحدا من الفرنجة (٤٧٦٨ - ٤٨٠٩) لم يتلاق طعنة من رمح ولم يجرح أحدا ، وأولئك الذين سقطوا عن خيولهم عادوا إليها بسرعة وامتشقوا سيوفهم وبدأوا يقتلون الروم ، ومضى وقت طويل ضاع الفرنجة فيه عن النظر ولم يعد يمكن تمييزهم من بين الروم ، ومعهم كان السير جين دي كاتافاس وأخبركم أنه عندما نهض الفرنجة من حيث سقطوا وحيث ألقى بهم العدد العظيم من الروم أرضا أخرجوا سيوفهم الصغيرة من أغصانها وبدأوا القتال ، وذبحوا الروم كما يحصد المنجل من المروح ، وضاع الفرنجة بين الأعداد العظيمة ولم يعد للمستق الكبير يراهم بالمرة من حيث كان يجلس في خيمته ، ولكن السيرجين كاتافاس ذا الذاكرة المباركة لم ينتظرهم حتى يقاتلوا الفرنجة ورأسا جهد مرة بعد أخرى ليصل إلى الخيمة التي رأى من بعيد أنها كانت خيمة المستق ورأى بعض من اشترك في هذه المعركة وشهدوا أنهم رأوا فارسا يمتطي حصانا ويحمل سيفاً مجردا ويشق الطريق دائما حيثما كان الفرنجة . وقالوا وأكدوا أنه كان القديس جورج وأنه أرشد الفرنجة وأعطاهم الشجاعة في القتال ، وقال آخرون إنه الثيوتوكوس المقدس الذي كان في ايزوفسا ، الدير في أحرقه الروم في رحلتهم ، فكان غاضبا ، وما يزال بعضهم يقول إنه بسبب الحدث باليمين الذي أقدم عليه لهاجمته الأمير بسبب كلمات غير صادقة وروايات لا أساس لها - فإن الرب والثيوتوكوس المقدس قد غاضبا وأعطيا النصر للفرنجة وكانا غاضبين من الروم .

وبدأت المعركة في الساعة الأولى ووصل الفرنجة في ساعة

الظهر الى الخيمة حيث كان الدمستق الكبير يجلس وعينه بلا انقطاع على الجيش ليرى ما يجري لفرنجة المورة ، ولم ير فرنجيا واحدا بل الروم فقط فرفع يديه (٤٨١٠ - ٤٨٤٧) يحمد الرب ويفسر هذا بأن الفرنجة قد فقدوا . وهكذا بينما كان يقف وهو يحملق في الجيوش ظهرت امامه فجأة أعلام الفرنجة وعرف أعلام جيش الفرنجة ، وكانوا يتقدمون نحو الخيمة التي رأوا امامها صولجان أخى الملك الدمستق الكبير فأرسل صرخة صغيرة ثاقبة بأعلى ما أمكنه ، في الغلمان الذين كانوا يتولون خدمته : « أنهم هناك أحضروا حصانى يا أغبياء (١٠) أيها التركمان ، أنظروا الى أعلام الفرنجة الذين تغلبوا علينا » .

ولكنهم عندما رأوا السيوف المجردة التي كانت تتقدم نحوهم - وكان يحملها الفرنجة وهي مضرجة بدماء الروم - سعى كل منهم لينجو بنفسه ، وعمدوا للهرب الى أي مكان استطاعوا بلوغه . وركض واحد كان حصيفا ومحباً لشرفه ليحضر حصانا كان واقفا وهو مسروح بالفعل ، وكان أفضل ما لدى الدمستق ، وساعد سيده الذي ركبه بقفزة ، ووجد أحد سكان هذه الأرض ممن كان يعرف ويألف أرض برنيتزا . فأرشده وصحبه ، فذهبوا من ليفتزا الى كابيل (١١) مسافرين عبر أماكن وعرة برية حتى لا يكتشفوا ، وشقوا طريقهما بحذر وبراعة حتى وصلا الى ميسترا ، وهي التي كان متلها لبلوغها .

وعندما رأت جيوش الرومان التي كانت في برنيتزا أن الفرنجة وصلوا الى خيمة الدمستق وأسقطوا صولجان الملك ، استدار الجميع للهرب ، ولم ينتظر أحد ليرى الآخر يذهب . لماذا أخبركم بكل هذا التفاصيل ومن الذي يكتبها كلها؟ وكف الفرنجة عن ذبح الروم ، ووجدوا عائقا مخيفا في غابة برنيتزا ، تلك المنطقة الصعبة والكثيفة الأشجار ، وفيها دخل كل الروم الذين هربوا فنجوا ، إذ أنه لولا وجود هذه الأماكن الصعبة التي أخبرتكم عنها هناك ، وقد توصلت الى هذا

الاستدئاح من معلوماتي ، (٤٨٤٨ - ٤٨٧٣) لما نجا أحد منهم ولا استطاع الفرنجة ابادة العرق الرومي كله وتوقف الفرنجة عن قتل أعدائهم ، عندما رأوا أيضا أنهم هربوا الى الجبال وأنهم هربوا الى الغابات في اتجاه الجيش (١٢) ، فتخلوا عن بعضهم وعادوا. واستولى الفرنجة على ١٠٠٠ ١٠ حصان في هذه المناسبة.

وعندما عرف أهل القرى في تلك الأجزاء بهذا ، اندفع الكبار والصغار ليحصلوا على بعض المكاسب من سلع الروم . ثم بقي الفرنجة في سيرفيا (١٣) لأنهم كانوا مثقلين بالقدر الكبير من الغنائم التي استولوا عليها ، ونهبوا في اليوم التالي رأسا الى فليزيري

وأمر السير جين دي كاتافاس ذلك الجندي المصاب بالنقرس بكتابة الرسائل وبعث بالرسائل الى الأمير في قلعة كورنث ، ووصف له بـ تفصيل كبير الأمر وما جرى ، وكيف سارت معركة برنيتزا والعمل الذي قام به ، والنصر الذي تحقّق لهم ، وعندما سمع هذا رفع الأمير يديه وحمد الرب ، والثيودوك بالغ الطهر ، وابتهج من جانب وأسف من جانب ، ابتهج لأن قواته انتصرت ومن جانب آخر (٤٨٧٤ - ٤٩١٣) حزن لأنه لم يظهر ٥٠٠٠ وكلمة عذبه أكثر كلما كان عليه أن يكون أكثر حيلة تجاهه ، (١٤) ولو أن الأمير وقتها قد أخذ الأمير الأعظم والجديوش من الجزر وجيوش اليوروديس ونهب مسرعاً رأساً الى نيكلي ، ودخل تساكونيا ونهب كل المنطقة لتوجب على المستق الكبير تبديد وقت طويل في تحضير حملته ، ولكن بقدر ما يعمل المرء سيجد عمله أمامه (١٥) والآن أترك الكلام عن الأمير وسأروي لكم أخبار الأفعال التي ارتكبها المستق الكبير في ميسترا حيث كان .

لقد وصفت لكم من قبل أعلاه في كتابي العمل الذي قام به

الدمستق الكبير في برنيتزا مع جيوشه ، وعندما تمكن من الوصول الى قلعة ميسترا ، أقام حزينا ليلا ونهارا وبكى ، أولا بسبب خجله أمام عيون الرجال ، وثانيا بسبب الامبراطور الذي كان يخشى منه كثيرا لئلا يمسك به ويسمل عينيه ويلقي به في السجن ، وأن يلقى الموت ظلما ويفقد حياته ، لقد أرسله الامبراطور مع جيوشه ليفزو كل أرض المورة ، وإذا علم أن الفرنجة ربحوا المعركة وأنهم كانوا مجرد ٣٠٠ مقابل ٢٠٠٠ كيف يمكن أن يستدبله وكيف يحييه ، بل إنه سيقول إنه خائن ويعدمه ، وأراحه نبيل فرنجي ، وكان رجلا ذكيرا محذكا ، جاء من المدينة كمبعوث من الملك اليه فخاطبه قائلا : يا امبراطوري باسم المسيح ، لماذا تحزن هكذا؟ ألا تعرف أن الحملة تعتمد على الحظ؟ وذلك الذي يعرف المكر ويتصرف بخبث يغوي الشجاع ويسلبه شجاعته ، فالمكر والخبث يغلبان الشجاعة. لقد رأيت المكر الذي استعمله نائب الملك في بلاغونيا فكسب المعركة ، ولم يفكر بالقول بأنه كانت لديه جيوش كثيرة ، ولكن طبق المكر وترك الشجاعة جانبا . إن كل الرجال في كل الدنيا يعرفون أن الفرنجة شجعان في استعمال الرمح والسيف ولهذا السبب فإن نائب الملك (٤٩١٤ - ٤٩٦٠) الداهية أطلق الألمان لمواجهة الفرنجة ولواجهة فورة غضب رماح الفرنجة ثم كان هناك لديه الهنغار والترك ، والكومان يطلقون السهام عليهم جميعا ، فرنجة وألمان فذبخوا خيولهم وربخوا المعركة ، ولولا رماة السهام الذين قتلوا الخيول ، لما ربخوا المعركة .

وترى ايها النائب ياسيدي كيف اخطأت في هذا ، هناك عندما قاتلك الفرنجة في برينيتزا ، ونقلنا عن ما قاله قادة الجيش ، الذين كانوا معك في المعركة لقد وثقت امارتكم في كثرة الجيش التي كانت مع سموكم وازبريتم الفرنجة لانكم رايتموهم قليلا ولم تبالوا بالمرة كيف يمكنكم ان تقاتلوهم وهو امر لايفعله الجنود الحكماء ، إذ لاتهم كثرة عدد رجال الجنود ولاشجاعتهم ، بل ينبغي على الانسان الاخذ بجانب المكر والحيلة لدى القتال بحرص ضد عدوه ، لان الحكماء

يقولون - وقولهم حق - ان المهارة والحيلة تغلب الشجاعة ، وكان يجب عليك ايها الامبراطور ان تعد رماة سهامك عندما رايت الفرنجة يزحفون قادمين نحوكم وان تذبخوا الخيول التي كانوا يركبونها ولو فعلتم ذلك لهزمتموهم على الفور ، ولتغلبتم عليهم ، ولكنكم امرتم الف من حملة الرماح بمواجهتهم قاصدين ومتوقعين انهم سيهزموهم ، وفعلتم هذا بارانتكم ، ياسيدي اني اعيد ثانية ما قلته قبلا وهو الصدق حقا ان فرنجيا واحدا على الحصان يعادل عشرين روسيا . ولقد رايتم ياسيدي ماحققه الفرنجة في برينتزا ، وكم كانوا عقلاء وذوي خبرة وقد راوا الاعداد الكبيرة من القوات والجيش التي لديكم ، فركبوا بسرعة الى وسطهم والقوا رماحهم وسحبوا سيوفهم الصغيرة وذبحوا قواتكم ولم يكن رجالكم قادرين على الانتشار والتباعد ، لقد تصرفوا بالطريقة نفسها التي يتصرف بها الذئاب عندما يدخلون الحظيرة ويبيعثرون الغنم ، حسنا لانحزن على ما حدث لان هذا كما ترى هو دائما طريقة الاغارة ، التي تربح احيانا واهيانا اخرى تخسر ، سري عن نفسك ياسيدي وخذ طريقا اخر ، ومر كل جيوشك بالتجمع وفكر كيف تربح الشرف والمنفعة كي تصلح الشيء الذي حدث ، لقد علمت بان الامير قد عاد الى اندرافيدا وان الجيوش التي جاء بها قد عادت الى بلادها فلنذهب (٤٩٦١ - ٥٠٠٦) رأسا اليه هناك في اندرافيدا واذا تجمع لديه من سوء الحظ ما يجعله يخرج للقتال فلاتخرجوا لقتاله بفطرسية ، بل قاتلوه فقط بالبراعة والمكر ، لاتدخلوا المعركة معه بالرماح بالمرءة بل مر وا الاتراك الذين يحملون الاقواس ان يطلقوا سهامهم على الخيول حتى يسقط عنها الفرسان ، واذا حالفكم الحظ واسرتم الامير ، استبقوه وستربحون ارضه أيضا .

وصدق الديمستق الكبير الفرنجي ، واستدعى النبلاء والقادة الذين كانوا معه وروى لهم بالتفصيل ما اخبره الفرنجي به : فامتدحه الجميع وقالوا انها نصيحة جيدة وامر بدعوة كبار القادة في الجيش وقال لهم : « ايها النبلاء القادة اسرعوا فورا حتى نمضي الى مدينة اندرافيدا حيث يوجد الامير » واستدعى كانتاكوزينوس

وماكرينوس ايضا وقص عليهم كل ما قاله الفرنجي ومشورة النبلاء والقادة ايضا . فاجابوه قائلين « لماذا تقرد ايها النائب والدمستق الكبير ، الايصدمك هذا العار الذي جلبه الفرنجة لنا والذي لحقنا كما لحق اسموكم ، وسنفعل اي شيء من اجل شرفنا حتى لا يدعونا الملك كفارا وخونة ؟ ولكننا نفكر في الفصل ، الاكثر عدم ملاءمة لنا في السنة اذ يجب ان نتصرف كجنود عقلاء ، وحتى الان لانعرف ايهم قتل وايهم هرب حيا وايهم احتفظ بخيوله ، لقد انتهى الصيف الان ورحل ، وقد جاء الشتاء وتوقفت الجيوش عن الاغارة ، فلنتطلع لتلك الفترة ، لنفتش قواتنا لنعرف ما بقى لنا منها واذا وهبنا الرز وحظنا ان نعيش حتى اذار ، من ربيع السنة وهو الفصل المناسب للجيوش فليجهزوا انفسهم بالاسلحة ويتقدموا للمعركة في ذلك الوقت ، ياسيدي لنجهز انفسنا وحيثما نجد الامير ، دعونا نهاجمه ولنمت معا او نثار» وعليه اجاب الدمستق الكبير : « الرب يعلم يا اصدقائي ورفاقي واخوتي انه ليدمر عقلي وياكل قلبي ان الذي قضى علينا لاقيمة له . ولو اننا قاتلنا وحاربنا الامير وهو رجل عظيم ومشهور في العالم ، وهزمني في المعركة لاعتبرت ذلك تعزية ، (٥٠٠٧ - ٥٠٤٣) ولكن ان يقال ان مريضا بالروماتزم وعالة قد هزم اخا الامبراطور في الميدان ، زد على هذا ما هو اسوا من السوء انه بثلاثمائة هزم ١٥ ٠٠٠ » وحسبما قرر هؤلاء النبلاء في المجلس : الدمستق الكبير مع ماركينوس ومعهم كانتاكوزنيوس الجندي الشهير هكذا عقدوا العزم ورتبوا الامور ، ومر الفصل ، ومضى الشتاء ثم جاء شهر اذار وربع السنة ، وعندها خرج جميع الرجال باسلحتهم للمعركة وساروا برا وبحرا . وامر اخو الملك ، الدمستق الكبير ان تتجمع الجيوش معا ، وتم الحشد في حقول ساببيكوس في المروج الواسعة ، بين الينابيع العنبة . (١٦) لقد جمع جيوشا كثيرة من اراضي مختلفة ، ومشاة من تساكونيا ومن درنفوس المينفر ، وحتى من بعيد من مونفاسيا ودرنفوس سكوريا ووزعوا سراياهم واستعدوا وانطلقوا ، وامضوا الليل في كاريثانيا ومضوا رأسا الى رافد الافيوس ، واجتازوا بريننزا وحملقوا في تلك البقعة وتذكروا ما مريهم فيها ، ثم تابعوا

طريقهم ، وهم يفكرون في تهديد الفرنجة وفي أن الشيء الذي دمرهم يجب أن لا يحدث لهم مرة أخرى اذا خاضوا المعركة ليهاجموا بالرمح فانهم هذه المرة سيقتلونهم بالسهم . وكانوا يسألون في كل مكان اين يمكن ان يجدوا الامير غوليوم وعرفوا انه ينتظرهم في اندرافيدا ، المدينة التي طوقها تماما بالخنادق ، وكان ينتظر هناك ليلقاهم بكل جيوشه .

ودعا الديمستق الكبير قاداته ، وطلب مشورتهم حول كيفية التقدم ، واعطاه المشورة التالية سكان الارض ممن يعرفون الارض والممرات الجبلية ، وطلبوا منه (٥٠٤٤ - ٥٠٧٥) ان لا يعتمد الى الذهاب الى اندرافيدا لان الممرات كانت صغيرة جدا بالنسبة لقواعد اطلاق العرادات وطواقمها (١٧) لقد اخذوه رأسا الى قرى سيرجيانا وجعلوه يتمركز فوق هذا المكان ، نحو الشرق حيث كانت هناك كنيسة تدعى سانت نيكولاس في نيسيكلي وهو اسم البقعة ، وهناك نصبوا خيمته وعسكروا (١٨) وكانت سفوح التلال والحقول غاصة بالجيوش ، التي عسكرت تلك الليلة وامضت ليلتها هناك .

وعندما بزغ فجر اليوم التالي وعند ساعة الشروق جاء الامير الى هناك مع جيوشه ، وجاء الفرسان ومشاة القوات كلهم معه فوزعهم في سرايا وكون ثلاثة فيالق ، وخرج من سيرجيانا لمواجهة الروم ووقفت الفياق مستعدة للمعركة (١٩) .

وكانت طلائع الروم وفيالقهم تحت قيادة كانتاكوزينوس ذلك الجندي الجدير بالثناء الذي ركب منطلقا من سريته على ظهر جواد وكان يحمل كنانته ويمسك برمحه واندفع بسرعة الى الامام والى الخلف بين الفرنجة وبين سراياه مظهرا خيلاء كبيرة ، وبعدما مضى جيئة وذهابا ثلاث مرات بهذا الجواد نزل وابدل الحصان وركب غيره ، وبدا يعرض نفسه امام الفرنجة هذا ما فعله كانتاكوزينوس وهو يركب جيئة وذهابا وينخس بمهازه جواده مزدريا بالفرنجة

لأنهم كانوا قلة ، وبتعال وغطرسة لان الروم كانوا جمعا غفيرا من القوات ، واكثر بكثير مما كان الفرنجة ، حسنا لقد مضى جيئة وذهابا ، راكبا جواده وجمع الحصان وحمل الفارس الى كوم من العليق قريب من الامير وتعثّر الحصان فسقطا معا (٥٠٧٦ - ٥٠٩٩)

واذ رأت قوات الأمير هذا ، هرعت الى البقعة حيث قتلوا الفارس وأسروا الحصان .

وعندما رأى الدمستق الكبير وماركينوس أيضا أن قائد جيوشهم قد فقد ، بدا لهما كما لوأنهما قد ماتا أيضا ، جميعا ، فركضا وحملاه ميتا بعيدا ، ونفخا الأبواق وسكنا (٢٠) دون حركة .

وأراد الأمير أن يذهب في اثر الروم فأخرج الجميع المشروع من ذهنه وأوقفوه قائلين: انه اذا تحشد الروم وأحاطوا بالخيول برماة السهام ، فانهم سيقتلون خيولهم بسهولة جدا ، وعندما تموت الخيول ويسقط الفرسان سيهزمهم كالنساء والأطفال ، وسيفقد الأمير شخصه أولا ثم أرضه وكل قواته ، وعليه ما أن سمع الأمير هذا حتى مال نحو أفكارهم وعاد الى بيته في اندرافيدا (٢١) .

وسافر الدمستق الكبير مع جيوشه مباشرة الى حقول نيكلي ووصل الى هناك ، وأحاط بالقلعة وطوقها ، وهناك غلبه قدره ، وهو قدر لم يكن يتوقع ان يحقق به (٢٢) فالأتراك الذين تحت قيادته والذين (٥١٠٠ - ٥١٢٨) كان تعدادهم ألفا ، طالبوا بأجورهم باعتبارهم من المرتزقة مدعين اجور ستة أشهر (متأخرة) ، غير أن الدمستق الذي كان مكتنبا لانه وقد ذهب ليحرز النصر والفخر على الفرنجة تلقى فقط كارثة وعاد مجللا بالعار ، أعطى الأتراك جوابا متفطرسا وقال لهم بغضب : « ألا تشعرون بالخجل ، أيها الرجال أو لا ترعون من مطالبتي بالدفع وقد أصبحت أغنياء في أرض الامبراطور بسلع الفرنجة وبلغ الامبراطور ؟ لقد كنتم حفاة عراة

عندما جئتم الى هنا الى المورة (٢٣) ، وكنتم كالكم معوزين ،
وبعدما جئتم هنا الى ارض الامبراطور ، وبمباركة الامبراطور ومن
حكمه ومن القارات الكثيرة التي قمنا بها ضد الفرنجة ، اصبحتم
أغنياء - وما الذي حصل عليه الامبراطور ؟ أخبروني ما هو كسبه
وما أخذه من أجركم ، والا فاني من جانبي لن أعطيكم في حياتكم
أجرا مطلقا .»

وعندما سمع الأتراك ذلك أطلقوا صرخة عالية : « ما هذا الذي
تقوله لنا ، أيها الأمير لماذا تهيننا ؟ في أي معركة وضعتنا ولم نأت
بمأثرة ما ؟ لقد ذهبنا الى برينتزا ، هناك حيث جاء الفرنجة ولم
تدعنا نقاتل ولكن أرسلت نبلاءك الرومان الذين حاربوا الفرنجة
بالرمح ، أنظر ما الذي كسبوه لك وأي شرف قدموه لك . أي رومي
سمعت به قاتل فرنجيا وهزمه بالرمح أو السيف ؟ والكل يعرف هذه
الحقيقة ، في استعمل الرمح والسيف الفرنجة جنود ،
ولكننا (٥١٢٩ - ٥١٧٤) خجلنا في ذلك اليوم بسبب الروم وهربنا
من المعركة لا بسبب خطأ من جانبنا لقد فعلنا ذلك لنبقى في صحبتكم
ولم نكن بأي حال مذنبين ، ومرة أخرى قدمتمونا الى اندرافيدا ،
وهديتم بالقضاء على الأمير وعندما وصلنا الى هناك واصطف
الفرنجة في مواجهتنا على مرمى سهم منا ، وكلهم مستعدون
للقتال ، وبسبب مقتل رجل واحد فقد بخطأ منه أعطيت الأوامر بأن
نستدير ونهرب كالنساء ، هل أمرتنا قط بالقتال وتراجعنا قداما أو
عصيناك ؟ من الذي يمسك أجر خدامه وأجره يسمح له بان يذهب
على الفور الى حيث يريد وبالنسبة لنا ايها الامير من هذه اللحظة
اعطنا هذا الان طالما انك تحجب عنا اجرنا وسنحييك ونمضي لنجد
في مكان اخر الوسائل للعيش كجند .»

وذهبوا الى المعسكر وتشاوروا على الفور ، ثم هدموا معسكرهم
وقفزوا الى سروجهم وخرجوا من نيكلي وأخذوا طريقهم ، ثم عادوا
مرة أخرى ، وذهبوا الى كاريتاينا ، وعسكروا هناك ذلك المساء .

وعندما سمع الدمستق الكبير بذلك ، وعلم أن الأتراك انطلقوا من هناك وغادروا ، وقد كانوا خيرة كل الجيش ، وأنهم ذهبوا الى الأمير ، الذي كان عدوه ، لعن بقوة هذا العمل وكان من الممكن أن يذهب في أثرهم ولكن أحكم من كان في رفقته قال له وأشار عليه بأنه ليس مما يشرفه أن يذهب وراء الأتراك ، وهو أخو الامبراطور ، لأن الأتراك كانوا مهتاجين جدا من الغضب ، « وإذا حدث أن جدوا وقتلوك ، أو اذا تصادف أن دخلوا في معركة معك ، وهزموك بالصدفة في المعركة فان هذا سيكون شيئا غير لائق ويستدعي اللوم ، ولكن لماذا لا توجه النبلاء والرجال الحصيفين ليلحقوا بهم ويتوددوا اليهم بالكلمات ، ويخبروهم بأنك قد وعدتهم بأنهم سيحصلون على أجرهم وهبات اضافية كما يستحقون » وعين اثنين من النبلاء ، الذين كانوا من المدينة وأعطاهم مرافقة ، وخرجوا بعد ذلك ، ووصلوا الى كاريتانيا ذلك المساء ، وهناك وجدوا الأتراك الذين كانوا معسكرين ، وذهبوا الى ملك الذي كان قائدهم ، ونزلوا عن خيولهم . ودخلوا مباشرة الى الخيمة وحيوه نيابة عن الدمستق أخي الامبراطور وعن النبلاء وقالوا له : « إن النبلاء مندهشون (٥١٧٥ - ٥٢٠٦) مما حدث ، ومن أنكم انفصلتم عنا بسبب كلمات فقط ، وتخليتم عن قسمكم وخدمتكم العسكرية وانتم مدنيون بها للامبراطور وذهبتم لهذا السبب ، عودوا أيها القادة الى قسمكم وسندفع لكم على الفور كل أجوركم » .

وعليه أجابه ملك نفسه وكذلك قادة الجيش التركي بتلك الكلمات : « إنه لا يليق أن يرجع أخو الملك عن الكلمة التي أعطاهما ووعدها بها رجلا معرضا للموت ، وعليه نعلن أيها القادة والرفاق أن الدمستق الكبير بنفسه قد أخبرنا وأكد لنا كلمته بأنه لن يدفع لنا مطلقا ، عودوا وأخبروه عنا أننا لن نعود مطلقا ولن نخدمه أبدا يوما واحدا في حياته ، لأننا لم نجد في مدة حياته أي صدق عنده ، وقد سمعنا أن الفرنجة يتمسكون بالصدق ونحن في طريقنا لنجدهم ونعيش معهم » .

وكان النبلاء قد هموا بالعودة عندما أخبرهم صديق تركي ، وأشار عليهم بالبقاء هناك معهم تلك الليلة فقد يغير الأتراك فكرهم حول العودة .

ولكن الأتراك كانوا متلهفين للذهاب الى الأمير ليخدموه ونفخوا الأبواق في الصباح الباكر جدا ، وأخذ « الأتراك البوكسيني » وكان هناك الكثير جدا منهم ، وأخذوا خيامهم وانطلقوا على الطريق رأسا ، على طول رافد نهر الفیوس ، وذهبوا الى بيرغاردي ، في اتجاه فليزيري . والآن بعد أن وصلوا الى سيرفيا (٢٤) . دعا ملك اثنين من أتراكه ، وهما أحكمهم (٥٢٠٧ - ٥٢٣٧) وكانا يتقنان لسان الروم ، وأعطاهما مرافقة أيضا مؤلفة من اثني عشر آخرين من الأتراك ، وأرسلهم الى الأمير في اندرافيدا ليخبروه بسبب مجيئهم اليه . وعندما جاءوا الأمير غوليوم ، استقبلهم بتشريف عظيم ، وعليه أخبروه لماذا تركوا أخا الامبراطور ، وأنهم كانوا قادمين اليه بسبب حكمه الجيد وسمعته الطيبة ، في الحرب التي كان يشنها على الامبراطور ، وأنهم سيساعدونه بقدر ما يستطيعون وحسب مايقدرون ، لأن لديهم معلومات جيدة وأنهم يعرفون بحق أن الامبراطور كان يقاتله بقصد غير مشروع ، في حين أن كل رجل يحمل السلاح عليه أن يقاتل عدوه بحق الرب ، وعليه أيها السيد الأمير إذا كنت في حاجة لخدماتنا فإننا سنخدمكم مدة سنة كاملة واحدة ، وإذا كنت من جهة اخرى في غير حاجة الينا كأمر لنا وسيد فاننا نستعطفك ونتوسل اليك ان تأمر بان نعطي طريقا حتى نذهب الى مكان يمكننا منه العبور للذهاب الى ارض الاناضول حتى نعود الى مقاطعاتنا . »

واستدعى الأمير الحكيم والجيد انسلين دي توسي وهذا لقبه - كان أخا القيصر المسمى سير فيليب ، والذي كان في ذلك الوقت في سجن المدينة - لأن السير انسلين كان رجلا خبيرا ، وكان يعرف بدقة عادات ولغات الرومان ، وأمره ان يذهب لمقابلة الأتراك (٢٥) . فآخذ فرسانا وسرجنية معه (٥٢٣٨ - ٥٢٧٤) بلغ عددهم ٣٠٠

وذهب الى فلزيري ، وهناك وجد قادة الجيش التركي ، وكان ملك سعيدا جدا ، وعليه خاطبه قائلا : « لقد كنت متلهفا جدا لرؤيتك ، يا سيدي وأخي ، لأنك رجل خبير من رومانيا ، وتعرف كيف نتكلم وتعرف كيف تتكلم معنا بالتركية » ، وبناء عليه بدأ يتحدث ويخبره عن القصد والغاية التي جاء من أجلها الى هناك . وأجابه الآخر بتعاطف عظيم : « مرحبا يا صديقي ، مرحبا يا أخي ، لقد كنت متلهفا جدا لكي أراكم هنا في صحبتي » . وبعدما احتفلوا هناك في فلزيري ، ذهبوا ذلك المساء الى اندرافيدا .

وخرج الأمير للقاء الأتراك وكان كل قائده معه ، والتقوا عند نهر الياكوس (٢٦) وترجل الأتراك عن خيولهم الآن ، كما هي عادتهم وانحنوا أمام الأمير الصغار منهم والكبار باستثناء ملك وسالك اللذين كانا قائمتهم ، واللذان استبقاهما السير انسلين ، فلم يترجلا عن جواديهما كما فعل الأتراك الآخرون .

وحياهما الأمير بنفسه باحترام ، وأخذ بأيديهما وبدأوا السفر ، ولم ينتظر الأتراك حتى يعسكروا ، بل بدأوا الكلام وهم راكبون ليقصوا على الأمير شكاواهم والقصد والهدف من زهابهم الى هناك ، وكيف أمسك الدمستق الكبير أجورهم ومكاسبهم التي كسبوها وهم لم يعملوا شيئا خادعا تجاهه ، ولم يظهروا أي عدم احترام للامبراطور ، « لقد استأننا منه كجنود في وضح النهار وذهبنا علنا وجئنا الى هنا ياسيدي ، لنخدمك بالاسلح وبصدق كما هي طريقة الجند (٢٧) ، وعندما نخدم تحت امرتك ، نطلب منك كمكافأة وانتفاع ان تأنن لنا لنمضي في سبيلنا . ونهمن بصدق (٥٢٧٥ - ٥٣١٥) يا سيدي لم نأت الى هذه الأجزاء لنبقى طويلا ، أو لنقضي وقتنا كله

أعد جيشك كله اليوم يا سيدي وفي الغد دعنا ننطلق ضد الروم ، وضد الأخ غير مؤمن للامبراطور ، فلم نجد في هذا المرء صدقا مرة واحدة . لقد حجزنا بالقول وأخذ أجورنا منا ، ان هذا يا سيدي ما

نريد وهذا ما نطلبه منك اذهب معنا الى هذا المدى وقف في مامن
وسنقاتل الشعب الرومي ، واذ سمع الأمير هذه الكلمات سر جدا ،
كما سر كل قادة الفرسان والفرسان ، ودعا السير انسلين
مستشاره الأول وطلب منه وأمره أن يعد الجيوش لينطلق من الفد
متبعين طريقهم ليزهبا رأسا الى حيث الروم والدمستق الكبير في
ليكنيمونيا ، وكما أمر الأمير جرى ، وفي الفد انطلقوا من
اندرافيدا ، وأخبر الأتراك الأمير بصدق بأنهم علموا من سحرتهم
الذين يعرفونهم أنهم في أول معركة سيخوضونها مع الدمستق الكبير
سيهزمونه (٢٨) ، حسنا وحالما خرجوا من اندرافيدا ، ركب
الأتراك منذ ذلك الحين وما بعده في جند المقدمة ، وكان لديهم
مرشدون أهليون ، كانوا يرشدونهم وسافروا حتى وصلوا بعد أربعة
أيام الى كوبرونيتزا ، قرب أركاديا ، ووصل الأتراك وعسكروا في
بقعة تدعى مونترا ، وهي ذات ربيع جميل (٢٩) . وبعد أن أقاموا
معسكرهم عمدوا الى مشغولتهم ووجدوا كما كشفوا لهم ، وكان
صدقا أنهم في اليوم التالي السبت سيقاتلون عند الجبال التي يمكنهم
رؤيتها من هناك واستدعوا الفرنجة الذين اتخذوهم كأدلاء معهم
وقالوا : « أيها النبلاء : قودونا الى حيث يوجد الأمير ، اذ يجب أن
نتحدث معه حول المنافع والشرف التي سيحصل عليها » ، وعندما
سمع الأدلاء هذا قفزوا الى سروجهم ، وأخذوا قادة الجيش
التركي ، ملك وسالك ، وخمسة (٥٣١٦ - ٥٣٥٢) عشر رجلا
وزهبوا الى الأمير في كوبرونيتزا .

واذ رآهم الأمير وقف تشريفا لهم وقال « مرحبا أيها الأتراك ،
مرحبا يا أخوتي » وقدموا بدورهم الاحترام بين يديه وقالوا
له : « لتعلم يا سيدي الملك ، وخدنا منا (٣٠) أننا من الفد السبت
سنمضي لخوض المعركة ، وعليه فقد جئنا الى هنا لنخبرك بهذا » .
وعليه ودعوه وعادوا .

وعندما سمع الأمير ذلك تحدث مع قائده وطلب منهم المشورة حول
ما الذي عليهم فعله ، وعليه أشار عليه السير انسلين وقال

للأمير : « اعلم أنني عرفت من جاسوس من رجالي بأن أخا الملك ،
الدمستق الكبير قد ذهب الى فيلوغوستي بكل جيوشه ، لأنه علم
بأننا في الطريق الى هناك ، وأنه قد أخذ الممرات وكل الشعب في
القمم المرتفعة المعروفة باسم ماكري - راجي (٣١) وعليه فان
رغبتي ، يا سيدي ، أن يركب الأتراك الذين يركبون في مقدمة
جيوشنا ، في الوسط ، لئلا يأخذهم الخوف ويعملون الى الهرب
ونفقد المعركة وأماننا معها . وعليه اقترح يا سيدي اذا أمرتم أن
تكون لي السرية الأولى في كل الجيوش ، وليكن الأتراك في الوسط
وتكون أنت في جند المؤخرة ، وأن أمضي قبل كل السرايا ، وأمل
برحمة المسيح أن أحقق ماثرة كما يرضى الرب ، تنظرون اليها
بترحيب » .

وعندما سمع الأمير هذا وافق عليه جدا وقال : « يسرني يا سير
انسلين أن يجري هذا كما قلت ، وزع السرايا وليكن الأتراك في
الوسط » . وعليه ذهب السير انسلين الى الأتراك وتكلم معهم
متملقا ومطريا كرجل داهية وقال : « أيها الأصدقاء والأخوة أمر
الأمير طالما أنكم أجنب ولا تعرفون الأرض أن تكون لي السرية
الأولى وأمضي في المقدمة وتأتون أنتم بعدي والأمير خلفكم ، وحيثما
تدعو الحاجة تقدمون (٥٣٥٣ - ٥٣٨٠) المساعدة » . واعتبر
الأتراك هذا عندما سمعوه مجاملة .

وعليه ركبوا وبدأوا الرحيل ، وتحرك انسلين خارجا بسريته ومر
بكلامي وذهب الى ماكري - بلاجي (٣٢) ووقف هناك برهة صغيرة
فقط وقال لرجاله : أيها القادة الأصدقاء والأخوة اعلموا صدقا أن
أخا الملك ينتظرنا هنا بجيوشه ، الآن في هذه الجبال وتلك الشعب
التي نمضي اليها ، ولهذا السبب أتوسل اليكم أن تبقوا في أذهانكم ،
أن لا يفاجئونا أو أن تؤخذوا بالخوف ولكن كحكماء ، وجنود عليكم
أن تقفوا بثبات في المعركة كرجال شجعان . لتحصلوا على ثناء
الجيش كله ، لأنهم - ليمنع الرب ذلك - اذا دفعونا للهرب سنخسر
المعركة وكل الامارة » .

والآن عندما سمعوا هذا وعدوه أنهم جميعا سيموتون معا من أجل شرفه .

ونفخوا أبواقهم وبدأوا يتسلقون منحدر ماكري - بلاجي ووصلوا الى فونيمين (٣٣) .

وبينما هم منحنون الى الامام في تسلقهم التلال ، قفز الروم المختبئون عليهم وهاجموهم في صخب ولهفة لانهم كانوا أكثر عددا ، وشتتوا الفرنجة الذين تراجعوا مسافة رمية سهم على المنحدر

وكانت سرية الروم تقتلهم وتقتضي عليهم (٣٤) واطلق الاسير انسلين صرخة عظيمة قائلا : (٥٣٨١ - ٥٤١٣) يا شباب ويارفاق هبوا نحوهم لاتدعوهم يلحقون العاربنا ، واحشد الفرنجة واستداروا نحو الروم بالرماح والسيوف ، واندفعوا نحوهم ودفعوهم نحو قمة تل فونيمين ، ومن الصخب الكثير الذي أطلقه الروم سمعت سراياهم الزئير ، وهرعت فرقة أخرى لمساعدتهم ، وبسبب أعداد الروم الكبيرة التي هاجمت الفرنجة استولى عليهم الذعر مرة أخرى واستداروا يهبطون المنحدر الى مسافة رمية سهم ، وأنا أحدثكم بصدق ، وهكذا سددوا كما تسدق الصقور الغربان ، وعليه زار الاسير انسلين بقوة وقال لرفاقه : « أيها القادة ما هذا؟ الا تخجلون بالمرءة من أننا نلعب كالأطفال ، أن هذا يبدو كما لو كنا نلعب لعبة قاعدة السجن (٣٥) لنمت اليوم بدلا من العار ، هبوا معي جميعا ولنندفع نحو أعدائنا ، فخلج الفرنجة من هذه الكلمات وتشجعوا جميعا واندفعوا نحو الروم وبدأوا يصرعونهم بالسيوف ، وإذا رأى الروم هذا ذعروا الروم وهربوا متسلقين نحو قمة التل فوق الشعب.

وعندما سمع الأتراك الذين كانوا قادمين في السرية الثانية الزئير الذي كان الروم يطلقونه ، ركضوا بسرعة صاعدين المنحدر الى مسرح الأحداث : وعندما رأوا أن الروم قد تملكهم الذعر هاجموهم

بنشاط وقتلوهـم وأبادوهـم ، وعندما سمعت زئير وذعر الجيش ، انطلقت سرايا الروم الأخرى التي كانت في كمين هاربة كل الى أي مكان تصل اليه .

ثم دعا السير انسلين رجاله - وكان له أخ يسمى قيصر ، كان محتجزا في سجن المدينة - (٥٤١٤ - ٥٤٣٩) وقال « ما هذا الفعل الشرير الذي أحاق بي لم (٣٦) لم يؤخذ هذا النبل أو الاثنين من القاعة حتى يمكن مبادلتهم بأخي ، الذي هو قيصر رومانيا والذي هو محتجز في سجن المدينة في القصور القيصرية؟ (٣٧)

وعليه بسمع هذا قال أحد السرجنية ويدعى بيرين كيومين ، كذا كان اسمه (٣٨) : ماذا أنال يا سيدي منك إذا دلتك عليهم ؟ فقال السير انسلين كل ما تتمنى الحصول عليه سوى حياتي ، وشرقي أو شيء ينعكس عليهما »

وبسمع العرض الذي قدمه السير انسلين له ووعد له ، قال له هذا السرجند : « تعال معي لأريك أين هم » ، وأخذنه وذهبوا الى جرف بين الجبلين ، في جرف حيث تقف اليوم قلعة غارديكي (٣٩) يا سيدي في الأسفل هنا في الجرف يوجد الدمستق الكبير وكافالاريتس ، والى جانبهما ما كرينوس من الجانب الآخر من الجرف (٤٠) ، ويحتجزهم ثمانية من الأتراك ويتكلمون معهم ويهينونهم ويؤذنونهم كثيرا ، لقد أمسكوا أجورهم وجعلوا منهم أعداء لهم ، وعندما صعد السير انسلين الى الجرف ونظر فيه عرف هؤلاء القاعة - عرفهم جيدا من الأسلحة التي كانوا يحملونها - أطلق صرخة عظيمة وقال للأتراك : وما هذا الذي تفعلونه ، يا رفاقي (٥٤٤٠ - ٥٤٧٥) وأخدتني؟ انتبهوا ولا ترتكبوا خيانة ، وأحضروهم هنا على الفور تحت حراسة مشددة .

وعندما عرفه الأتراك من الأسلحة التي كان يحملها قالوا : أنه

السير انسلين الذي يدعوننا وبسرعة جردوهم من الاسلحة وقادوهم اليه واحضرهم الاتراك اليه . فرفع يديه وحمد الرب ، لانه اخبر وصدق انه سيفتدي اخاه بهم ، وأمر بأن يذبح بوقه وأخذهم وذهب بسرور كبير الى فيليغوستي حيث اعطاهم للأمير الذي اعطاه هدية كبيرة وشكره بحرارة.

والآن عندما تجمع الجيش الفرنجي في فيليغوستي ، أجروا احصاء ليروا ويعرفوا أي قوات أسروا ، وبناء عليه قاموا بالعد ووجدوا الحقيقة : أن لديهم في المعتقل الدمستق الكبير وماكرينوس ، وأنهم قد أمسكوا أيضا بكافاليرتس ، واحتجزوا ٣٥٤ قائدا وسييفا ستادز ، وكان هؤلاء جميعا يحملون لقب نبيل ، ووجدوا معهم نبلاء أقل شأننا وقوات أخرى تبلغ خمسة أضعاف ، ألف واحد وثلاثين وأكثر (٤١) .

والآن أمر الأمير أن ترتاح كل جيوشه في مدينة فيليغوستي ، ثم بعد أن استراحوا ذلك اليوم ، وفي الغد ، جاء الى هناك كل قادة اسكورتا ، الذين كانوا جميعا في ثورة ، وطلبوا منه الرأفة والعفو عنهم ، وعليه توسل اليه كل فرسانه أن يعفو عنهم وأن يظهر لهم الرأفة ، وعفا عنهم الأمير الرجل الحكيم والسيد الطيب الدمث الهادئ الطيب المعشر في كل الأمور ، وأمر بأن يقدّموا له بأن يكفوا عن طرقتهم الشريرة وأن يخلصوا له ، وفي الصباح التالي أمر الأمير غوليوم أن يحضر أمامه الروم مع أخي الامبراطور وكل القادة حتى يراهم بعينه ويتكلم معهم . وعليه أحضروا له أولا الدمستق الكبير ، أخو الامبراطور الذي كان يتلطف لرؤيته والذي أصبح الآن في سجنه ، وعندما جاء نهض للقاءه وحياء بلطف ، وأمسك بيده وأجلسه الى جانبه . وبعد ذلك جلس كل القادة أيضا ، ثم بدأ يتكلم وقال موجهها كلامه للدمستق أنه قد أقسم قسما للامبراطور بأنهما سيقفان معا دائما وأنهما سيحافظان على السلام وإن لا يزيّفا قرابة التعميد التي بخلاها ، ولكن أخل بها وتخلّى عن قسمه وشن حربا وأرسل جيوشا ، وخرب أرضه بالتهب والأعمال

الحربية ، التي ارتكب بها الامبراطور جريمة ، وعليه إن الرب المنتقم لكل شيء وقد رأى العمل الشرير الذي ارتكبه والقتل ، غضب عليه ، أنظر ما الذي حدث إن العمل الشرير للملك انعكس عليكم ، أنظر يا أخي وسيدي كم من القوات حولك ٠٠٠ ١٨ في الواقع من الفرسان والمشاة في برينتزا حيث جئت بذقة في النفس عظيمة مع التأكد والتوقع أن تستولي على المورة ، وتحول الأمر حتى أن ٣٠٠ من الفرنجة من مؤيدي كسبوا المعركة وذبحوكم .

ومرة أخرى يا أخي في ماكري بلاجي ، أنظر فقط ما حل بكم مع جيوشكم ، والآن اني لا أتباهى ولا أمتدح نفسي ولكني أحمد الرب العادل على كل شيء لأنه انتقم لي كما رأيتم بأنفسكم ، وبعد أن انتهى الأمير غوليوم من كل مارواه وخاطب به الدمستق (٤٢) ، بدأ الدمستق الكبير بدوره يتكلم وقدم هذا الجواب للأمير : « ليس لدينا أيها الأخ أمير المورة تكافؤ حتى أستطيع الكلام كما ينبغي في هذا الأمر ، لاني وللأسف في السجن وقد وضعتني في القيود . وحتى لو قطعت رأسي (٥٥١٨ - ٥٥٥٧) هنا على الفور فإنني مع ذلك أمتنع عن الكلام والاجابة على كل ما قلته لأنه كان اتهاماً لي ، في الحقيقة إنه لا يليق برجل نبيل التفاخر عندما يعطيه الحظ النصر في المعركة ويضع في يديه وتحت سلطانه من كان يقاتله ، وكان عدوا له ، ذلك أن حظوظ الحرب شائعة بين الجميع ، وفيما قلته عن سيدي امبراطور الروم ، أنت مخطيء جدا ، لأن كل الناس تعرف ، وهذا هو الصحيح أن أرض المورة ليست لك بالارث الشرعي وأنت حصلت عليها بالقوة الاستبدادية ولكنها ملك امبراطور الروم ، وبالثورة الخاطئة جاء اسلافك واستولوا على الأرض التابعة للامبراطور وتملكتموها ، أنظر كيف أن فعلكم ونذوبكم قد جاءت بكم الى أراضي سيدي المقدس الامبراطور ، ولو أنه أراد كامبراطور فإنه كانت لديه القدرة لفعل كل ما يريد بكم في ذلك الوقت ، ولكنه رحيم ومسيحي مع كل الناس ، وبشرف حرركم من السجن ، وبناء على اتفاق أطلق سراحكم ، وأقسمتم له قسما بأنكم لن تهاجموه أبدا هو وقواته بالأسلحة ، وجعل منكم قريبا بالتعميد حتى تقوى صداقتكم

(٤٣) ، وبعد أن تحررت من هناك من سجنه وجئتم هنا الى المورة لم تتوقفوا دقيقة ، فجمعتم بسرعة جيوشكم وحملت أنت نفسك السلاح ونهبتم الى ليكيمونيا حتى تتباهوا امام العالم ، وأظهرتم نصرا فارغا يتبدى على نحو باهر في امارتكم ، ولم تكونوا مخلصين للامبراطور وتخطيتم القسم وفعلتم به العكس في كل ما وعدتم به ، واندفعتم للحرب بعدما تسلحتم ، وبهذه الطريقة اندفعتم لارتكاب جريمة متفاضين عن قسمكم ، ولوا نكم تذكرتم فقط ما حدث لكم في بيرغونيا ، لن تتباهوا مطلقا ولن تقللوا من شأن الآخرين ، لأن محن الحياة والاغارة ايضا لا تأتي كلها معا ولا هي تستتبع أي تباه ، وعلى كل حال أن عفو اللحظة والأسف على سجنني قد جعلاني أقول أكثر مما يجب (٥٥٥٨ - ٥٥٩٧) أن أقول ، ولهذا هل لكم أن تعذروني أنتم والقادة الحضور »

وأجابه الأمير بحكمه بهذه الطريقة : « أنت يا أخي الدمستق قد قلت أشياء كبيرة بسبب مرارتك ، وكرجل نبيل أتحملها منك لأنك في معتقلي ، ولكن لو أن هذا حدث في مكان آخر وكنت حرا وقلت بأني حدثت بالقسم الذي أعطيته بنفسه ، لو كنت الامبراطور نفسه لقاتلتك حتى الموت ، ولكن لأنك في السجن فإني أسامحك ، إن الكل يعلم أنني لم ارتكب جريمة ، وبسبب الاكائب التي أرسلها الروم الخونة اليه من هنا ، صدق الامبراطور كلامهم ، وأرسل الجيوش وبدأ يشن الحرب ووقع في الخطيئة وليغفر له الرب الغفور ، لأنني أبلفت أن الآخرين قد خدعوه وصدق كلامهم وأرسل الجيوش الى هنا وبدأ حربنا وحدث لنا الأضرار » .

وبعد هذا صمت الجانبان والقوا اللوم على المونمفاسين . وبعد هذه الأحداث حدد الأمير بعد التشاور في ذلك المساء السجون التي سيوضع فيها كل واحد حسب مرتبته وأرسل الدمستق الكبير الى كلوموتس وفي رفقته كفالاريتس أيضا ، وبعث بالآخرين الى قلاعه الأخرى . وحالما أرسلهم كما أخبرتكم ، أمر باستدعاء كل قادته

وكذلك أحكم من في جيشه كله ، وتشاور معهم حول كيفية التصرف ومن أين يبدأون وأين يذهبون ، وأين يركبون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يذهب كل منهم الى بيته ليستريح برهة ، لأنهم كانوا متعبين ، ووافق الآخرون الأكثر حكمة ، والذين جرحوا على أن يذهبوا الى ليكسيمونيا ، لأنها كانت مدينة ملائمة جدا لراحة الجيش ، وكانت لديهم سلع وافرة لاعاشتهم (٤٤) وليتولوا حصار ميسترا . وإذا وجدوا مصادفة وسيلة للاستيلاء على القلعة فإنهم سيكونون بذلك قادرين على الاستيلاء على الأرض ، وعلى الفور تحدث الأمير مع السير انسلين الذي كان قائدا عاما لكل الجيوش ومع جين دي كاتافاس (٤٥) مارشاله ، وأمرهما بأعداد الجيش ليتحركوا للذهاب الى ليكسيمونيا كما كانت المشورة .

واستعدوا بلهفة وانطلقوا ، وفي الصباح التالي وصلوا الى هناك ، وعندما وصلوا وجدوا التقارير التالية : إن معظم الروم في تلك المدينة قد ذهبوا مع عائلاتهم الى قلعة ميسترا ، وعندما وجد الأمير أن المدينة خالية من القوات المحلية للقلع ، أسف جدا وبدا له ذلك سيئا ، وعلى الفور خصص وأعطى بيوتهم لغيرهم ليعيشوا فيها وكانوا من فرجة الأرض ، رجال اخلاص وكانت له ثقة فيهم أكثر من غيرهم ، ثم أمر قواته أن تذهب لنهب المدن والضواحي النائية . وزود مدينة ليكسيمونيا بالموءن ، ووضع فيها قوات وأمر بأعمارها وتقويتها بكل طريقة تلزم.

واجتاحت جيوشه فاتيكاهيلوس ونهبت الأرض حتى مومفاسيا ، ثم أغارت على دراغاليوس ودمرتهم مع كل تساكونيا ، وعاشت فسادا في الأراض. ومونوا المدينة وازدهر الناس الذين وطنهم الأمير في المدينة ، وهكذا قرر أن يمضي الشتاء هناك. ولكن كما هي حظوظ ومصائر الرجال توقعوا شيئا وغلبيهم شيء آخر ، والخطر الذي يحل لا يعرقل ولو قليلا ، ولم يمض شهر كامل حتى جاءت التقارير الى الأمير غوليوم بأن السكوتينو قد ثاروا وانضموا الى الروم وأقاموا حصارا على قلعة أراكوفون ووضعوا

قواتا من كارتيانيا بنية الاستيلاء عليها لصالح
الامبراطور ، وبسماع هذا ومعرفته به مون الأمير مدينة ليكيومونيا
بالقوات والسلع لأعاشتهم وأخذ جيوشه وذهب إلى
فيلوغوستي ، واستدعى قادة كل جيشه ، وتشاوروا معا حول من
أين يجب أن يدخلوا درونفوس سكورتا ، (٤٦)
٥٦٤٢ - ٥٦٨٠) لأن الأرض كانت وعرة مع جبال وممرات ومع
شعاب قاسية جدا ، واستدعى الأمير الجندي الداهية ، السير
انسلين وتحدث معه بفكر نزيه قائلا : إنك أيها الأخ والرفيق قد
فعلت الكثير من أجلي ، وبالاشورة والحكمة التي حصلت عليها
منكم ، حققت انجازات عظيمة ومآثر عسكرية ألفت منها يعرف
الجميع في الحرب التي كانت بيننا وبين الملك ، ولهذا السبب ، يا
أخي وصديقي وقريبي أتوسل اليك مرة أخرى وأصلي كي تفعل هذا
لي بسبب الأذى والاساءة التي ارتكبت ضدي من قبل ابن أختي
أمير كارتيانيا الخائن الكبير الذي تخلى عن أرضه وعني أنا خاله
ومني أخذ ملكيته وذهب يستعرض نفسه في مملكة أبوليا ،
(٤٧) وأيضا بسبب الشر وخيانة الاسكو ريتنو الفادرين ، أولئك
الخنوة الذين خاذوني أكثر من مرتين الآن ، وجهوا الأتراك الذين
أصبجوا معنا مجددا ليخلو درنفسوس في سكورتا ويدمروا ويحرقوا
البيوت والقري وليذبخوا على الفور أي رجل يأسرونه ويستبقون
لأنفسهم كل ما يدوزونه منهم .

وعليه لاحظ السير انسلين كرجل حكيم أن الأمير كان مكتئبا
وقال ووعده بأنه سيفذ ما أمر فأجابه بلطف : « لا تفضب أيها
الأمير ، وسأفعل ما تريد وما يرضيك » ودعا القادة : ملك
أولا ، وروى له بالتفصيل أمر الأمير ، وأنه أمرهم بأن يدخلوا
درنفسوس اسكورتا وأن أي غنيمة أو أسلاب يفتنمونها هو وأتراكه
هي لهم يحتفظوا بها ملكا لهم ، وعندما سمع ملك هذا ، ابتهج
وأعطاه الجواب وهو أنه سيفعل ذلك بشوق ، وابتهج الجميع
الصغير والكبير . ووزعهم إلى ثلاث سرايا ، وأعطاه انسلين
مرشدين محليين (٥٦٨١ - ٥٧٢٧) وغزا الأتراك سكورتا

وهيمنوا وأحرقوا ودمروا الأرض والمدن ، وكل من أسروه مع سلاحه قضوا عليه ، وكل من فر على أقدامه رجموه وأحضره الى الأمير وسلموه له ، وعندما رأى قادة سكوتا هذا هربوا الى الجبال والقمم العالية ، وتشاوروا معا حول كيفية التقدم ، وأرسلوا رسولا الى الأمير وطلبوا منه الرأفة ، وانكروا أنهم ثاروا ، وكان كل ما فعلوه بسبب مختلف ، وتشاوروا معا حول ما يجب فعله حول الحرب مع الروم ومع الامبراطور ، لأن أميرهم ، أمير كارتانيا كان غائبا.

وعندما سمع الأمير هذا لم يستقبلهم وتوسل الرجال الغظام وكل القادة الذين تعاطفوا مع أمير كارتانيا وصادقوه وهم راكعون اليه ورجوه أن يعفو عن القوات طالما أنهم يطلبون الرحمة ، وفعل الأمير ذلك وهو الرجل الداهية بسرور ، وأرسل على الفور رسولا الى ملك ليوقف غارته وأن يمثل أمامه ، وعندما سمع هذا ذهب الى فيليفيوستي وحيا الأمير ، الذي استقبله جيدا . ثم صرف الأمير قواته ومضى كل منهم الى راحتهم وذهب الى المورة (٤٨) مع حاشيته ، ورحل معه كل من كان من المورة وأيضا ذهب معه الأتراك وعندما وصلوا الى هناك طلبوا من الأمير تسريحهم طبقا للاتفاق الذي أبرموه عندما جاءوا للمرة الاولى الى أندرافيدا وبدأ رحيلهم له محزنا جدا وأمر بأن يوفوا أجورهم كاملة وأعطى ملك هدايا وأحسن أكرامه ، وسأله أن يبقى معه ستة أشهر أخرى فقط ثم يترك ، فأجابه الآخر وهو يقول له يقول له في تواضع : « ياسيدي ومليكي ، أرجوا أن تكون خدمتي قد حققت الفائدة والكسب لك ، عندما أبرمت الاتفاق مع عدو الرب الدمستق وهناك في المدينة وعدت أن أخدمه عاما واحدا والآن مضى عامان وأنا بعيد عن أراضي ، وكل من معي وهم رفاقي ، لن يسمحوا لي بالبقاء هنا في هذه الأرض ، وأتوسل اليك ياسيدي أن لا (٥٧٢٨ - ٥٧٥٨) تضغط علي لأن علي قسما أن أعود الى املأكي » .

وبرؤية هذا لم يزد الأمير في الضغط عليه ، وأعطاه الهدايا وعطايا الصداقة وأعادته مع المرشدين ونهب إلى الأشياء ، وفي الحقيقة حدث أن بقي بعضهم عن رغبة في المورة ، وأمر الأمير أن يعمد الجميع وجعل من اثنين منهم فرسانا وأعطاهم الاقطاعات بل أنه حتى زوجهما وأنجبا أطفالا مازالوا في المورة ، في فونارني ورننا . (٤٩)

وعند هذه النقطة سأتحول عما كنت أخبركم به ، وسأخبركم عن هذا الجندي ، أمير كاريتانيا وماذا كان يفعل وأين كان خلال فترة حرب الأمير ، ولم يكن في المورة خلال الحرب مع الروم في الوقت الذي أتحدث عنه فاستمعوا لما أقول : ! خلال الحرب التي كانت بين الأمير غوليوم والأميراطور مع أخيه ، وقع أمير كاريتانيا (الذي كان يعد أحد الفرسان القادة في الدنيا وكان جنديا شهيرا في كل المملكة) بالخطايا الشيطانية وحبه لامرأة - التي حلت بكثير الدماء الآخرين والجنود - لقد وقع في حب زوجة واحد من فرسانه ، السيرجين كانافاس . وهكذا كان اسمه ، وأخذها من المورة ونهبوا إلى أبوليا ، قائلين أنهما سيحجان إلى الأبيرة وإلى كنيسة القديس نيكولاس في باري ، وأنهما سيذهبان إلى روما وأيضا إلى كنيسة رئيس الملائكة العليا والبير العظيم الذي على قمة الجبل قرب ماذفريينا (٥٠) ، وفي ذلك الوقت (٥٧٥٩ - ٥٧٩٦) كان الملك ماذفرد ملكا في أبوليا وأميرا لصقلية وكل المملكة (٥١) ، وعندما علموا من أناس معينين جاءوا وأخبروه بأن أمير كاريتانيا قد جاء إلى أبوليا وهو ذلك الرجل الشهير بالسلاح في كل رومانيا ، وقد دهش جدا واستعلم ليعرف هدفه وقصده وما الذي كان يريده هناك ، وأخبره بعض من سمع بهذا من حاشيته بأنه جاء للحج إلى الأبيرة المقدسة التي كانت في مملكته ، وليذهب إلى روما ، وتكلم شخص آخر ، وكان رجلا ناهية ، (وكان خبيرا وسأل قريبا معينا له ممن كانوا في حاشيته أمير كاريتانيا ، الذي أخبره بالسبب والهدف الحقيقيين) مع الملك سرا وأخبره بالسبب والهدف الحقيقيين وبكل الحقيقة ، أن أمير كاريتانيا الجندي الشهير قد وقع

في حب زوجة أحد فرسانه وأحضرها من المورة وجاء هنا الى أبوليا
(لأجل) أن تكون عشيقة له وليستمتع معها .

وبسماع هذا ، اضطرب الملك مازفرد جدا وأسف للعار الذي حاق
بالجندي النبيل ، وأرسل فارسا مع مرافقة جيدة ، الى
السيرجيوفري ، أمير كاريتانيا ، وتكلم معه نيابة عن الملك وطلب
منه ان يذهب الى هناك لرؤيته ، لأنه كان بحاجة لأن يتكلم
معه ، وبسماع هذا قفز الى حصانه وذهب مع كل حاشيته الى
الملك ،

ونفض الملك مازفرد عند رؤيته لتحيته وأخذ بيده وأجلسه بجانبه
وبدا يسأله لماذا جاء الى هناك ، وأجاب الآخر ، أنه قد جاء ليحج
الى الاليرة التي ندر بزيارتها في ذلك الوقت في المدينة ، وهو في
سجن الامبراطور في مدينة قسطنطين .

وأجابه الملك قائلا : « اني مندهش بشعوركم الطيب وبالشاء
عليك ، ومن أنك كجندي شهير بالسلاح ، تخلت عن أميرك السيد
غوليوم أثناء مثل هذه (٥٧٩٧ - ٥٨٤٤) الحرب العنيفة
والحاجة الى الجيش ، والتي كان يتابعها مع امبراطور
القسطنطينية .

ان النبيل يجب أن لا يكون كذابا ، ولا يحسن هذا بجندي مشهور
مثلك ، وكل رجل نبيل يزعجه هذا ويحزن عندما يسمع بأنه مخطيء
يا أمير كاريتانيا أريدك أن تعلم أني أعرف الحقيقة والسبب والهدف
من مجيئك وهذا يحزنني بحق الرب ، بسبب شهرتك ، ان الأمر
بشع وأنا أكره أن أتحدث فيه ، ومع ذلك فإني حبا لك سوف
أشجبه ، حتى تفهم بوضوح الخطأ الذي فعلته ، لقد تخلت عن
الأمير ، السيد الذي تتبعه ، والذي يتحمل عبء حرب عنيفة مع
الامبراطور وحدثت به اسمك بأن تكون مخلصا ، والذي أسمته من
قبل ، علاوة على شيء قبيح آخر وخيانة عظيمة ، اذ أنك أخذت

زوجة الفارس التابع لك وأنت تهيم معها ، في حين أن هناك قسم بيذك وبينه ، وعليه وحيث أن الشاء عليك مشهور فاني أعطيك مهلة طويلة ، خمسة عشر يوما لتخرج من أرضي وأن تذهب الى المورة لتساعد سيدك الأمير في الحرب التي يشنها على امبراطور الروم ، فاذا وجدت في أرضي بعد مرور الأسبوعين فاني أقسم لك بتاجي وبذفسي بأني سأمر بقطع رأسك على الفور »

وعندما سمع السيرجيوفري أمير كاريتانيا ان الملك قد كشفه بذفسه وأخبره بالجريمة وبالخطأ الذي ارتكبه ، ومن الخجل والشعور بالعار اللذان أحس بهما أمام الملك ، تلعثم في قوله ولم يجد مايقوله ، ولكنه أجاب الملك بأفضل ما استطاع : « سيدي الملك ، أتوسل اليك وأقع بين يديك انك في كل ماقلته لي كنت تتكلم كالرب لأنني أعرف بذفسي الجريمة التي ارتكبتها ، وأني أبجل جلالتكم وأشكرها على هذا ، وعليه فاني سأرحل وأنطلق من هنا وسأذهب الى سيدي الأمير غوليوم » .

وطلب الأذن بالرحيل فأذن له الملك ، وعاد الى معسكره وأخذ حاشيته ورحل مسرعا من هناك ، ووصل الى برنيزي خلال ستة أيام ، حيث وجد سفينة مستعدة فصعد الى ظهرها ووصل الى كلارنتزا خلال ثلاثة أيام وسأل أين يمكن أن يجد الأمير وأخبره به من يعرف (٥٨٤٥ - ٥٨٩٠) ان الأمير غوليوم كان في أندرافيدا ، وكان يعقد اجتماعا عالي المستوى ، يحضره كل القادة والأساقفة والنواب والفرسان وكانوا يتشاورون معا حول الرسائل التي تلقوها ، وكانت الرسائل التي أحضرت ليست جيدة جدا (٥٢) فقد نزلت قوة كبيرة من الجيش في مونفماسيا وكان الامبراطور قد أرسلها لتعزيز قواته الأرضية التي أحاق بها الخطر .

وعندما سمع أمير كاريتانيا ما أخبرتك به ، وأن الأمير كان في اندرافيدا مع كل قاداته وفرسانه ابتهج كثيرا على هذا

الأمل ، ولأنهم كانوا يحبونه فانهم سيضعون جميعا ضفتهم على أمير أخيا ليعفو عنه ، وأعاره أصدقاؤه هناك جيادا ، فركب بسرعة وذهب الى أندرافيدا ، واستقبله الجميع بسرور عظيم ، وطلب منهم جميعا كأخوة وأصدقاء قائلا : « لنرى الآن من منكم يا أقاربي وأصدقائي وأخواني يحبني حقا ، فلتساعدوني في الجريمة التي ارتكبتها ، لأنكم تعرفون جيدا أنني أخطأت خطأ خطيرا في حق سيدي الأمير غوليوم ».

ووعده الجميع الصغير والكبير بمساعدته بكل قوتهم ، وأخذوه وذهبوا رأسا الى الأمير غوليوم وكان الأمير غاضبا منه وأبدى له سخطا عميقا ، وكان له حق كبير ، لأن أمله كان فيه وكانت له أيضا ثقة في أن يحصل منه على مساعدة في كل ما يحتاج اليه ، وقد تخلى عنه في وسط الجريمة التي ارتكبتها ، فخلع نطاقه ووضعته حول عنقه ، وسقط بسرعة فوق البلاط طالبا الرحمة وقال للأمير في وجود الجميع : « إنني ياسيدي قد ارتكبت جريمة وجئت لكي تحاكموني » ، وقال له هذه الكلمات وهو جاث على ركبتيه ، وخر الأساقفة وكل القادة والفرسان والآخرين بسرعة على ركبهم معه ، وهم يقولون للأمير في توسل : باسم المسيح أعف عن سيدنا ، وإذا سقط في جرم مرة أخرى أقطع رأسه إنك تعرف يا سيدنا أننا في الحرب التي (٥٨٩١ - ٥٩٢١) نشنها نحتاج الى الآخرين ليساعدونا ، وأجابهم الأمير الحصيف والرحيم كما كان دائما قائلا : « أيها النبلاء اعرفوا هذا وافهموه جيدا ، ان أمير كاريتانيا هو ابن أختي وتابع لي وفي المقام الأول ، كلما أخطأ ، كلما كان حزني أكبر كثيرا لذلك ، ولنسامحه هذه المرة أيضا » ، وانحنى الجميع أمامه وشكروه ، وأعاد له أرضه وقلعاه ثم تكلم الأمير في حضور قواته :

« أيها القادة تعرفون جميعا الجريمة التي ارتكبتها أثناء تجواله مع الأمير العظيم لقد حارب بالسلاح ضدي في الميدان ، وقد عفوت عنه كما تعرفون جميعا ، وأعدت له أرضه وأعطيته له كمحنة جديدة

أبدية له ولأطفاله ، لأنه جرد نفسه بجريمته ، وأريده الآن أن يملكها الآن فصاعدا بالطريقة نفسها (٥٢) وطالما أنه قد عفي عنه ، فان أمير كاريتانيا جلس في المجلس مع القادة ، والأمير الذي كلمتم عنه وكل الفرسان وطلب الأمير منهم النصيحة حول قوات الملك التي علم بقدمها « حيث أنها مشيئة الرب والتيتوتوكوس المقدس وأن أمير كاريتانيا قد عاد إلينا ، اعطوه الجيوش والقوات حتى يمضي الى نيكلي ليتخذ موقعا للقتال هناك وليدافع عن الأرض ، وفيما بعد وعندما تدعو الحاجة سوف نساعده جميعا (٥٩٢٢ - ٥٩٦١)

عند هذه النقطة ، اتخلى عن الكلام والرواية حول الأمير غوليوم وقواته وسأخبركم لأعرفكم كيف أن أخا ملك فرنسا الذي كان يدعى السيد شارل ، أمير بروفانس جاء (توجه البابا في الحقيقة ملكا لصقلية) وكيف تصاهر ودخل في اتفاقية مع أمير المورة ، غوليوم ، واتخذ ابن الملك زوجة شرعية له ابنة الأمير ، السيدة ايزابو ، مع معاهدات واتفاقيات أبرماها مع بعضهما بعضا والنتيجة أن ابن الملك يرث الامارة ويأخذ الأمير أرضه من الملك .

وفي الوقت الذي اتحدث عنه رزق الكونت الذي كان يدعى كونت دي انجو أمير بروفانس (٥٤) من زوجته الكونتيسة ثلاث بنات جميلات تزوجت الكبرى (وهي الوريثة) الأخ الأصغر ملك فرنسا ، وكان يدعى السيد شارل الجندي الشهير ، الذي ورث مع زوجته مقاطعة الكونت دي انجو وكل ممتلكاته ، والآن أخذ ملك فرنسا الأخت الثانية ابنة الكونت زوجة شرعية ، وبعد ذلك بوقت قصير أخذ ملك انكلترا الأخت الثالثة للثنتين اللتين ذكرتهما لكم كزوجة ، وجعل منها ملكة متوجة ، وبعد أن زوج كونت بروفانس بناته الثلاثة كما أخبرتم ، بوقت قصير ، توفي الكونت وبقي في أرضه أميرا وارثا السير شارل أخو ملك فرنسا لأنه تزوج كبرى الأخوات الثلاثة .

وفي تلك الوقت وفي تلك السنوات حكم الامبراطور فريديريك امبراطور المانيا مملكة صقلية والى جانبها امتلك ابوليا ، واطهر العنف للبابا وأخذ منه كامبانيا اضافة الى رومانيا والسيادة على روما ونفي البابا الذي غادر روما (٥٩٦٢ - ٥٩٩٧) وهرب الى البندقية لئلا يقتله ، ومن هناك حرمة البابا والكنائس وكذلك حرموا اراضيهم واتباعه ، ولم تعد التراتيل تشرح ولا يحتفل بالقداس ولا يعمد الاطفال وكذلك لم تعد تتلى الصلوات على الموتى ولا يزوج الناس ، وحرّم الى الابد في كل الكنائس في كل الممالك في كل العالم النصراني ، وفي الاديرة ومن قبل الاساقفة في العالم كله (٥٥) .

وكان للامبراطور فريديريك ابن نكي ، ويدعى مانفرد ، أمير سالرنو وكان له السيادة على كابوا وكل ماضمنها (٥٦) وتوفي الامبراطور فريديريك وتوج الملك مانفرد ملكا على صقلية وأصبح حاكما على ماسكان والده يملكه ، وملك هو أيضا الاراضي والسلطة (٥٧) وكان طاغية دنس الكنيسة ، وعندما مر بعض الوقت كما اعتقد دعمت قضية البابا وعاد الى روما ، والآن عرف وفهم أن السيرشارل (كان يدعى الكونت دي انجو ، أمير برومانس ، وكان أخا لملك فرنسا) كان جنديا مهيبا شهيرا في كل الدنيا ، وبالتشاور مع الاساقفة والكرادلة أرسل له رسالة ومثلها الى أخيه مع المباركة والتوسل والوعود الكبيرة بأنه اذا ذهب نيابة عنه ليحارب ضد الملك مانفرد (ذلك الطاغية الذي ملك الاراضي وممتلكات الكنيسة) وليخوض معه قتالا ويدمره ، ويستولي على أموال القديس بطرس كلها ويضعها تحت تصرفه لاستئجار الجيوش ، فان كل من يعتقدون بالمسيح وكل من عمدوا سوف يحملون شارة الصليب ويمضون معه وسوف يسلم له صولجان الكنيسة له ولأولاده بالوراثة وسوف يحيي الملك وسيوضع التاج على رأسه ، وسيكون ملكا على (٥٩٩٨ - ٦٠٢٤) صقلية ومملكة ابوليا (٥٨)

وعندما سمع السير شارل كونت برومانس الشجاع ما وعد به

البابا بالغ التقديس وكتب له ، ولم يكن بأي حال ليقبل بأن يتولى هذه المهمة ، قائلا ومسوغا بأنه اذا تولاهما فانه سيضطرب ملك فرنسا وهو أخوه الى التنازع والدخول في حرب كبيرة مع الألمان وأيضا مع الفيليبين (٥٩) وسيتحمل خطيئة المذابح التي ستحدث في الحرب وابتادة الشعب المسيحي ، وعند هذه النقطة حدث هذا الأمر الذي أسجله لكم الآن (٦٠) وأراد ملك فرنسا أن يقيم احتفالا واستقبالا رائعا لأقربائه ، وأبلغ ابن حميه ملك انكلترا ، وكتب له جوله بطريقة ودية وسأله أن يحضر هو والملكة أخته ليجتمعوا معا في باريس لحضور هذا الاحتفال ، وقبل بمحبة خالصة وبدا له أجمل مايمكن ، أن يلتقوا ويمرحوا ، وعليه سحب الملكة مع حاشية جيدة وذهبوا الى باريس وحظيت الملكتان بسرور عظيم باجتماعهما معا ، وفي أحد الأيام وكان يوم أحد ، كانوا ينظمون احتفالا عظيما والتقت الأختان الملكتان معا الثانية ملكة فرنسا والثالثة ملكة (٦٠٢٥ - ٦٠٨٦) انكلترا (٦١) وبينما كن يجلسن في غرفة نوم الملك وصلت الأخت الأولى أيضا كونتيسة بروفانس التي كانت تحتفظ بأملأك أبيها واذ علمتا أنها قادمة نهضتا لتحياتها ، وهكذا معا كما هي طريقة النساء وحالما جلسن معا قالت ملكة فرنسا وكانت الوسطى للأخت الأولى وهي الكونتيسة : « انه ليس مناسبا لك ايتها الأخت الطيبة أن تجلسي معنا كما لو كنت مثلنا حيث أننا نحن الاثنين ملكتين ، أي أننا من فئة متميزة ومنزلة مختلفة عنك » وعندما سمعت الكونتيسة النبيلة هذا ، نهضت من الخجل والحرارة وتركتهما على الفور وذهبت الى بيتها ودخلت غرفتها في فيض من الدموع ، وفيما بعد ظهر كونت بروفانس وسأل من الخارج أين كانت الكونتيسة ، وأجابه أحدهم وقال له « سيدي انها هناك في غرفتها وأعتقد أنها نائمة » فدخل الكونت عليها بهدوء وعندما أدركت السيدة النبيلة أن الكونت قادم مسحت عينيها بمنديلها (٦٢) وعرف الكونت بأن عيني الكونتيسة كانتا منتفختان من كثرة الدموع فقال لها في غضب ما الذي يبكيك ياكونتيسة ؟ وأرابت أن تنكر السبب ولاتبديه فأقسم على الفور

قسما رهيبا ، وقال « ان لم تخبريني بصديق على الفور لماذا تبكين
فإنني سأضربك حتى أجعلك تبكين حقا » .

وفي خوفها أخبرته بالحقيقة ، وهي أنها ذهبت لتري أختيها
وجالست معهما للحديث : « ولأنني جالست معهما كما لو كنا من
المنزلة نفسها ، ولم أبد لهما فرقا لأنهما كانتا ملكتين ، بدأت أختي
ملكة فرنسا في الكلام معي وقالت لي : « ليس صوابا يا أختي
الطيبة أن تجلسي معنا كند من المنزلة نفسها أو الجدارة عينها ونحن
ذوات جلالة وجدارة أكثر من كونتيسة أو دوقة أو أي سيدة
أخرى » . وأنا بسماعي هذا حزنت على الفور بصورة موجعة حتى
أنني من شدة حزني تركت المكان وجئت هنا إلى غرفتي وبكيت
كثيرا » . (٦٠٦٩ - ٦١١٦)

وعندما سمع الكونت هذا نذر نذرا رهيبا ، وقال لزوجته
الكونتيسة : أقول لك هذا بالمسيح وأمه ، إنني لن أستريح مطلقا ولن
أرضى حتى تصبحي ملكة متوجة » .

وغادر على الفور وذهب إلى الملك ، أخيه ، ملك فرنسا وكان
هناك يتحدث مع ابن حميه ، ملك انكلترا ، وانتحى جانبا وبدأ
يتكلم معه : سيدي وأخي الملك ، يجب أن تعلم جيدا أن أبانا
المقدس ، بابا روما قد أرسل لي بركات مرات عديدة جدا مع الطلب
أن أذهب إلى روما وأنني إذا أمسكت بالملك مانفرد في الحرب وقاتلته
في الميدان بالسلاح فإنه سيتوجني ملكا على صقلية ويعطيني
الصولجان ، وسأكون حامي كنيسة روما . ولم أرغب مطلقا في تولي
هذه المهمة ، والله يعلم ، بسببك أنت ، لئلا أدفع بك إلى الحرب
والمقاعب ، والقتال مع ملك ألمانيا وحزبه ، أي مع كل الفيليبين
حسنًا يا سيدي ان العزم على فعل هذا قد جاءني لتوه ، لهذا
أرجوك ، وانحنى أمامك كسيد وأخ لي ، أن أحصل أولا على أمر من
جلالتك ، ثم المساعدة ، بالمال والجيوش ، حتى أمضي بشرف يوائم
شرفك .

وعندما سمع الملك هذا وافق بحرارة وقال لأخيه : « أقدم شكري للملك الذي خلق الكون لأنه أعطاك الرغبة لفعل ذلك لأنه أمر مشرف وتحرير للعالم ، وفي هذا الشأن فاني أجعل شاهدا مجد الرب الذي تمنيت أن يوحى لك بهذا الأمر بإرادته وتقولى تلك المهمة . ولكني مرة أخرى خشيت أن يتصايف أن تعتقد بأنني أريدك أن تتبعد عن صحبتي ، حسنا وحيث أن الرب قد أعطاك الإرادة وأنت تريد بقرار منك أن تقوم بها ، فخذ من مالنا وأيضا من قواتنا واستأجر جيوشا جيدة لتكون من برائك ، وليكن الرب وبركات أبينا بالغ القدسية وبركاتي أيضا أنا أخوك عونا لك أينما ذهبت ، لأن أمني بالرب وفي البابوية المقدسة ، وفي الحكمة وفي الشجاعة والمهارة الحربية التي لديك بأنك ستقوم بفعل لشرف الكنيسة أولا ولي ثانيا ، ولك ولكل أقاربنا » (٦١١٧ - ٦١٥٩)

والآن شكر الكونت الحكيم البارع الملك كسيد له وأخ ، ثم استعد ، وأخذ مالا واستأجر جيوشا كثيرة من الرجال ذوي الخبرة من الفرسان والمشاة من الجنود الشجعان كلهم ، وودع الملك وذهب الى بروفانس وجهاز سفنه وصعد اليها ووصل الى روما خلال شهر (٦٢) .

ويقع البحر على مسافة اثني عشر ميلا من روما ، وبعد أن نزل ونزلت قواته الى البر أمر بأن تحمل الخيول والجياد والدروع ومواد الطعام والمؤن على عربات الشحن وبغال الحمل ثم انطلق ذاهبا رأسا الى روما (٦٤) .

وعندما سمع البابا بالغ القدسية بأن السير شارل كونت بروفانس كان قادما بجيوش هائلة ، من زهرة فرنسا ، رفع يديه وحمد الرب ، والقديس بطرس وبولص اللذان قويا من عزمته ليذهب لغون الكنيسة بالغة القدسية ضد الطغاة ، ولأنه قد ابلغ لدوه (٦٥) وكان رجاؤه في الرب ان يهتفي الطغاة واعداء الكنيسة ، وبأنه سيبقى على عرش روما. ركب البابا بناء عليه من السعادة التي شمر بها

بسبب الكونت ، ولكي يشجعه بالشكل المناسب هو بنفسه خارجا مع الكرادلة ومع نبلاء روما ، ومضى لاستقبال كونت بروفانس ، (٦٦) وقدم له تشريفا عظيما في هذا الاستقبال .

وبعد أن وصلوا الى روما نزل كل منهم في منطقة تمر كزه ، وحالما أسكنوا كما أخبرتكم أرسل البابا خمسة كرادلة ، وأربعة مطارنة ، واثني عشر أسقفا الى الكونت ، أرسلهم ليطالبوا منه أن يأتي لمقابلته والتحدث معه وعليه فقد صحبوه بتشريف كبير ، والآن نهض البابا بالغ التقديس لتحيته ، وأخذ بيده وأجلسه بجانبه .

مرحبا بالرجل النبيل ، ذو الدم الفرنسي حامى المسيحيين ، ابن الكنيسة ..

وبدا يسأله عن الرسائل من أخيه الملك ، ملك فرنسا كما أخبرتكم (٦١٦٠ - ٦٢٠١) وبعد أن تلا عليه رسائل الملك شكره واثنى عليه آلاف المرات لأنه جاء وأجهد نفسه لحاجة الكنيسة وهو أمر يشكل نبعا للفخار والكسب له والراحة للمسيحيين ولكل الكنيسة ، وبعد أن تحدثا وقال كل ما يريدان ، عاد الكونت الى مقر اقامته ، ثم أمر البابا بالغ التقديس باستدعاء الجميع كبيرهم وصغيرهم ، وعقد اجتماعا رهيبا ومجلسا أعلى للبلاط ودعا كل من جاء وقتها مع الكونت وكذلك نبلاء روما ، وأقام البابا قداسا احتفاليا في كنيسة القديس بطرس ، وبعد تلاوة القداس وخروجه من المذبح المقدس ، توج البابا بنفسه السير شارل ملكا على صقلية بتاجه المذهب ، وحياه كل الحضور صفارا وكبارا (٦٧) .

وبعد أن توج كونت دي أنجو ملكا على صقلية ، لم يرد بأي طريقة أن يضع وقته ، وذهب الى البابا وقال له : « سيدي الأب المقدس ، اني لم أت الى هنا لأجلس كامرأة ، والآن وقد توليت أمر الحرب مع الملك مانفرد والفييليين ، وهم أعداء الكنيسة ومجرمون فيها ، فاني

لا أريد لنفسي ، ولا أقدر بنفسي على محاربة الطفافة . وأعداء كل الكنيسة ، ولكن حيث أنك تجلس على عرش روما ، وجعلت مني مدافعا عن الكنيسة ، فمر وابعث الى كل مكان والى كل الممالك بأن على كل من يؤمن بالمسيح ويخضع لامرتك ، ان يساعدوك بجيوشهم كي تحارب أولئك الذين يعادون الكنيسة . وعندما سمع بابا روما المقدس ذلك الذي قاله الملك بدا مغريا له . وأمر على الفور بكتابة الرسائل وارسلال الرسل الى الممالك وأيضا الى كل ايطاليا (يحملون) المباركة والدعوة كي يأتوا لعونه وليطردوا من مقاطعات وأراضي الكنيسة الطفافة العاقين الذين يذسونها ، وجاءت جيوش هائلة من كل الممالك وجاء الى ايطاليا كل الفوليف (٦٢٠٢ - ٦٢٤٠) .

وبعد أن تجمعوا جميعا في روما ، قسم الملك سرية كل رجل وأمرهم بأن يخرجوا من مدينة روما وتسليح هو بما هو مناسب له كملك ، ومضى الى البابا وسأله مباركته وهو راكع على ركبتيه ، وباركه البابا وصلب فوقه ، وأمر بأن توضع طبعة الصليب المقدس على الجانب الأيسر من صدره حتى تبقى معه ، وبارك جيوشه أيضا صغيرهم وكبيرهم ، وصلى من أجلهم جميعا وقال : كل من يموت بالسيف في هذه الحملة سينال عفو المسيح والبابا أيضا عن كل الخطايا التي ارتكبها أيا كانت في حياته تماما كما لو أنهم ماتوا في أرض الشام لانتزاع قبر المسيح من أيدي غير المسيحيين ، عرق البرابرة . وبعد أن تلقى الأمير البركة من البابا - كما أعطاهما لكل الجيوش - انطلقوا رأسا الى أبوليا .

وعندما سمع الملك مانفرد التقارير بأن الملك شارل بنفسه كان قادما لحربه أرسل في طلب جيوش من ألمانيا ، وجاءته منها جيوش جيدة كثيرة ، وكلها من الرجال الشجعان ، ومثل هذا جاءت من لومبارديا ومن توسكانيا أيضا ، فمن هناك جاء الذين كانوا من حزبه ، وجاء كل الفيلليين من صقلية وكذلك رجال كالابريا ، وهكذا جمع جيوشا كثيرة جدا فاقت الحصر .

واتخذ لنفسه موقعا في بينفنتو وانتظر الملك ، وبقي في انتظاره حتى وصل .

وتحاربا هناك بكل جيوشهما ، وحدث ان مشيئة الرب قضت بأن يعطي لصاحب الحق الحظ الحسن وينزله النصر ، كسب الملك شارل المعركة (٦٨) وقتل الملك مانفرد وخسر المعركة ، وكل من بقي بعده ، أعني قواته ، قدم الطاعة للملك شارل العظيم ، وهكذا تركوه في راحة وسلام ، ملكا وسيدا لهيكلية ولملكة ابوليا . (٦٢٤١ - ٦٢٦٥)

وعند هذه النقطة سأتوقف عما كنت أرويه ، وسأعود مرة أخرى للأمير غوليوم ، لأقص وأروي الأعمال التي قام بها ، وهنا سأبدأ بالكلام وأخبركم عن أمير المورة ، غوليوم وماذا فعل وكيف تصرف في ذلك الوقت عندما عاد النبيل سيد كاريثانيا من مملكة صقلية هناك في أبوليا . وكما أخبرتكم أعلاه في كتابي ، عفا عنه الأمير غوليوم بنفسه ، (٦٩) وأعاد له أرضه ، التي كان قد ملكه اياها بمثل تلك الطريقة والاتفاقية التي رسمها ، وكان له أن يورثها فقط لابنه ، تماما كما أعادها له من قبل في نيكلي ، عندما كان الأمير يقاتل مع الأمير العظيم ، وكما هي العادة في الأعمال الحربية أينما كانت ، يتم كسب بعض المعارك ، وبعضها الآخر يجلب الكوارث ، وهي حقيقة تجلب لي متاعب عظيمة لوأني كتبتها كلها لكم في هذا الكتاب .

لكن كي أجعل الأمر أخف بالنسبة لي وأنا الذي أكتبها لكم وأنتم تسمعون وتقرأون ، بذلت جهودا عظيمة لانتقاء الأفضل وكتبت وتلوت الأعمال والمهام التي كانت مثمرة .

وعليه سأبدأ من هذه النقطة ، فاستمعوا فقد تتعلموا ! (٧٠)
عندما سمع الأمير وعرف أنه في ذلك الوقت ، هزم الملك شارل الملك (٦٢٦٦ - ٦٢٦٨) مانفرد في المعركة وقطع رأسه واستولى

على السلطة في كل مملكته . كان سعيدا جدا (٦٢٦٩ - ٦٣٠٠)
وأقر له هذا الاسم لأن العرق الفرنجي الذي ينتمي اليه هو أيضا قد
اقترب أكثر من المورة وإلى أرضه ، وكنتيجة تروى في فكره كثيرا
وتكلم محلا بهذه الطريقة التي أذكرها هنا . وحيث أن امبراطور
مملكة قسطنطينة

قد تجذر في المورة وكانت سيادته تنتشر ، فإنه لن يتمكن مطلقا من
طرده من الأرض وحده ، بنفسه ، وبالقوات التي لديه ، إن لم
يحصل على القوة من دولة ما أخرى ، وحيث أن الرب قد أمر
وأصبحت دولة الملك شارل قريبة إلى أبوليا . (ان الرب لم يمنحه
ابنا يكون وريثا له ليعتريه سيدا على الأرض ، عندما يأتيه الموت في
ساعة منيته ، كان لديه فقط أطفال اناث كورثة) . ولئن استطاع أن
يعقد مصاهرة مع ذلك الملك القوي شارل ، بحيث يأخذ الملك شارل
كما أخبركم ابنة الأمير غوليوم كنة له (٧١) وستوفر له القوة
والجيوش الشجاعة ليطرد الامبراطور من الامارة .

وبعد أن تأمل الأمير جيدا في نفسه ، أمر بدعوة كل القادة ،
وأولئك الأكثر حكمة والأوائل بين مستشاريه . وتحدث اليهم
وأخبرهم بما اعتزم عليه . وحالما سمعوه ، تناقشوا معا ، وبينوا له
واقترحوا طرقا كثيرة ووسائل يمكن بها تحقيق هذا الشيء
وانجازه ، لأنه كان نبيلًا وقويا فوق الطبيعي ، في حين أن الأمير
كان فقيرا في الوسائل فقد لا يقبل بها وربما لن يعبأ
بها (٦٣٠١ - ٦٣٤٥) وعند هذه النقطة ، تكلم الأحكم من بين
الموجودين في مجلس الأمير في ذلك الوقت ، والذي كان يدعى
نيكولاس دي سانت أومر وكان أمير طيبة ، وكانت له معرفة واسعة
وتكلم مع الأمير معطيا إياه هذه المشورة : « اذا شئت ياسيدي
تحقق ذلك أنا اتعهد بالقيام بذلك بنفسي إذا أخذت بنصيحتي واتدبر
الأمر بشكل قانوني مع الملك شارل ، وصحيح كما يعرف الناس
جميعا أن أميرنا أبوك مع أهلينا هم الذين غزوا المورة ، التي تدعى
الامارة ، وربحوا بالسيف كل ما نملك من اقطاعات ، وأبوك وسيدك

لم يأخذ أرض المورة من أحد ، وقد حصل على السيادة من الرب
وحده وبالسيف . وحالما توفي أبوه وأميره ، فان أميرك وأخاك
السير جيوفري أصبح سيدا وتزوج ابنة الامبراطور روبرت ، وكان
قد أرسلها الى ملك أراغون زوجة له ، وعليه فقد تزوجها السير
جيوفري كما يعرف كل الناس ، وكتعويض للملك عن الجريمة التي
ارتكبها ضده ، وليحل السلام بينهما وتستقر الأمور ، عقدت معه
معاهدة وأصبح رجله . وله أن يحصل على أرضه من الامبراطور ،
حسنا وطبقا للطريقة التي سوى بها أخوك الأمر في ذلك الوقت ،
وأصبح تابعا للامبراطور ، ولم يتمكن من خدمة أحد آخر وله وحده
كان يقدم خدماته كلها ، وتماما كما فعل هذا لمصلحته الخاصة
وليرضي رغبته وليحقق ربحا ، افعل الشيء نفسه وعلى الفور مع الملك
شارل لتحقيق رغبة ولتربح . واذا فعلت كما أقول فاني أخذ على
عهدي أن يصبح الملك قريبا لك وهو متلف الى ذلك . »

وعندما سمع الأمير وأولئك الذين كانوا في مجلسه ذلك ، سر
الجميع وحموه جدا ، وبعد اعطاء المشورة كما أخبرتكم ، تقرر
الأمر وصمم عليه .

واختير أسقف أولينا مع السير بيير ، (وكان لقبه دي ثو،
وكان يعتبر في كل الإمارة رجلا حكيما (٧٢) ، لينمبا كمبعوثين الى
الملك ، واستعدا وعبرا مباشرة الى برنديزي ، وبعد أن نزلا الى
البر ، اشتريا خيولا وأخذوا الطريق المؤدي الى حيث كان الملك
فوجداه (٦٣٤٦ - ٦٣٨٧) في نابولي ، وانحنيا أمامه ، وكانا
يحملان له رسائل فقدماها له ، وكانت تحوي وتعلن أن له أن يصدق
هذين الرجلين في كل شيء يقولانه وينطقان به .

وبعد أن تسلم الملك الرسائل وفهم التصريحات بأن يصدق هذين
الرجلين أمر بأن يستدعيا الى مكان جانبي وبدأ يستجوبهما حول ما
كانا يريدان قوله ، وحيث أنهما كانا حصيفين بدأا يتكلمان
معه : وأخبراه بالتفصيل ما الذي كانا يريدانه وهو أن رغبة الأمير

ومشيئة الرب وارادة الملك أن يدخل في مصاهرة ويصبحان كواحد ، وبعد أن استمع الملك جيدا لما أخبراه به ، أجابهم بأنه سيجري مشاورة ثم يعطيهم الجواب ، كما هو صحيح ومناسب .

وعليه أمر الملك بدعوة القادة ، الأوائل منهم والأفضل في مجلسه ، وأخبرهم مفصلا بأمر أمير المورة واقتراحه وما كتبه وأراد تنفيذه معه ، ثم بدأوا يتكلمون ويتشاورون ، وبعد أن تناقشوا قالوا ما يلي أيضا : « أنهم يريدون استدعاء المبعوثين واستجوابهما ليسمعوا ويعرفوا خصائصهما . وعليه فقد استدعوهما وبدأوا يستجوبونهما : كيف يملك غوليوم أمير المورة أرضه ، ومن هو سيده الأعظم ، وأي نوع من الأرض المورة وما هي ثرواتها ؟ ثم أعطى السير بيير الذي عرف وفهم كل شيء عن المورة الجواب ، وقال كل شيء من البداية الى النهاية (٧٣) » .

وعندما سمع الملك وكذلك مجلسه ماتضمنه امارة المورة وثرواتها وقيمتها ، اشار عليه الجميع باتمام الامر ، لانهم رأوا وتحققوا انه كان لصالحه ، وصمم الملك على تنفيذ مشورتهم ، وبعد ان صمم الملك على تنفيذ المصاهرة مع امير المورة ، غوليوم اعطى توجيهه لاحد الاساقفة واثنين من قادة الفرسان ، وفارسين آخرين ممن كانوا معه بان يذهبوا كمبعوثين الى الامير غوليوم لحمل الجواب اليه مع رجائه ، والارادة والجواب اللذان اعلنهما الملك له (٦٣٨٨ - ٦٤٣٢) .

وانطلقوا بناء على ذلك وذهبوا الى برنديزي ، حيث وجدوا السفن التي كانت مستعدة للابحار ، وصعدوا الى ظهورها معنا وذهبوا الى كلارنتسا ووجدوا الامير غوليوم في اندرافيدا . وتكلم اسقف اولينا والسير بيير مع الامير واخبراه في خلوة ماحققاه ونفذه مع الملك ، وبعد هذا استدعوا ايضا الرسل الذين جاءوا معهم من عند الملك شارل ، ثم ردا ماكان عليهم نقله من الملك شارل الى أمير المورة ؛ مما يسر الملك ، فرغب واراد قانونيا تحقيق

المصاهرة حسب الاتفاقات التي اعلنت للملك من قبل المبعوثين الذين ارسلهم الامير الى الملك ، والتي اشترطت ان يأخذ الامير ابنته ، التي كانت وريثته والتي كانت تسمى ايزابو وان يذهبوا الى نابولي للانضمام الى الملك وان يتزوج الاولاد ، فيأخذ ابن الملك ابنة الامير غوليوم ، وبعد ذلك يؤدي الامير الولاء ليأخذ ارضه من الملك شارل .

وعندما سمع الامير هذا اقره بجرارة ، ومنح تشريفا عاليا وهدايا للذين اوفدوا وجاءوا اليه كمبعوثين ووجههم بالعودة الى الملك وحمل جوابه اليه وابلاغه ان امير المورة كان راضيا على الاتفاقيات وكان يستعد للمجيء لاتمام الامر ، وأرسل الامير على الفور الى يوريبوس ، حيث احضرت له احدي الشوانى كبيرة وجيدة التجهيز ، وفي كلارنتسا امر بتجهيز سفينة اخرى له ، واستعد كما ينبغي لمثل هذا الرجل العظيم ، وصعد الى السفن مع ابنته ، التي كانت تسمى ايزابو وحاشيته ، واخذ معه من الفرسان العدد الذي يحتاجه ، وانطلقوا الى كلارنتسا ووصلوا الى برنديزي . وبعد ان نزلوا في برنديزي احضروا الخيول بسرعة وانطلقوا على الطريق ، وهكذا ركبوا الى نابولي حيث كان مقر اقامته ، ووصلوا قبل الملك (٧٤) .

والان عندما سمع الملك وابلق بان الامير كان يقترب من المدينة ، ركب بنفسه خارجا ومضى للقاءه ، وحياء هناك حيث استقبله ، بلطف واخذ بيده وركبا جنبا الى جنب وقدم له تشريفا كبيرا ، دهش له الجميع . (٦٤٣٣ - ٦٤٧٩) .

وبعد ذلك نزلا عند بيت الملك : ثم امر بان يسكن بتشريف كبير في المدينة ، ودعاه للعشاء في اليوم التالي ، وعلى شرف الامير دعا كل النبلاء الذين كانوا في المدينة ، وعقد المجلس الاعلى للبلاد ، وكان هناك احتفال كبير ، وبعد ان احتفلوا جيدا ذلك اليوم ، ذهب كل الى مقره .

وفي الصباح التالي ذهب الامير الى حضرة الملك ليتحدث معه وامر الملك كل فرسانه بالجيء ، وجلسوا للتشاور وبدأوا في الحديث ، ثم جاء المبعوثون الذين ذهبوا الى امير المورة وبدأوا الحديث وهم يريدون رواية كيف ذهبوا الى المورة الى الامير غوليوم مع امر الملك فيما يتعلق بالمصاهرة وما انجزوا والى اي نقطة تقدم الامر في هذا الشأن الذي ارسلوا فيه . وحيث ان جلالة الملك قد امر وان الامير قد جاء عند جلالته ، فان الامر متروك لسموكم لتنفيذه وتحقيقه بحكمته لما فيه تشريف لسموكم ولجديكم ورخائكما انتما وقواتكما .

وحالما انتهى المبعوثون مما كان عليهم قوله حول المصاهرة ، بدأ الامير عندئذ الكلام حول الامر وبدايته ، والطريقة التي بدأ بها ، وبناء على امر وتوصية الملك جاء الى هنا واحضر معه ابنته ، وانه على استعداد لان يفعل كل مابحثه مبعوثو الملك معه في المورة وان ينفذ الاتفاقيات التي ابرمت وكل ما يخصها (٧٥) °

ثم اجاب الملك بنفسه بان كل ماقله الامير صحيح ، وانه رغب واراد ان ينفذ الامر كما اتفقا وشرعا ، وبعد ان انتهاء واعلنا التفاصيل امر ابا حضار ابنائهما ومن ثم خطب رئيس اساقفة نابولي ، وكان مطرانا الابناء وبعد ان اعلن خطبتهما وعقد لواحد الزواج بمراسمه ، ادى الامير الولاء ، وبناء على ذلك قلد الملك (٦٤٨٠ - ٦٥٢٦) ابنه السيرلويس الامارة ، فاعادها مرة اخرى الى حميه ليملكها ويديرها مدى حياته في هذه الدنيا .

وبعدما انجز هذه الاشياء التي اخبركم بها مكث الامير هناك خمسة عشر يوما مع الملك شارل ونظما احتفالات كبيرة ، ثم جاءت التقارير من المورة للامير بان احد ابناء اخيه قد جاء من عند الامبراطور الى مونفاسيا ، واحضر معه الجيوش : والكومان والترك والروم من منطقة نيقية والذين في المورة ، وكان اهل الارض خائفين وطلبوا من الامير العودة الى هناك . وعند سماع ذلك ذهب

الامير الى الملك واطلعه على هذه التقارير مفصلا ، وطلب منه الانن للذهاب الى المورة لاسعاف وتقوية ارضه وقواته ، وللذهاب الى قلاعهم لتموينها . وعندما سمع الملك هذا قال انه حسن ان يذهب الى ارضه لنجبتها وحمايتها من اعدائه ، وعليه استأذن الامير من الملك ، وركب بسرعة ووصل الى برنديزي ، حيث وجد السفن جاهزة فصعد اليها ووصل خلال يومين الى كلارنيسا وركب من هناك ذاهبا الى اندرافيدا .

وعندما سمع كل اهل المورة بمجيء الامير ، كانوا سعداء جدا وشعروا بثقة قوية تجاه اعدائهم . وبعث باوامر مكتوبة الى امراء القلاع بان يحتفظ كل منهم بحراسة قوية من قواته لانه كان في طريقه لمساعدتهم وانهم يجب ان يمتثلوا قلاعهم وان يحشدوا القوات ليقفوا بثبات ويحموا الارض والحدود ، وبعد ان استراح نحو اربعة ايام ، كتب الى القادة والفرسان فجاءوا اليه وخرجوا راكبين على الفور ، واخذهم وجال على القلاع ، وامر بنشر الحراسة في كل الارض حتى يحتموا من اعدائهم . (٧٦)

وسأوقف عند هذه النقطة لحظة عن الكتابة والكلام عن الامير غوليوم أمير المورة وسأخبركم بنياً الملك شارل والفعل الذي قام به والعطف الذي اظهره في ذلك الوقت لأمير المورة .

ومن عطف الملك الحكيم ، الملك شارل والعاطفة التي شعر بها تجاه نسييه الامير غوليوم (٥٦٢٧ - ٦٥٤٥) ولانه ايضا كان خبيرا في الاعمال الحربية للجيش ، (٧٧) فانه بعد ان تركه الامير ومضى مبتعدا عنه فكر ومحص انه طالما ان الامبراطور قد ارسل جيوشه الى المورة لمحاربة الامير الذي كان نسييا له ، فان الامير سيكون بحاجة لعون بالجيش والقوات ليحمي ارضه ، وعليه امر بدعوة احد فرسانه وكان جنديا خبيرا في الامور الحربية ، وكان يدعى السير غاليران ، وكان لقبه دي ايفري ، (٧٨) وقال له اريدك ان تذهب الى المورة لمساعدة نسيي الامير مع مائة من المرتزقة

بخيولهم وايضا مائتين من الجنود المشاة على ان يكونوا كلهم من النخبة ايضا وعلى ان يكون مائة منهم من حملة الاقواس العقارة والآخرين من حملة الدروع ، (٧٩) وان تدفع للجميع اجور ستة شهور وتكون عليهم كقائد ونائب لي ، استعداد على الفور وازهدب بسرعة ، ان السفن (٦٥٤٦ - ٦٥٨٨) جاهزة في برنديزي فاركبوا وازهدبوا سريعا الى المورة لمساعدة الامير واهدائه تحياتنا الكثيرة عني، واخبره نيابة عني انه اذا احتاج لجيوش اكثر ، فليشعرنني برسالة موجزة وسارسلها له على الفور .»

واعد الفارس الحكيم نفسه على الفور كما امر الملك ، وترك نابولي وذهب الى برنديزي وهناك وجد السفن مستعدة فصعد اليها ووصل خلال ثلاثة ايام الى كلارنتسا ، وحدث ان كان الامير في ذلك الوقت في فليزييري ، وارسل له السير غاليران ستة رسل ، وكان اربعة منهم سرجندي واثنان من الفرسان ، وابلفه بالتفصيل انه جاء من ابوليا بناء على امر الملك بالجيش الذي معه لتقديم العون للامير وتنفيذ جميع اوامره .

وعندما علم الامير بوصول نائب الملك هذا ، السير غاليران ، الذي جاء من عند الملك وجلب معه الجيش الرائع ، من الفرسان والمشاة كما اخبرتمكم ، بدا له الامر بالغ الروعة وابتهج به . ولتشريف نائب الملك من اجل الملك ، وركب خارجا على الفور مع القوات التي لديه وذهب رأسا اليه في كلارنتسا ، ومن جانب اخر سمع الرجل الحكيم السير غاليران وعرف ان الامير قادم اليه ، فركب لتلقيه بسرعة خارجا مع حاشيته بالدروع وعلى خيولهم ومنهم المشاة والفرسان وقابلوا الامير غوليوم عند نهر الياكوس عند نقطة تدعى كريفسا (٨٠) ، وهناك التقيا وابتهجا معا وحيا السير غاليران الامير نيابة عن الملك وقال له: لقد ارسلني الملك الى هنا ، وهو يبعث اليك بتحياته ، وقد ارسل لك معي كل هذه القـوات لمساعدة ارضك ، وكمعونة في الحرب التي بينك وبين امبراطور اولئك الروم.

واذا احتجت للمزيد ايضا فاعلمه حتى يرسل اليك (٨١) وشكر
الامير الملك بحكمة على المساعدة التي ارسلها وعلى المعونة أيضا .

والان بعد ان وصل الاثنان الى كلارنتسا ، امر الامير بايجاد خيول
(من النوع) الذي يدعى خيول الحمل ، للمرتزقة ، واحد لكل رجل
لاعطائهم الراحة بحمل ملايسهم (٦٥٨٩ - ٦٦٣٣) وبروعهم.

وبعد ان جهز الامير الفرنجة الذين جاءوا لمعاونته والذين ارسلهم
الملك ، تشاور مع الذين كانوا في مجلسه حول الطريق الذي يجب ان
يسلكوه ، وفي اي مكان يهاجموا اعداءهم العرق الرومي ، وعندما
تشاوروا انطلقوا من هناك ووصلوا الى رافد الالفوس عند مكان
يدعى ايزوفا (٨٢) وجاء حكام القلاع مع قواتهم كما فعل قادة
الفرسان ، واعطيت لهم الاوامر بان يستعدوا بمؤن من الخبز تكفي
لشهرين ، وهناك تشاوروا حول مكان الاغارة ، وعليه فقد اشير
عليهم بان يذهبوا الى نيكلي ، بفكرة وهدف ان هذا المكان كان
متسعا بدرجة كافية لتتيح لجيوشهم الاقامة والراحة ويمكنهم
الاقتراب من جيوش الروم اذا رغبوا في الاغارة ، واذا توصلوا الى
قرار القتال ، وكان الامير واثقا من جيوشه وفي ان الرب سيكون في
عونه ليحرز النصر على الروم ، واذا سر الرب ان يمنحه النصر
فانه سيستولي بسهولة على كل الامارة .

ثم ركبوا ووزعوا السرايا ، وغادروا ايزوفا ووصلوا في المساء الى
كاريتانيا الى القلعة الرائعة ، وعندما علم امير كاريتانيا بان الامير
قادم بجيوشه وانه كان قادما على طول الرافد في اتجاهه (٨٣) ،
ركب بسرعة خارجا مع رجاله وذهب لمقابلة أمير المورة ، ومن جانب
اخر جاء من اكوفا السير غوتير سيد تلك القلعة مع الجيوش التي
لديه (٨٤) ، وتجمعوا معا في كاريتانيا واستعرض كل منهما
الجيوش التي لدى كل واحد منهما ووجدوا ان هذين الفارسين
القائدين امير كاريتانيا وامير اكوفا كان لديهما مائة وخمسين
خيالا ، كلهم من النخبة ومن الجنود ذوي الخبرة ، وكان لديهم
مائتين من المشاة ، وكلهم مسلحون .

وبعد ان عسكروا في سهل كاريتانيا على شواطىء الراهد . في تلك المروج بالغة الجمال امر الامير بدعوة القادة : امير كاريتانيا ، وامير اكوفا والاخرين ايضا (٦٦٣٤ - ٦٦٧١) من قادة الجيش يطلب من الجميع المشورة حول المكان الذي ينصحون جيوشه بشن لهجوم منه على اعدائه ، وبناء عليه تكلم امير كاريتانيا اولاً ، ثم كلم بعده امير اكوفا وتكلموا ونصحوه بان يذهبوا الى نيكلي كما صحوا ، في المقام الاول . واخبر امير كاريتانيا القادة انه عرف لقائد الذي وضعه الامبراطور على قواته ، وانه كان متفطرسا وذا جد ، وفخر عظيم بقواته التي كانت معه (٨٥) وهو يريد أن يأتي سرعة كبيرة للقتال حيثما ندعوه ، في السهول أو الجبال واذا هب لرب والقدر ورسم أن نحارب معا وأن نحرز النصر ، سنأخذ كل لمورة من ايدي الروم »

وعليه استعدوا ووزعوا السرايا واعطوا التوجيهات لجيوشهم ولا لعناصر الاغارة ، الذين توغلوا في غارداليقوس ، واغاروا على ساكونيا ، لأن هؤلاء كانوا في ثورة لصالح الامبراطور ، وقد جمعوا كثيرا من الغنائم وكانت تفوق الحصر ، ولخمسة أيام اغارت لك الجيوش ثم عادوا الى نيكلي وكان قائد الامبراطور مع جيوشه في ليكديمونيا ، ولم يخرج من هناك مرة ، ولو أن أحدا سألني لأي سبب تصرف بهذه الطريقة ، سأجيبه انه كان بسبب الامر الذي لقيه ، لأن الامبراطور نفسه ، السيد ميكائيل اعطاه أوامره بأنه بعد معركة برينتزا ومرة أخرى بعد المعركة الثانية وهي معركة ماكري - بلاجي ، لم يكن للروم مطلقا أن يلتقوا في الميدان للقتال مع الفرنجة في المورة لأي سبب في العالم ، وأقسم الامبراطور وهكذا مر : في منطقة المورة لأي سبب في العالم الروم لن يلتقوا مطلقا الفرنجة في الميدان للقتال بالرمح لأن ثلاثمائة من الفرنجة فقط قد زرموا أخوا الملك الذي لديه ستة آلاف من القوات الراكبة الجياد الى نائب المشاة (٦٦٧٢ - ٦٧١٨) واذا كان لفرنجة آخرين أكثر ددلاً أن يجدوا رومانين في الميدان فان الامبراطور لن يحتفظ بعد لك بالمورة ، وأمر الروم أن يتخذوا موقعا في الجبال وان يحرسوا

الأرض ، وكلهم مسلحون بأقواسهم وكلما وجدوا الفرصة وكانت لهم مصلحة ، فبالحيلة والاستراتيجية عليهم أن يقاتلوا الفرنجة .

وبعدما سمع الأمير بهذا دعا قائده ليشتيروا عليه وتكلم بعض هؤلاء وقدموا له النصيح بأن يأخذ جيوشه ويذهب رأسا الى حيث يكون قائد الامبراطور في ليكسيمونيا لقتاله وهزيمته كلية .

ولكن الآخرين الأكثر حكمة والذين يفهمون الاستراتيجية لم يقرؤا عملهم بهذه الطريقة قائلين: ان امتداد الأرض من نيكلي الى ليكسيمونيا كان منطقة مشجرة ، جبلية وذات شعاب وجروف تناسب رماة السهام ، حيث يمكنهم اتخاذ مواقع تمكنهم من اطلاق سهامهم علينا وعلى خيولنا في حين لانستطيع اصابتهم .

وعليه دعا الأمير السير غاليران وأمير كاريثانيا وأمير اكوفا اضافة الى كل القادة الآخرين ، وطلب منهم اسداء المشورة له حول كيفية العمل الواجبة ، وفي هذا قال بعضهم انهم يجب أن يبقوا في نيكلي وأن يحاصروا الروم في الأرض المحيطة بميسترا ، حتى لاتكون لديهم وسيلة للخروج والاضرار بالأراضي وأنهم يجب أن يتحكموا في الممرات ويحرسوا الأرض حتى لايمر قائد الملك لايقاع أي ضرر بأرض سكورتا أو أرغوس أو ميزاريا ، لأنه اذا كان لهم ان ينطلقوا من هناك ويتركوا الأرض مكشوفة وغير محروسة ، فان الرومان سيأتون ويهاجمون وينهبون وسيخربون الأرض ، والآن في النهاية لم يوافق الأمير والأكثر حكمة على العمل بهذه الطريقة ، قائلين مع الاحترام لسير غاليران والمرتزة لأنهم لم يجبوا طعاما لهم ولخيولهم عليهم أن يجدوا بعضه ليشتروه كما هي طريقة الجيوش .

وعليه أمر الأمير بأن تمون نيكلي بكل الأشياء التي تحتاجها القلعة ، وترك السير جين دي نيفليت أمرا لها ومعه مائة من الخيالة مع مائة من حملة الأقواس ومائة من حملة الدروع وثلاثمائة من

رماة السهام ليلبّقوا معه أيضا وليقوموا بأعمال الدورية في القرى ، وحقول نيكلي ، حتى فيليغوستي وأماكن في هيلموس (٦٧١٩ - ٦٧٦٢) حتى لا يمكن لأي من الروم أن يمر للاغارة أو القتال أو إيقاع أي ضرر بأراضي الفرنجة

وبعد أن نهض الأمير غوليوم بأعباء مهام حماية وحراسة أراضي نيكلي ، أخذ جيوشه وذهب إلى كاريتانيا حيث صرف كل جيوشه ، ورحل الكلامانيان وأهل أرغوس ، وأمير ميزاريا وأمير أكوبا ، وكذلك فعل السكورتينوا ، والجنود من المشاة والفرسان ، وذهب أمير كاريتانيا مع حاشيته مع الأمير ومعهم السير غاليران الذي كان نائبا للملك ، وذهبوا عبر المورة إلى كلارندسا (٨٦) وبعد أن وصلوا وعسكروا أمر الأمير بدعوة الحاجب اللوغوثيت (٨٧) والسير ليوناردو الذي كان من أبوليا ، وأمير كاريتانيا وقال لهم : « لقد رأيتم العطف والتشريف اللذان أبداهما الملك نحوي وارساله السير غاليران ومعه مرتزقة لمساعدة الامارة كلها . وعليه أقول أعطوني مشورتكم حول أي تشريف ونفع يجب أن ننحله ، لأنكم رأيتم بأعينكم أنه فقط بواسطة قواته ذهبنا نلتبس القتال مع قوات الامبراطور وقائده » .

وبعد أن أشاروا على الأمير غوليوم بالتشريف والمنفعة الواجب منحها له (كان يفكر على الأغلب في تشريف الملك) استدعى للمثول أمامه السير غاليران وقال له بصوت مرتفع في حضور الجميع : « أنت ياسيدي ، قد أرسلك الملك إلى هنا مع القوات التي جئت بها لمساعدة الأرض ، وهو الأمر الذي اعتبرته تمجيذا عظيما لي وفائدة لي ولقواتي ، وعليه أرغب يا صديقي وأتوسل اليك ردا للجميل مقابل التشريف الذي قدمه الملك لي ، أن تقبل مني منصب النيابة وأن تكون نائب الأمير الحاكم على الامارة ، نيابة عن الملك أولا وعني ثانيا لحكم أراضي في كل الامارة من أجل شرفنا وتقديمنا نحن وأنتم أيضا »

وعند سماع هذه الكلمات كان السير غاليران ميالا أن يعطي ذلك النوع من الجواب للأمير : أنه ليس بإمكانه أن يفعل هذا حيث أنه كان (٦٧٦٣ - ٦٨٠٥) يخطط ويتوقع أن يعود الى أبوليا ولكنه من جانب آخر فكر قليلا وقال لنفسه طالما أن الأمير قد عينه نائبا له على أرضه من أجل الملك ، فإنه شرفا كبيرا له ، فقال للأمير : « بأمرك ياسيدي سأقوم بكل ما تقول له لي بكل قوتي » وعليه أخذ الأمير على الفور قفازه وقلد السير غاليران نائبا على كل الامارة ، وأصبح نائبا للأمير لبقية فترة حياة الأمير غوليوم .

ولي وقفة عند هذه النقطة عما كنت أخبركم به ، وسأتحدث اليكم عن الملك شارل والحرب التي شنها على كونرادين ابن أخي الامبراطور فريديريك ، وأيضا ابن عم الملك مانفرد (٨٨) والآن بعد أن غزا الملك شارل مملكة أبوليا وصقلية وقتل الملك مانفرد في المعركة أبقى ممالكه في راحة وسلام ، وعندما سمع وعلم أحد النبلاء العظام من ألمانيا وكان يدعى كونراين ، وحيث أنه كان ابن أخي الامبراطور فريديريك وابن عم الملك مانفرد الذين أخبرتكم عنهم ، بأن الملك شارل قد قاتل بجيشه في الميدان ابن عمه ، وهزم الملك مانفرد واستولى على الولايات التي أرادها طلب بالحاح من قريبه أن يخرج في حملة الى أبوليا لقتال الملك شارل ، ولو أراد له الرب ربما أمكنه أن يثأر لابن عمه الملك مانفرد ، وعليه سافر عبر ألمانيا وطلب من كل القادة والأمراء الذين كانوا في حينه يحكمون ألمانيا أن يسـ

وأن يذهبوا معه الى أبوليا للقتال ضد الملك شارل وليثأروا معا للملك
سانفرد ، والآن وعده الجميع بأنهم سيساعدونه ، وأعطاه بعضهم
قوات وذهب آخرون معه ، وجمع قوات كثيرة من الجنود المشاة
والفرسان وخرج من أرضه هناك في ألمانيا وذهب الى لومباريا حيث
وجد الغيبلبيين المستبدين بالكنيسة ، والذين كانوا أعداء البابا
ودعاهم جميعا فذهبوا معه (٦٨٠٦ – ٦٨٥٢) راغبين متلهفين
للموت معه اذ كانوا يفضلون الألمان على الفرنجة ، وجمع جيوشا
كبيرة فاقت الحصر ، وبعد أن تجمعت جيوشه كلها ، قسمها الى

سرايا بشكل مستقل عن مشاته ، وخرج من لومباريا ناهبا الى ابوليا .

وهنا عند هذه النقطة ، سأتوقف عن الكتابة وأتحدث عن الألمان ، والجندي الشهير كونراين الذي كان كما أخبرتكم ابن أخ للإمبراطور فريديك عدو الكنيسة ، وبدلا من ذلك سأعود لأخبركم بالفعل الذي قام به الملك العظيم شارل عندما سمع وعرف بالتقارير التي كانت تتحدث عن أن كونراين كان قادما ليقاذه .

وعندما سمع الملك الشهير شارل أن كونراين كان يحشد الجيوش ليأتي ليشن الحرب ضده ، وحيث أنه كان جنديا من اللهاء في كل شيء فإنه لم يكن مهملًا لدرجة أن يقدره بأقل من قدره ، فأرسل بسرعة الى أخيه الذي كان ملك فرنسا ليساعده بالجيوش من أرضه ، من الجنود ذوي الخبرة ، الذين يمكن أن يساعده في حربه ، وعندما سمع الملك بذلك ، دعا أخاه الكونت أرتوا (٨٩) وأخبره بتلك الرسائل وأمره بأن يأخذ على الفور ألفين من الفرسان الراكبين من زهرة فرنسا وأن يذهب الى ابوليا لمساعدة أخيهما الملك شارل الشهير .

والى جانب هذا أرسل الى أرضه هو في بروفانس ست شواني (ملأى) وسفن شحن وسفن تجارية ، تنقل القوات مع خيولها والمؤن والطعام لهذا الجيش وعلاوة على هذا أيضا استدعى بابا روما بالغ القدسية ، عندما سمع وعلم بالروايات التي تقول بأن كونراين كان أتيا بالعديد من الجيوش ضد أراضي ومن الكنيسة استدعى الملك شارل وقال له : « يا بني الآن وقد علمنا وعرفنا أن كونراين قادم حقا لحرب الكنيسة ، فاني أعطيك السلطة لتأخذ من خزانة القديس بطرس حواربي كنيسة روما بقدر ماترغب وتأمر انها كلها تحت أمرك ، واستأجر الجيوش لنفسك بقدر مايمكنك أن تجد وأحم ممتلكات وأرض الكنيسة (٦٨٥٣ - ٦٨٩٠) »

وشكر الملك بالغ الحكمة البابا ، وانحنى بشدة أمامه وباركه البابا، وبعد هذا ، أمر بابا بالغ القدسية بأن تحرر الرسائل الى كل الممالك وأن يرسل الكرادلة والأساقفة مع بركاته مع طلب أن يقدم له الجميع المعونة ، وأن يرسلوا اليه الجيوش والقوات لتذهب في معية الملك شارل الذي كان يحمل لواء وصولجان الكنيسة ، لمساعدته وليحموا معا ارض وممتلكات كنيسة روما ، ولهم المباركة والعفو عن أي خطايا ارتكبوها من يوم ميلادهم كما لو أنهم قد نهبوا حقاً الى قبر المسيح لقتال الأعداء ، عروق البرابرة ، وأرسل له الجميع من كل الممالك الجيوش والعديد من المشاة ، والخيالة العبيدين .

وأرسل الملك العظيم شارل علاوة على ذلك رسالة الى امارة المورة ، الى الامير غوليوم يسأله بطريقة ودية أن يساعده بالقوات من أرضه وبالجيوش التي لديه (٩٠) وعندما سمع الأمير هذا اضطرب للرسالة ، لأنه كان خائفاً جداً من كونراين لأنه سمع بقوة وبأنه كان لديه جيوش كثيرة ، وقد يحدث بفعل الحظ السيء أن يكون النصر في جانبه ، ويفقد الملك شارل السيادة على أبوليا وعلى أي حال فإنه ما أن سمع بهذه الرسالة بعث الأمير برسالة الى القائد الذي كان تابعاً للإمبراطور في المورة ، وكان ممثلاً له ، وعقد معه هيئة وقف للحرب لمدة عام واحد ، على أن تبقى أرضه في راحة وسلام ، ثم استعد بعد ذلك ليأخذ معه أفضل وأحسن لابل زهرة المورة ، لقد أخذ معه أولاً أمير كاريثانيا وأخذ أيضاً معه أمير أكوفا الحاكم العظيم لشدرون ، والسيرجيوفري دي تورناي والفرسان الآخرين ويعودون ٤٠٠ وكلهم بخيولهم ، ولم يتأخروا (٦٨٩١ - ٦٩٢٦) وعبروا من الامبراطورية ونهبوا رأساً الى برنيزي ، ووجدوا كل ما ينقصهم من الخيل فاشتروه ، ثم ركبوا وخرجوا مسافرين حتى بلغوا بينفينتو ، ووجد الملك هناك (٩١)

وعندما سمع الملك وأبلغ بأن الأمير قادم ، خرج لاستقباله ، وحياه بلطف ، وتعانقا وأمسك الملك بيد

الأمير ، وعندما رأى القوات الرائعة التي جاء بها معه ، شكره بحرارة وابتهاجا ببعضهما بعضا ، ثم تكلم معه وأبلغه أن كونراين قد جاء وبخل أبوليا بقوة من وحدات عديدة ، كانت مساعدة له ، وراح يسأل في كل مكان وهو يبحث عن الملك ، والتمسه حتى وصل اليه وعندما اقترب الجيشان من بعضهما دعا الأمير (الذي كان خبيرا بأمور الحرب في رومانيا وبالكيد والمكر اللذان مارسهما الروم والأتراك والذان علماه بكل مايتعلق بشؤون الأعمال الحربية) كل من أرادهم وفكر ليسيروا وراءه ، وركبوا جميعا ونهبوا معه ، وسافروا وأخذوا طريقهم صعودا الى تل ليعرفوا ويلاحظوا ويستطلعوا قوات كونراين والجيش التي معه وبعد ان احصى عددها دهش جدا ودعا الفرسان الذين كانوا معه وقال لهم : « يارفاق تعالوا وألقوا نظرة اني أرى جيوشا رهيبة عديدة وشجاعة ، واقدر أنها ضعف مالدي الملك » .

وعليه أخذهم وعاد الى الجيش وبعد ان وصلوا ، انتحى الأمير غوليوم بالملك جانبا وقال له : « أعلم ياسيدي الطيب وأبلغك بأني قد نهبت الى مكان راقبت منه الجيوش وقوة القوات التي لدى كونراين ولكي احصيهم وأرى (٦٩٢٧ - ٦٩٦٦) اي جيوش عنده ، ولم أذهب وحدي حتى لاتؤنبني لقد كان معي جنود من الرجال ذوي الخبرة ومن الشواهد التي رأيناها وطبقا للأحصاء الذي أجريناه ، أقدر أن لدى كونراين من الجيوش التي رأيتها ضعف مالينا ، وبدت لي قواته رائعة وأقول الآن ياسيدي وهذا ليس سرا بالنسبة لك إن الألمان الآن في كل الدنيا لديهم قوات من الحمقى غير الجديرة بالثقة (٩٢) كلهم ، وعندما يذهبون للقتال في معركة ، لايتوفر فيهم الحماس ولاسلوك الجنود الجيدين ، وهكذا يدخلون المعركة كالمجانين ، حسنا وأقول لك ياسيدي اذا شئتم جلالتكم ، أننا يجب أن لانقاتلهم بالطريقة التي يقاتل بها الفرنجة ونخسر المعركة ، لأنهم أكثر منا بل لنقاتلهم بالمر والحصافة كما يقاتل الترك والروم في رومانيا فاذا فعلنا كما

أقول ، وبأملي من الرب والحق الذي في جانبنا أن النصر سيكون لنا » .

وتكلم الملك كجندي بالغ الحكمة وأجاب الأمير قائلا : « أعلم أيها الأخ الأمير ، يا صديقي وقريبي أنه لا يوجد شيء في عالمنا القائم اليوم من مكر أو حيلة أو مهارة مالم أمارسه ضد عدوي ، طالما أن ذلك يجعلني أهزمه واستولي على ولاياته ، وعليه حسنا يا قريبي الداهية ، طالما أنك قد اكتسبت الخبرة من حريك للرومان وتعرف أيضا الحيل التي يستعملها الأتراك هاك جيوشنا اليك بها وجهها كما تشاء » .

وعليه أجابه الأمير غوليوم : « ياسيدي طالما أنك تريد وتأمّر أن أفعل هذا ، وأن نتصرف بالمكر والحيلة ، اسمع أولا الخطة التي أقترحها ، فإذا بدت لك حسنة فاني سأرتب الأمر هكذا » .

وعليه بدأ في الكلام وراح يخبره أن الأتراك والروم ليسوا جنودا يقاتلون وجها لوجه كما نفعل نحن الفرنجة ، لأنهم ماكرون ويقاثلون بالخدع الحربية ، وحيث أنك تأمر بأن تعمل كما اقترح دعني أخبرك كيف سنعمل (٦٩٦٧ - ٧٠٠٧) إن هذه البلاد التي نحن فيها أرض غير مستقرة ، وليست سهلا مستويا للأعمال الحربية كما تجري في فرنسا وكل الممالك ولهذا السبب دعونا نفصل بعض القوات الخفيفة عن كل سرايانا ، ولتكن من الجنود الداهية ذوي الخبرة ولنزودهم بخيول خفيفة حتى يضربوا ويهربوا ولنوزعهم في ثلاث سرايا ، أو أربع ، ونوجههم لمهاجمة الألمان واعطاء الانطباع بأنهم سيقاثلون ، وهؤلاء بما أنهم متلهفون جدا في عملهم الحربي ، فإنهم سيواجهونهم بلهفة ، وعندها دعونا نسمح لهم بالجيء ، وعندما يقتربون جدا دعوهم يعطوهم الانطباع بأنهم يهربون ، ويذهبون رأسا نحو المعسكر وعندما يقتربون منه لا يدخلوه ، بل يتابعون ركضهم ويندفعون مارين الى الجانب الآخر ، وليكونوا دائما في صفوف متراصة حتى لا يتشتتوا ، إنني

اعرف بوضوح كبير الألمان واللومباردين كما أعرف أيضا المرتزقة ، إنهم حالماء يرون خيامنا والملابس والأشياء الفاخرة التي تضمها معسكراتنا فإنهم سيكفون عن تعقب قواتنا وسيدخلون المعسكرات ليستولوا على ملابسنا . ولنذفصل نحن الاثنان ياسيدي في فرقتين مع جيوشنا ولنوزع السرايا ولنضع الكمائن في أماكن مناسبة وأنا لا أحتاج إلا إلى قواتي التي جدت بها من الدورة لتبقى معي ، لأنني أعرفهم ، وعندما يرى مراقبوننا من على قمم التلال أن الألمان قد دخلوا المعسكرات ، ودشتت سراياهم في النهب ، لندهم يطلقون البوكسيني حتى تفهم قواتنا ، ونخرج من مخابئنا ونهاجمهم ، فتأتي أنت من جانب وأنا أيضا من الآخر مع الجيوش والقوات التي معنا ، وذلك السرايا الأربعة الخفيفة التي لنا ، وعند سماع البوكسيني سنحيطهم جميعا بنشاط وقوة وعندما نطردهم ونشتت سراياهم سيكونون بسهولة شديدة وبسرعة في خطر شديد » (٩٣) . (٧٠٠٨ - ٧٠٥٣)

وعندما انتهى الأمير غوليوم مما كان يشرحه ويخبر به الملك ، استمع له الملك ثم امتدحه جدا لأن ما أخبره له بدا مرضيا له ، والتفت إلى الأمير وقال له : « أتوسل إليك يا أخي أن توجه بأن يجري الأمر تماما كما أوجز لي ، لأنه يسرني كثيرا جدا . » وعندما سمع الأمير هذا دعا القادة وأما القلاع والقواد الذي كانوا يتولون قيادة السرايا ، ووجه هو الملك بأن توزع السرايا التي أخبركم عنها ، وانتحوا بالقادة والمقدمين جانبا وشرحوا لهم كيف سيتصرفون ، وأخذ هؤلاء القوات والسرايا الباقية وأخفوها في كمين ، وأخفي هؤلاء في النقاط الضرورية والمناسبة ، وكانوا من البارعين المهرة ، ثم انطلقت السرايا الأربعة ومضت رأسا لمهاجمة كونرايين .

وعندما علم كونرايين أن الملك كان قادما نحو معسكره لقتاله ، أمر بأن توزع سراياه ولتقاتل كل جنسية بنفسها ، وانطلقوا ومضوا لملاقاة الملك ، حسنا لو أنني كتبت لكم

بالتفصيل عن كل الأفعال التي جرت في تلك المعركة ربما مللتم من كثرة الكتابة ، كما أنني سأمل من كتابتها لكم مرتين ، ولكن كما سمعتموني أصفها بدقة لتوكم فإنه تماما كما شرحها الأمير غوليوم نفذها وحققها . والآن ، لقد جرت هذه المعركة في بينفنييتو حيث الأرض غير المستقرة ، بمنحدراتها وهادها التي بسببها كان الألمان مرتبكين ، لأنهم لم يكونوا يرون قوات شارل بوضوح ، فجأة انقضت عليهم السرايا الأربعة التي خرجت لخداعهم ، وظنوا أن الآخرين كانوا قادمين أيضا ولهذا السبب انطلقوا على الفور في مهاجمتهم بسرعة ولهفة كما هي طريقة الجيوش ، وحالما أصبحو على وشك الالتحام وتبادل رمي الرماح استدارت السرايا الأربعة للهرب ، وأعدوا أنفسهم للمضي رأسا إلى المعسكر ، وعندما رأى الألمان أن الفرنجة كانوا يهربون اعتزموا القتال وبدأوا في ملاحقتهم ، ولاحقوهم حتى وصلوا إلى المعسكر ، وتحلق الفرنجة حولهم (٩٤) ودفادوا المساكن (٧٠٥٤ - ٧٠٨٤) وأخذوا طريقا جانبيا ومضوا إلى ماوراءها ، وعندما رأى الألمان الخيام التي وقفت على أذرع فاخرة ، والملابس والمال ، تخلوا عن ملاحقة الفرنجة الذين كانوا يهربون ، وانقضوا على المساكن فدخلوها وبدأوا يتبعثرون للاستيلاء على الملابس والصناديق التي تحتوي على المال ويكسرونها ليأخذوا كل ما وجدوه فيها ، وبدأوا يتعاركون فيما بينهم ويتدافعون بأسيا فهم.

وإذ رأى مراقبو الفرنجة ، ما كان يفعله التيبديشي ٩٥ اطلقوا البوكسيني ، وفهم أولئك الذين كانوا مختبئين الإشارة وخرجوا من مخابئهم ، والأمير من جانب والملك من الآخر ، وأولئك الذين كانوا يهربون ، وقامت السرايا الأربعة بكرة راجعة نحو المعسكرات واحاطوا بكل الألمان من كل الجوانب ، ووصل الجنود المشاة ومع أقواسهم القاذفة وسهامهم ، وذبحوهم كما لو كانوا من الخنازير البرية ، ولم ينج في الواقع سوى القليل من الألمان ، ولكن نجا الكثير من القوسكان ومن اللومباريين أيضا لأنهم كانوا يعرفون البلاد ، وكان لآخرين أصدقاء أرشدوهم ، وأسر كونرايين وقطع

رأسه من قبل بعض الرجال من نابولي ممن كانوا خصوما له ، لأنهم كانوا مسرورين بحكم الملك ، وحملوا رأسه على طرف رمح وأحضروه الى الملك وقدموه له (٩٦) ولعن الملك مع أنه كان نبيلاً وعاقلاً بعنف وأسف بشدة وغضب من أولئك الذين قاموا بهذا الفعل ، وأعلن صراحة وسمعه الجميع إنه كان يريد ويفضل أن يفقد إحدى منيه من الأفضل بينها من أن يقتلوا كونراين لأنهم لو أخذوه حياً وهو يقاتل لأضفى عليه تشریفاً عظيماً ، لأنه (٧٠٨٥ - ٧١٣١) كان قبل كل شيء رجلاً نبيلاً وجندياً ، وقد جاء كجندي ليثأر لموت الملك مازفرد ، الذي كان ابن عم له ، ولم يكن يستحق أن يقطع رأسه ، والآن بعد أن انتهت المعركة ، أمر الملك أن يقسم أولئك الذين أسروا أحياء ويرسلوا الى القلاع ، ومن الغنائم التي كسبوها ، أمر أيضاً أن يأخذ كل واحد ما كسبه أي كان ، واحتفظ الملك لنفسه بخيمة كونراين وكان لها عشرة أعمدة والأسلحة الفاخرة ، والثياب والمال الذي كان في خيمته كحصاة له ولم يكن في حاجة لما هو أكثر ، وأمر بإعطاء سكن دوق كارنشيا (٩٧) وما كان لديه في خيامه من الأسلحة والأموال للأمير غوليوم كربح وحصاة له من المعركة.

وبعد أن منح الفوائد لكل جنوده وقسم غنائمه والأسلاب التي ربحها . أمر بصرف جيوشه وذهب كل رجل الى حيث جاء واستبقى الأمير وأخذه معه وذهب الاثنان الى نابولي رأساً ، وقال الأمير غوليوم أنه سيرى الملكة ، وأيضاً ابنته إيزابو ، التي تزوجها ابن الملك ، وبعد وصول الأمير والملك الى نابولي كلاهما ، بدأ الملك يتحدث مع الملكة وطلب منها أن تمتدح الأمير وتمجده ، لأنه بحكمته واستراتيجيته ربح المعركة وانتصر على أعدائه الألمان ، وشكرت الملكة النبيلة الأمير وأضفت عليه تشریفاً كبيراً وقدمت له الهدايا ، ومجد الملك بدوره الأمير مثل هذا التمجيد وقدم له الهبات مما أدهش الجميع واستبقاه معه وسط احتفالات عظيمة لنحو ثمانية عشر يوماً أو إذا شئت اثنان وعشرون يوماً ، وكانت لديه

رغبة كبيرة ليدقيه ندو شهر أو اثنين إذا شئت حتى يفرحا ببعضهما بعضا (٧١٣٢ - ٧١٨١) .

وبعدها جاءت الرسائل الى الأمير من المورة بأن خصومه الروم المتبرين قد حذثوا بقسمهم ، واستأنفوا الحرب وتخلوا عن شروط (الهندة) التي عقدوها معه وبسماع هذا ذهب الأمير الى الملك وطلب الآن بالذهاب الى المورة حتى لا تتعرض أرضه للخطر وتعاني من الضرر ، وعندما سمع الملك بهذا لعن وشتم بعنف ولأنه عرف وعلم كما هي الحقيقة فعلا أنه كان بناء على توجيه أمير المورة كسب المعركة مع كونرايين مع بقاء سلطته على مملكة أبوليا (التي أراد أولئك الألمان ، والغيبيليين ومعهم التوسكان واللومباريين الاستيلاء عليها) ولأنه أدرك أن الأمير قد انفق كثيرا جدا على القوات التي جاء بها في ذلك الوقت من المورة للمساعدة والخدمة ولعونه ، أمر بأن يعطى من الخزينة قدرا كبيرا من الثروة ، من المال والذهب والفضة ، وأعطاه مائة من أفضل الجياد . ومع ذلك أعطاه أيضا خمسين رجلا مسلحا مع جيادهم وكلهم من نخبة الجند ومائتين من حملة الأقواس والسهام وكانوا كلهم مأجورين بأجر ستة أشهر ، إضافة الى الجند والفرسان ، ليأخذهم الى المورة ليقفوا معه ليساعدوه على حرب الروم المتبرين ، الذين لم يتمسكوا في حياتهم مطلقا بالصدق أو القسم ، وعليه بعد أن نظم أمير المورة كل الأشياء التي أعطاها الملك له : القوات والأسلحة والخيول ، والخيام والأموال ، غادر نابولي وذهب الى برنيزي حيث وجد السفن مستعدة ، كما أمر الملك ، فصعد الى ظهورها مع قواته ووصل الى كلارنتسا في اليوم التالي .

وعندما سمع كل الموريون أن الأمير قد وصل الى كلارنتسا مع الجيوش والقوات التي كانت معه صحيحا معاني ولا ينقص منها أحد . سعيهم الغنائم وثروة مرعبة كسبوها في المعركة التي خاضوها مع كونرايين ، انتهى انجميع على الأمير وعلى البابا المقدس ، وأقام كل الناس في المورة احتفالا كبيرا وأظهروا إخلاصهم للأمير وقبادة

الفرسان وابتهج كل واحد بصديقه أو قريبه ، وحمد الجميع الرب عندما رأوا أنهم عادوا.

وطلب الأمير أن يعرف الحقيقة حول كيف توفرت الذريعة التي أدت إلى خرق السلام ، وأخبره أولئك الذين كانوا يعرفون أنهم قد بدأوا الحرب وأصبحوا حائشين بالقسم الآن ، وكان بعض الناس قد أخبروهم وهم يتمنون أن يكون هذا صادقا ، بأن الأمير قد قتل في المعركة التي خاضها الملك ضد الألمان (٧١٨٢ - ٧٢١٧) وعليه أجاب الأمير قائلا إن الذرائع لا تنقص أبدا الرومان الكفار ولأنهم منخبون بالحنث بالقسم فإنهم منخبون بنوايا شريرة أخرى ، وعليه استدعى الأمير ، أمير كارتانيا وقال له : يا ابن أخي الطيب ، خذ معك الفرنجة الذين احضرناهم معنا من أبوليا والذين كافأنا وساعدنا بهم الملك حتى يساعدونا ويحاربوا الرومان معنا وليكونوا معك في سكورتا على طول الجبهة ليحرسوا أرضنا وليربكوا الرومان.

وعند سماع ذلك وافق السير جيوفري أمير كارتانيا عليه بحرارة ، وبدأ له الأمر مغريا لأنه فكر ورجا أنه بهذه القوات سيلحق الدمار بالروم ويحمي أرضه (٩٨) وأخذهم ونهبوا إلى أرض سكورتا ، وهناك وجههم أن يستقروا ويتخذوا مواقع لهم في القرية التي تدعى أراكوفا العظيمة (٩٩) والتي تمر عبرها جبهة سكورتا ضد الروم ، ليقاتلوهم ويحموا الأرض. وعليه حدث ربما بسبب الخطيئة أنه قبل مرور شهر أو شهرين وربما بسبب المياه الباردة في تلك البقعة أصيبوا جميعا باضطرابات معدية وتوفي معظم الفرنجة الذين كانوا في مدينة أراكوفا ، ولم يجد أمير كارتانيا راحة ، حيث أنه أخذ كثيرا ممن بقوا ممن كانوا أصحاء بدرجة كافية لحمل السلاح والركوب ومضوا إلى المعركة ومرة تلو الأخرى كانوا يواجهون الروم ويلحقون بهم قدرا كبيرا من الدمار.

وعليه بسبب خطيئة الأرض حاق بفرنجة المورة في ذلك الوقت

النحس وسقط أمير كارتيناينا الشهير صريع مرض رهيب وخطير وانتصرت طبيعة الانسان وأخذ الموت ، أنظروا الضرر العظيم ، الذي حل (٧٢١٨ - ٧٢٥٣) بالمورة في ذلك الوقت وماتتبعه من حزن عظيم ، وحزن الأمير أيضا عليه وبكاه الجميع صفيهم وكبيرهم ، واأسفاه على المصاب الفادح الذي ألم بالمورة في ذلك اليوم ، ومن الذي لم يحزن؟ لقد كان للايتام أبا ، وللأرامل زوجا وكان أميرا وحاميا لجموع الفقراء ، لقد حمى كل الناس من الظلم ولم يدع فقيرا يعاني من صعوبات سوء الحظ ، ولا رجلا جديرا أن يحيق به الفقر ، أنظر سوء الحظ الذي وقع في ذلك اليوم ، أن يذهب مثل هذا الرجل والجندي الشهير ويبيت كل من أحبوه ، حسنا كما حدث لسوء الحظ ، أنه لم يكن له وريث ، فلم ينجب ولدا من صلبه ، ليتركه ليرث القلاع والمقاطعات التي كان يملكها في المورة ، وفي شعاب سذكورتا والأماكن الأخرى قسمت الأرض قسمين ، أخذ الأمير واحدا لأنه كان صاحب السلطة وأخذت الآخر زوجته كمهر وكان مستحقا لها (١) ، والآن كانت هذه النبيلة أخت السير غوليوم ، دوق أثينا ، وكان يدعى الأمير العظيم ، وكان اسمى من الهيلينيين (٢) والآن بعد أن مر بعض الوقت ، الشهور والأيام ، أرسل الأمير العظيم الى مملكة أبوليا مبعوثين حصيفين الى كونت بريين ، وكان يدعى السير هورغ وكان كونت ليكس وعقدوا اتفاقا أن يأخذ (أخت الأمير العظيم) السيدة كارتيناينا زوجة ، وبعد أن توصلوا الى هذا الاتفاق قام الكونت بالعبور ونهب الى المورة ، الى مدينة اندرافيدا ونهب الأمير العظيم أيضا إليها من مدينة طيبة ، وعندما التقيا توصلوا الى تفاهم مع بعضهما بعضا ، وأرسل الى سيدة كارتيناينا ، فجاءت ، وهناك (٧٢٥٤ - ٧٢٨٤) تزوجها الكونت هورغ بريين ، وبعد أن أنصرف الى القلاع والمكن التي كانت له في المورة من النبيلة ، أخذها وقاما بالعبور ونهبا الى أبوليا ، ولم يمر وقت طويل كما أراد الأمير قبل أن تحمل النبيلة من الكونت هورغ وتلد ابنا رائعا ، سمي غوتير ، أصبح مولعا بالسلاح والغزوات وشهيرا ومحمودا من كل ممالك الغرب (٣) ، وبعد فترة من الوقت تسوفي السيرغي دي

لاروش ، الملقب بالأمير العظيم ، ودوق أثينا وانتقلت أرضه
بوسلطة الى الكونت غوتير ، ابن الكونت هورغ ، الجندي الجدير
بالبثاء الذي أتحدث لكم عنه ، وكان ابن عم للسير جيوفري ، وهكذا
جاء وتسلم الميغالومريت ، وأصبح دوق أثينا وأميرا بالوراثة وهكذا
وجد في ذلك الوقت أن الكاتالان الذين كانوا يعرفون في ذلك الوقت
الصحبة (العظام) (٤) قد جاءوا الى هالميروس ، حيث جاء بهم
دوق أثينا السيرغي بتوقع وبالاتفاق على أنهم سيذهبون الى
المورة ، ويفزون الأرض ويستولون على الامارة من أجل
زوجته ، التي كانت الوريثة والتي كانت تدعى ماهوت - وكان
أمير تارنتو يمسك املاكها ، امارة أخيا بطريقة غير مشروعة
(٥) وعندما وجد الدوق السير غوتير أن الصحبة قد جاءت وكانت
تصحب معها ألفا وأكثر من الترك (٧٢٨٥ - ٧٣٠٩) توصل الى
اتفاق معهم مع معاهدات عظيمة لشن الحرب على رومانيا
والاستيلاء على ولاشيا ، وحالما استولوا على قلعة دوموكس ، حل
بينهم النزاع والقتال العنيف ، واعتذر الكاتالانيون في خدوع
للدوق ، ولكنه بالفطرسية التي من شيم الفرنجة وبناء على المشورة
الفاصلة التي اعطاها الآخرون له تولى حاربهم وخسر
المعركة ، وأسر خلالها وقطعوا رأسه وأخذوا أرضه وما زال
الميغالوكريت ، والصحبة اليوم أمراء فيها ، ووقعت المعركة في يوم
الاثنين الخامس عشر من آذار من السنة الجارية من السنوات
٦٨١٧ منذ خلق الكون وفي الخمس عشرة الثامنة (٦) .

وسأدوقف هنا عند هذه النقطة عن الكلام والكتابة حول كونت
بيرين ، الذي كان دوق أثينا ، وسأخبركم بقصة أخرى ، حول ما
حدث خلال الوقت الذي كان فيه الأمير غوليوم في السجن في
القسطنطينية ، وأطلق سراحه بناء على الاتفاقات التي أبرمها في ذلك
الوقت والتي سمعتم بها في الحقيقة في هذا الكتاب ، والآن في ذلك
الوقت ، اعطى كرهينة لدى الامبراطور أخت خدرون
(٧٣١٠ - ٧٣٢٦) وابنة أمير باسافا ، الذي كان مارشالا عاما
للإمارة كلها (٧) .

حسنا وبينما كانت هذه الشخصيات النبيلة رهينة مقابل الأمير هناك في القسطنطينية حدث أن توفي أمير اكوفا (٨) ، السير غوتبير روربير ، ولم يكن له وريث من صلبه سوى ابنه المارشال جين دي باسافا ، الذي كان قد اتخذ أخته زوجة شرعية له ، وأنجبا ابنة كانت تسمى مدام مرغريت (٩) ولأنها كانت رهينة في ذلك الوقت في المدينة (وضعها الأمير هناك في مكانه) ، ولم يتصاف وجودها في المورة ، ضمن الشروط بأن تذهب الى الأمير لتسلم منه اقطاعية اكوفا التي كانت وريثة لها .

واحتفظ الأمير بالاقطاعية لنفسه ، وعندما عانت النبيلة مدام مرغريت من حيث (٧٣٢٧ - ٧٣٦٣) كانت رهينة مقابل الأمير غوليوم وراحت تطالب بالاقطاعية اكوفا اجابها الأمير بهذا الجواب : إنه بعد مرور السنة ويوم من وقت امتلاكها لهذه الاقطاعية ولم تأت الى محكمته للمطالبة بها ، كما تشترط اعراف الارض وعاداتها ، فإنها تفقد ما ملكته ايا كان وانه لن يعطيها شيئا (١٠)

وعندما سمعت النبيلة هذا دهشت ، لأنها لم تتوقع مطلقا ان تجد لدى الأمير مثل هذا الجواب الذي اعطاه لها ، لأنها كانت في السجن كرهينة من أجله ، وفي الحقيقة انه هو نفسه ، قد وضعها هناك ، وهي لم ترتكب عملا شريرا ، لأنها لو كانت في المورة مرتاحة لما وقعت مطلقا في ارتكاب خرق للعادات ، ولكن حيث أن الأمير قد وضعها كرهينة وسجينة من أجله ، فانها لم تتوقع أن يقدم على مثل هذا الخداع وتلك الذرائع وذلك الجواب ، ومع ذلك عندما أبركت السيدة مرغريت وأولئك الذين كانوا مؤيدين لها ومشاورين أن أمير المورة لن يعيد حقا اليها ، غارت وعانت حزيمة الى بيتها ، والآن وبعد مرور وقت قصير ، شهر وأكثر ، عانت النبيلة فذهبت الى الأمير مع المشورة والرفاق الذين كانوا معها وطالبت بقلعة اكوفا وجوارها وكل البارونية وقامت في الحقيقة بالمطالبة الثانية

والثالثة ، وكان الأمير يعطيها الجواب نفسه واتبع خط السلوك نفسه كما في المناسبة الأولى .

وعندما سمعت السيدة مرغريت جيدا أنها لن تجد مطلقا حقا لدى الأمير طلبت من كل أصدقائها وأقاربها أن يشيروا عليها كيف تتصرف حتى لا تفقد حقها وتحرم ، وهؤلاء الاحكم الذين كانوا يحبونها أشاروا عليها بالزواج من رجل عظيم (٧٣٦٤ - ٧٤٠٩) داهية وذو نسب رفيع ، وهو بحكمته ومع أقاربه سيمكنونك من حق الانتفاع بممتلكاتك ، ، ووافقت البارونة الحكيمة في الحقيقة وقبلت الزواج ، وعليه عمل القادة في عائلتها معا فتزوجت زوجا نبيلًا ذا نسب رفيع وهو أخو النبيل السير نيكولاس دي سانت أومر وأمير طيبة، وكان السير جين أيضا يحمل اللقب نفسه دي سانت أومر وكان لها أخ ثالث يدعى السير أوثنون ، وعندما تزوجها حصل على لقب مارشال قابل للتوريث ، وكان هذا في الحقيقة من توابع تلك المرأة ، وكان آل سانت أومر من ذوي النبالة الرفيعة ، وكانت أمهم الأخت الشرعية لملك هنغاريا وأباهم السير بيلا وكانت هي الزوجة الشرعية ، وأنجب هذان الاثنان معا هؤلاء الأمراء الثلاثة وكان لوق اثينا الأمير العظيم ثلاثة أخوة آخرون ، وكانوا أبناء عمومة مباشرين لآل سانت أومر أي ان قرابتهم كانت من الدرجة الأولى (١١) ، وبعد أن تزوج السير جين من السيدة النبيلة مرغريت ، لم يرغب بأي طريقة أن تتأخر مسألة أكوفا وأن لا يطالب بها في محكمة أمير المورة ورجا أخوته وذهبوا معا ، ووصلوا الى المورة ، وذهبوا مباشرة الى كلارنتسا ، وهناك وجدوا الأمير مع قائده ، وقد عقدوا برلمانا لمعالجة قضايا معينة كانت لديه وأمضوا يومين دون أن يتقدموا بأي طلب ، ولعبوا واحتفلوا مع الموريين (١٢) . حسنا ومضى يومان وجاء السير جين مع أخويه ، من آل سانت أومر ومع زوجته التي كانت الوريثة ، وذهبوا الى حضرة الأمير ، وقدمت نفسها كوريثة لكل أملاكهم ثم قدمت زوجها كوكيل وزوج ، كما تفترض العادات ، (١٣) وفي هذه اللحظة قال السير جين له على الفور : أيها الأمير سيد المورة ، أطلب وأتوسل اليكم وأنتم أميرنا ، وأنا

وريث ، أن تأمر بجمع قادتك ، وقادة فرسان المورة والفرسان التابعين ، ليسمعوا معك ما سأطلب به وأن تحكم (٧٤١٠ - ٧٤٥٢) لي بالعدل لأحصل على القرار الذي أريد بموجبه أن أنال الحق طبق أعراف المورة وأنا لا أطلب أي محاباة ، بل أطلب حقي .

وعليه أجابه الأمير بنفسه وقال له : « بكل سرور ، وطالما أنك تطلب الحق فاني مستعد أنا ومحكمتي كي نمن به عليك » .

وأمر الأمير على الفور قادة الفرسان وأيضا التابعين من الامارة بالمجيء ، وجلسوا معا جميعا في سانت صوفيا ، حيث كان الأمير يقيم في اندرافيدا ، وبناء عليه نهض الأمير المسن السيد نيكولاس دي سانت أومر وأمسك بيده اليمنى أخته ، وزوجة أخيه ، السيدة مرغريت وقال للأمير : « ياسيد المورة ، إنه الحق الذي يعرفه كل واحد في الامارة ، أن أختي التي تقف هنا في حضرة سيادتكم ، هي ابنة أخ أمير أكوفا ، السيد غوتيير ولقبه دي روزيير ، وأختي هذه هي ابنة أخته ، وحيث أنه توفي دون ولد يكون وريثا له من بعده ، فإن الأرض وقلعة أكوفا آلت الى أختي ، وهي الوريثة ، وكما تعرف ياسيدي ، انها كانت رهينة عنكم في القسطنطينية - وأنت الذي وضعتها هناك بنفسك ولم تكن هنا خلال فترة السنة التي تلت وفاة أمير أكوفا ، حتى تأتي وتقدم نفسها الى حضرتك ، كما هو مشروط في أعرافنا في كل الامارة ، خلال الأربعين يوما وخلال العام ، وهي حقيقة لم تخطئك ، ولم تخطيء هي أيضا بأي شكل ، حيث أنها كانت في السجن ، حيث وضعتها وقد وضعتها رهينة وخرجت أنت من هناك .

وعندما أطلقت سراحها وجاءت الى الأرض هنا ، فهمت في الواقع على الفور وجاءت الى حضرتكم (١٤) كوريثة شرعية لأكوفا ، وقدمت نفسها اليكم وطلبت الحق منكم ، وأجبتموها بأنه لاحق لها ، واستمرت في الرجوع اليكم مرات عديدة وهي تطلب

الحق منكم ، ولم تعقدوا لها مطلقا محكمة ، ولكنكم بنفسكم فقط كنتم تقولون بأنه لاجق لها وهي كامرأة بدون من يشر عليها وبلا أصدقاء عادت الى بيتها يائسة ، وانتظرت أن يأتيها العون (٧٤٥٣ - ٧٤٩٥) من الرب واليوم برضى الرب ، تزوجت رجلا نبيلًا ذا نسب عظيم ، يمكنه هكذا أن يحمي حقها ، كما يليق بأي رجل نبيل أن يفعل ، ولهذا السبب مثلاً أمام سيادتكم وجئت أنا ، أخوهم ، لأقدمهما كليهما لكم ، الواحد كوريث والثاني كوكيل عنها وهما يلتمسان حقهما ، وأنا أطلب منكم وأتوسل اليكم ، أن تمنحوهما الحق المتوجب لهما وتعطوهما حق المنفعة في القلاع والولايات في أراضي أكوفا . وهم مستعدون كي يقدموا لكم ما هم مدينون به من خدمات وولاء وتحالف « (١٥)

وعليه أجاب الأمير بنفسه وقال للسير نيكولاس دي سانت أومر : « لقد استمعنا بدقة كما فعلت محكمتنا ، للكلمات التي نطقتم بها ولقضيتكم ونشهد ونعلن بأن ما قلتموه حق وأنه في ملاحقتي وفي قضيتي ، فقدت أختكم النبيلة وحسرت مبن أملاكها واقطاعتها ، أرض أكوفا . وعليه أجيبكم ، وأسألكم إذا ما كنتم ، تطلبون منا أن نعطيكم الحق حسب القانون أو أن تطلبوا منا منحة أمير أو حكمته ، لأنها أعيتت بسبب قضيتنا حتى لم تكن معنا في أمارتنا وهي مرتاحة خلال المهلة المشروطة في أعرافنا لتجعل طلبها صحيحاً وتلتمس الحق »

وعليه أجاب السير نيكولاس وتوجه الى الأمير بهذا الجواب : « سيدي أمير المورة اتوجه لسيادتكم اذا كان لي الحق أن أعرف أن أختي التي هنا لم تطلب بحق ، القلعة والولايات ، وأرض أكوفا ، ثم أنه مما يناسبنا أن نطلب منة ، ولكن في هذه الحالة إن طلب الحق صحيح ، كما تعرفون أنتم لأن أختي كانت محتجزة في السجن بدلا منكم ولم تكن قادرة بأي وسيلة على أن تخرج من هناك لتأتي وتتقدم للمطالبة بأملاكها في أكوفا . وعليه فاني لا أطلب منكم منة بل حقا فقط كما يتطلب القانون ويقضي (٧٤٩٦ - ٧٣٥٢)

وبناء عليه أجابه امير المورة ، وقال للسير نيكولاس دي سانت أومر : « طالما أنه لاجاجة لمنه مني ، وتريد المطالبة بالحق أمام محكمتي ، فأني أعلن وأشهد لك ، وأؤكد صدقا أن الشر سيحيق بي من الرب كما سيلحقني لوم كل الناس اذا حرمتك من هذا ، وعليه أريد تسوية الأمر باهتمام وتفريق وطبقا لأعراف الأرض حتى لا أرتكب خطأ يلومني عليه الرب والقديسون وكل الناس ، وأريد من قادة الفرسان والأساقفة والفرسان الأتباع في كل الامارة أن يجتمعوا حتى أقدم لهم القضية حتى يحكموا فيها بخوف من الرب طبقا لأعراف المورة ، التي أعطاهام الامبراطور روبرت لأخي المبارك الأمير جيوفري عندما عقدا اتفاقا وجعل منه صهرا .

وعليه أمر الأمير بكتابة الرسائل لكل قادة الفرسان في كل الامارة وللأساقفة أيضا والفرسان وجاءوا وتجمعوا في كلارنتسا ، ودخلوا كنيسة سانت فرانسيس في (دير) المينوريت وجلسوا للحكم ، كما هو العرف ثم قال الأمير للسير نيكولاس : « أريد أن أعرف منك من هو المحامي الذي يلزم أن يتحدث عن أختك ، ويقدم الدعوى ويخاطب المحكمة » (١٦) وأجابه أنه هو نفسه الذي سيتكلم ويجب على كل مايخص المحاكمة حول مسألة قلعة أكوفا ، وأجاب الأمير على هذا قائلا : طالما أنك تتعهد بأن تكون المحامي في هذه المسألة المتعلقة بالسيدة مرغريت فحبا لك ولصحبك ، سأصحبك وسأعين نفسي محاميا للدفاع والمحافظة على حقوق المحكمة (١٧) (٧٥٣٣ - ٧٥٧٨) .

وعليه استدعى الأمير المحكم وكان اسمه السير ليونارد وكان من أبوليا (١٨) وكان رجلا حكيما جيد الثقافة والعلم ، وكان يتخذ منه صديقا مؤتمنا وعنصرا رئيسا في مجلسه وأعطى الصولجان والعصا للذان كان يحملهما في يده كما هي العادة بين القادة والأمراء في كل أنحاء الدنيا ، وقال له : « إنني أسلمك السلطة التي أملكها حتى تقف في المحكمة لتحكم وتحافظ على الحق بالقانون

وبالمشورة والرفعة الموجودة هنا في هذه المحكمة ، واني أضعك أمام قسمك بالمسيح وأمام نفسك أنك انت وكل الذين يجلسون معك هنا في المحكمة سيحافظون جيدا على حق النبيلة السيدة مرغريت وكذلك على حق المحكمة»

ثم تولى السير نيكولاس وصف وتلخيص مسألة أكوفا ، وكيف أن السلطة على هذه الممتلكات انتقلت الى المارشالة السيدة مرغريت كما سمعتم هنا أعلاه في كتابي مما لا أمل للكتابة عنه لكم مرة أخرى لأنه سيكون مزعجا وسيتعبكم جميعا .

وعندما أنتهى مما كان عليه قوله ، بدأ عندئذ الامير بدوره ، الكلام ليقدم الأسباب والأعذار والدفاعات والبيانات ضد ما أعلنه وقاله السير نيكولاس كما هو معروف في الدعاوى القانونية وفي كل المحاكم حيث يعلن كل انسان مايعرفه أنه معالجة ، وبعد أن قالوا الكثير وكثر الكلام أمر الأمير بأن يقدم الكتاب الذي دونت فيه أعراف الأرض فوجدوا فيه مكتوبا الفصل الذي يشرح بالتفصيل ويفسر أن التابع ملزم بأن يفعل مايلي : اذا حدث أن أسر أميره من قبل عدوه واحتجزه في سجنه مقيدا بالأغلال ، فإن السيد (الأمير) قد يتطلب منه (التابع) ويطلبه أن يدخل السجن كرهينة عنه ليحرر سيده من الأسر ، ويطلب منه بموجب الأعراف وطبقا لما يفرضه القانون أن يذهب بنفسه الى السجن بشخصه ، وعليه فإن أميره ملزم بدوره بأن يعمل على اطلاق سراح (٧٥٧٩ - ٧٦٢٢) تابعه من السجن الذي دخله بدلا منه (١٩)

وكان كل من كانوا في المحكمة في ذلك الوقت ميالين للرأي التالي وقالوا بحكمة كبيرة بأن المارشالة كانت مخولة بأن تحصل على الأملاك ، وارااضي قلعة أكوفا ، طالما أن الأمير بنفسه قد أرسلها وكانت رهينة في سجن المدينة بدلا عنه ، وعندما قدم الأمير كتاب القانون توقفوا وتمسكوا حصرا بهذا الفصل ، فقد بين

بالكتاب ، وبأعراف الأرض أنه بالحق الملزم كانت مرغريت ملزمة بهذا الفعل ، وأنه لم يخطئ بأي شكل معها ، لأنها في الحقيقة لم تظهر لتطالب بحقها في الأملاك ضمن المدد المشروطة بموجب الأعراف .

فالتزموا مرة أخرى وعادوا فقالوا حيث انها كانت ملزمة بهذا العمل دخول السجن لأن سيدها الذي تتبعه قد طالبها بذلك وهو ماتقضي به الأعراف ، ولم يتصاف وجودها في المورة ضمن المدد المحددة للظهور في حضرة الأمير لمطالبته بالحق وانقضت تلك المدد ، فقد فقدت حقها ، وأعطوا القرار بأنها قد سعت بدون طائل .

ودعوا الأمير والسيد نيكولاس ومثل الاثنان أمام المحكمة وتكلم المحكم وهو من رجال الأمير موجه الكلام اليهما والقي الخطبة ، حول كيفية اتخاذ المحكمة للقرار وما انتهت اليه طبقا للقانون ، وبين لهما بالتفصيل الحق والأسباب التي أدت الى ربح البلاط لقلعة أكوفا مع ولائها والمقاطعات المحيطة بها، حسب أعراف المورة وكما يقضي القانون .

وبسماع هذا شكر الأمير كما هي العادة في المحاكم ، المحكمة لربحة القرار ، ولكن المارشال السير جين لم يكن ليقدّم شكره بأي طريقة ، وبعد ذلك طلب النبلاء وقادة الفرسان من الأتباع الأذن بالرحيل وأعطاهم الأمير الأذن بذلك ، وغادر كل منهم الى حيث يريد ويرغب وهكذا تفرقت المحكمة وذهب كل منهم الى حيث يحتاج ان يذهب .

وبعد ذلك استدعى الأمير المحكم وقال له سرا بحكمة كبيرة « أقسم لك أيها المحكم (٧٦٢٣ - ٧٦٧١) بحضوركم ياسيدي بدا لي هذا الحكم الذي صدر محزنا ، وأن النبيلة السيدة مرغريت قد جرت من القلعة والاقطاعية وتوابع أكوفا كما وأخشي حقا

وأعرف أنه صحيح لأنني وضعتها في السجن حيث كانت ، ولهذا السبب لم تجد الفرصة لتكون هنا خلال المدد والفترات التي كان يفترض أن تأتي خلالها وتمثل في بلاطي للمطالبة بأقطاعية أكوفا التي كانت من أملاكها ، وسأخبرك كيف حدثت هذه الخطيئة ، ففي الوقت الذي أتوا الي فيه وأخبروني بأن أمير أكوفا كان يموت (ولأن السيدة مرغريت كانت في السجن وهي التي كانت ستؤول اليها الأملاك لأنها كانت وريثته وابنة أخته) دفعتمني نزوة الى تناول الكتاب ، ذلك الذي دونت فيه أعراف الأرض ، وتصادف أن وجدت الفصل الذي يبين ويثبت ، ويذكر ويفسر بأن الانسان التابع أيا كان هو ملزم بدخول السجن ، اذا طلب منه سيده ويفسر ذلك من أجل أن يتحرر هو نفسه من السجن ، وبعد ذلك يكون هذا السيد ملزم بتحريره من أسره في هذا السجن ، وكما افترضت وكما وجدنا في القانون ، حيث ان المارشالة كانت في سجن المدينة رهينة عني ولم تكن قادرة على الظهور في محكمتي ضمن الفترات المشروطة بموجب القانون ، فانه كان حقا أن تحرم وأن تفقد أملاكها ، ثم ابركت وقلت في ذهني أنها طالما أنها كانت في السجن بدلا مني وأنها فقدت الأملاك التي آلت اليها فان الذنب واللوم يقعان علي مع ذلك ، ولهذا السبب وصلت الى قرار وفيه أن أترك لها نصف البارونية وأن أعطي النصف الثاني لمرغريت ، ابنتي الاصغر لتكون ملكا لها ، وقد رأيت أن آل سانت أومر قد جاءوا الى هنا في تبجح وتعال وغطرسة كبيرة ، وبدا هذا مؤسفا لي ، وغضب قلبي ولهذا السبب سألت السير نيكولاس في ذلك الوقت مالذي كان يلتمسه في بلاطي ؟ هل هو المنحة أم الحق ؟ فأجابني بغطرسة كبيرة بـ «لانه لا يريد ان يتلقى مني أي منحة بل الحق فقط ، الذي يخص السيدة مرغريت ، ولهذا السبب أمرت بأن يؤتى بالكتاب الذي يحوي قانون المورة والذي دونت فيه الأعراف حتى نحاكم بها ، فقد تذهب بذلك غطرستهم لذا أحلت الأمر الى (٧٦٧٢ - ٧٧.٤) حكم القضاء »

حسنا والآن وقد حكم اتباعي بموجب القانون بتجريد السيدة مرغريت ، أريد أن أنعم عليها بمنحة ، تعرف لدى كل من يسمع بها وللذين لديهم الحكمة والمعرفة وفي هذا المجال لدى معرفة بما هو مكتوب في السجل (٢٠) ان بارونية أكوفا بكل توابعها تعادل استحقاق أربع وعشرين فارسا ، وعليه أريد منك اذا كنت تحبني أن تدعو كولنيت وهو المسؤول عن تسجيل المنح الاقطاعية لكل الامارة ، ودع الشيوخ في بارونية أكوفا يحضرون وليجلبوا معهم المحاضر التي يملكونها (٢١) وقم بهذا التقسيم لكل البارونية : اقسم ثلثا وأختر الأفضل له ، وعندما تصبح الحصص ثمانية أريد خمسة منها كلها من الأفضل ثمنا من الأرض ، وأفضل الثلاثة الأخرى عن الأولى بالعائدات وأجعل لي مزية فرنجية مكتوبة تخولني منح هذه الحصص من أكوفا وهي في الحقيقة ثلث البارونية للسيدة مرغريت كمنحة وهدية جديدة لها ولأولادها (٢٢) .

ونفذ المحكم على الفور وبلهفة كبيرة أمر الأمير ، ووضع المحكم بنفسه الخاتم على هذا الامتياز وأحضره الى الأمير وقدمه له ، وقرأه الأمير وبدا له سليما ورفع ملاءة سريره ووضعها تحتها وقال للمحكم : « اذهب بنفسك وأحضر السيدة مرغريت هنا وقل لها اني في حاجة اليها وأود أن أتحدث معها » وذهب المحكم اللوغوثيت على الفور وأحضرها ، وعندما جاءت المارشالة قال لها الأمير : « اني استحضر الرب كشاهد (٧٧٠٥ - ٧٧٤٩) علي يا ابنتي الطيبة على الرغبة والنية اللتان شعرت بهما نحوك ، وأنا أقدم لك عملا على سبيل الجمالة والمنحة بالنسبة للأملاك التي كانت ستنتقل اليك بارونية أكوفا ولهذا سألت الشيخ السير المسن نيكولاس ذلك الوقت عندما جئتم الى المحكم : ماذا كان يفضل ويريد مني الحق أو المنحة ؟ وأي الاثنين يريد ، وهو بفطرسه وتعاليه قال انه ليس في حاجة لأن يقبل مني أي منحة ، بل يريد الحق من الحكمة ولهذا السبب أحضرت كتاب القانون : وقدمته للمحكمة وبعد ذلك حكمت بيننا ، وحيث ان المحكمة قد أعطت حكمها فليس على أن أقدم لك شيئا ولكني بفعل الانعام ، وأنا أعلم حقا أنه

كان لأجلي أنك وجدت نفسك رهينة في المدينة عندما آلت اليك بارونية أكوفا ، ولأن لدي شعور عميق بالعطف نحوك فقد فصلت ثلث البارونية أعطيها لك كهدية جديدة قابلة للتوريث لك ولأولادك ، أرفعي أغطية السرير وهذا الحاف وستجدين امتيازك فخذه مع مباركتي » .

وتقدم المحكم وأحضر الامتياز وأعطاه للأمير ووضعه بين يديه ، وخاطب الأمير السيدة مرغريت : « تعالى يا ابنتي حتى أنعم عليك » واقتربت منه فأعطاه الوثيقة ، وخلع قفازه ، وبه قلدها الانعام ، وهي كامراة حكيمة تلقتة بسرور وبانحناء خفيفة وشكر عميق ، ثم ودعته وذهبت الى بيتها ووجدت هناك السيد جين زوجها فأظهرت له سرورا عظيما وأخبرته بالتفصيل بما فعلته هناك حيث جاءت وبأمر الهدية التي تسلمتها والمنحة التي نالتها من أمير المورة ، وهي ثلث أكوفا ، وعند سماع هذا رفع السير جين يديه ، وكان سعيدا جدا وحمد الرب لأنه لم يكن يأمل مطلقا ولم يتوقع ان يحصل على جزء من السيادة على بارونية أكوفا ، والآن بعد أن فعل الأمير هذه الأشياء التي اكتبها لكم ، استدعى المحكم وأمره أن يكتب امتياز آخر بأحد الأجزاء الباقية من القلعة وأرض بارونية أكوفا ، قائلا أنه قد أعطاه ملكا لابنته مرغريت وكنت قد أخبرتكم ان هذا كان اسمها (٢٣) (٧٧٥٠ - ٧٧٨٠)

فكتب وختم ودعاها وأعطاه لها ، وقلدها الانعام على الفور وأدخلها في حق الانتفاع ومنحها صلاته ، ودعواته بأن تملكها وترثها ، ومع كل ما أخبرتكم به ، من كتابة ووصف وأخرى أيضا كثيرة ومتعددة ، لايمكنني أن اكتبها لكم مما أنجزه للأمير غوليوم ورتبه وأقامه ، وكما هي الحقيقة الطبيعية في الجنس البشري ان كل من يولدون يذوقون الموت ويموتون ، وجاء الوقت ليموت الأمير ليذهب الى الجنة ويغادر الدنيا ، فسافر الى كالاماتا التي أحس نحوها بحنين عظيم لأنه ولد هناك وكانت من أملاكه ملكا خاصا مشروعا ، أعطاه الشامبني له ملكا موروثا عن أبيه السير

جيوفري العجوز من ال فيلهاردين ، وهذا لقبه وبعث برسائل الى كل مكان ، لقادة الفرسان والأساقفة وأصحاب الحكمة في كل الامارة ليمثلوا امامه ثم سقط في نزاع الموت الوشيك ، وتوسل اليهم جميعا أن يشيروا عليه بما هو الشيء اللائق الذي يمكن أن يفعله في النهاية الوشيكة لحياته :-

وكتب وصيته بدقة عظيمة ، فعين خودرون حاكما عاما وتركه نائباً على الامارة (٢٤) وكتب للملك شارل وتوسل اليه بأن يتولى نقل بناته أولا ثم كل من في الامارة ، سفيراً وكبيراً الى حفظه وحمايته وأن يحصوهم جميعاً بالعدل وبالنسبة الى اديرة الفرنجة وأديرة الروم أيضاً ، التي أسسها وأقامها حتى تتوسط لدى ملك السـمـاء لكل النصرانية (٧٧٨٨ - ٧٨١١) باهداء صلواتها التي تنظمها بذلك الامتياز الذي منحه لكل منها ومثل ذلك يجب أن لايتدخل أحد فيها أو يثير أي متاعب في أي جزء مما أعطاه لها ، ومثله ليس لأي انسان حي على الاطلاق ان يسيء الى الهدايا التي قدمها للناس الذين خدموه باخلاص وتفان ، وأوصى بأنه بعد موته ولكن ليس قبل مرور سنة كاملة أن توضع عظامه فقط في تابوت في كنيسة القديس يعقوب المورة في اندرافيدا ، هذه الكنيسة التي بناها وقدمها للهيكل وفي القبر الذي بناه والذي يرقد فيه أبوه وأخوه على أن يكون أخوه الى يمينه ويكون هو عن يساره وأبوه في الوسط (٢٥) بينهما وقضى بايقاف مال يصرف على أربعة قسوس يدعوهم كل الرومان هيريز (٢٦) ليتابعوا بون توقف فترة بعد فترة الانشاد ، والاحتفال بالصلاة الدائمة على أرواحهم وأمر بهذا كوصية تحت طائلة التأثيم والحرمان الكنسي ، ودونت كتابة حتى لايتدخل فيها أي رجل في الدنيا ،

وعندما رتب كل هذه الأمور التي أخبرتكم بها وأمورا أخرى أيضا (لا أستطيع ادراجها لكم لأنني تعبت من الكتابة بسبب الكتابة الكثيرة التي تتطلبها) أسلم روحه وأخذتها الملائكة وحملتها الى

حيث يوجد الصالحون : خلدوا ذكراه كلكم فقد كان أميراً طيباً ، انظر الشر الذي حل والذي يجب أن يحزن له الصغير والكبير في المورة لأنه لم يترك ذكرا ، ابنا من صلبه ليورث الأرض التي كسبها أبوه بهذا العناء (٢٧) بل على العكس أنجب بنات وذهبت جهوده هباء لأنه لم يوجد أنه قد شرع أن الابنة الأنثى ترث تركة أمير ، لأنه من البداية الأولى كانت اللعنة تلقى على المرأة ، ولم يكن مطلقاً في حياته لأمير ينجب بنات يخلفنه أن يبتهج ، لأن كل مجده وسلطانة اللذان أعطاهما الرب له سيأخذهما الأصهار إذا وهبه الرب أصهار (٢٨)

والآن بعد أن توفي الأمير غوليوم كتب السيد جين دي خودرون الحاكم العام (وهكذا كان يسمى في كل الإمارة ، قد بقي في الواقع نائباً للأمير المورة) على الفور رسائل وبعث بالرسائل إلى نابولي حيث كان الملك شارل ، وأبلغه بتفصيل دقيق بموت الأمير وحالته (٢٩) وعندما سمع الأمير ذلك حزن على نحو مومع ، وأمر بدعوة قادة مجلسه ، وسألهم المشورة حول أرض المورة وكيف يحكمها ، وأشار عليه مجلسه أن يرسل رجلاً بالغ الحكمة ، وجندياً خبيراً ليكون نائباً وحاكماً في كل الإمارة وأن يعطي الأذن والسلطة وأن يحكم طبقاً لرغبات وخير أهل الأرض ، وعليه عين فارساً موثقاً واسمه روسو ولقبه دي سللي ، وكان رجلاً نبيلاً وجندياً خبيراً (٣٠) . وأعطاه خمسين من المرتزقة (٧٨٤٠ - ٧٨٧٩) بخيولهم ، و ٢٠٠ من حملة الأقواس قاذفة السهام وكلهم من أرفع الدرجات ومن الجنود الرائعين الذين أمره الملك بأن يضعهم نيابة عنه في حماية قلاع المورة : وأصدر إليه الأوامر ، التي أخذها معه ، وإلى الأساقفة ، وقادة الفرسان والفرسان والزعماء الذين كانوا في المورة في حينه ، حيث حمل رسائل من جانب الملك ، وترك نابولي مع هذه القوات ووصل إلى كلارنتسا في أوائل أيار ، والآن عندما وصل أرسل رسائل خطية إلى أساقفة الأرض ، ولكل قادة الفرسان وللفرسان تضم كتباً من الملك كان قد حملها معه ، وفي الوقت نفسه كتب لهم من جانبه أن يجتمعوا

في كلارنتسا ليروا الأوامر التي أحضرها من الملك ، وجاءوا عند استلامهم الرسائل ، وحالما تجمعوا كبيرهم وصغيرهم ، فتحوا الأوامر وقراءوها ، لقد أمر الملك كل الناس في المورة بأن يقبلوا روسو دي سللي كنائب للملك ، وكل من كانوا من الاتباع ودانوا بالولاء عليهم أن يؤدوا ذلك لروسو عن أملاكهم تماما كما لو كان هو الملك نفسه .

وحالما انتهوا من قراءة هذه الأوامر تشاور قادة الفرسان والأساقفة والفرسان أيضا حول كيفية تحرير انفسهم ، وأغلقوا مطرانية باتراس ، وتولى السير بنوا الكلام عن الجمع وعليه تعهد بأن يخبر نائب الملك بأن كل رجال المورة صغيرهم وعظيمهم ، قد احترموا جميعا الأوامر والوصايا التي جاء بها من الملك وقبلوا به وتمسكوا به واحترموه كما لو كان الملك بنفسه ، ولكن الولاء وفعل التحالف اللذان أمرهم ، بأدائهما للنائب دي سللي لن يفعلوه مطلقا لأنهم بفعل ذلك انما يشربون عن الأعراف ، التي اشترطها قانون المورة والتي حصلوا عليها منذ زمن الاستيلاء والتي جرى اداء القسم عليها وكتبها الذين غزوا امارة المورة وملكوها (٧٨٨٠ - ٧٩٢٦) بالسيف ، (٣١) لأن قانون المورة وأعراف الارض يشترطان أن الأمير ، السيد الحقيقي ، أيا كان عندما يتولى السلطة ، يجب أن يأتي بشخصه الى الامارة ليقسم قبل كل شيء للقوات التي في المورة وهو يضع يده على انجيل المسيح ، بأن يحميهم ويعدل بينهم ، وفق الأعراف التي تسود بينهم ، وأن لايزعجهم في الاعفاءات التي يملكونها ، وعندما يقسم الأمير بالطريقة التي أخبركم بها ، يبدأ عندئذ كل التابعين في الامارة بأداء الولاء للأمير لأن فعل التبعية الذي جرى عندما يتبادلون القبلة في الفم ، أمر مشترك بين اثنين ، وهكذا فان الأمير مدين بولاء طيب للتابع كما هي الحالة بين التابع وبينه ، وليس هناك فرق بصرف النظر عن المجد والتشريف الذي يلقاه كل امير ، ولكن اذا كان الأمير في أرض أخرى ويرغب في تعيين بعض الممثلين الآخرين ليقبلوا الولاء الذي يدين التابع به، ان الاتباع في

وعندما سمع روسودي سللي بأن قسما لابد أن يكون ، أذعن على الفور للاقتراح وقبل به . وبناء عليه أمر باحضار الانجيل المقدس واقسم نائب الملك أولا ثم الرجال من الاتباع ، بأن يكونوا اتباعا مخلصين أولا للملك شارل وبعده لورثته ، كما هو العرف.

وبهذا تسلم روسو النيابة وشرع في مباشرة مهام منصبه التنفيذية فأخذ يغير الموظفين ويضع آخرين جددا بدلا منهم ، فغير المسؤول عن تسجيل المنح الاقطاعية وأمين الخزينة أيضا ومتعهد المؤن للقلاع وكل امار القلاع ، ووزع حملة الأقواس بين القلاع ثم عين العمال المأجورين (٣٢) .

وهكذا بعد أن بدأت سيادة الملك في الانتشار تحت اسم الأمير السير لويس الذي كان ابن الملك وزوج ايزابو ، ابنة الأمير غوليوم لم يكد يمضي وقت طويل عندما لذنوب الموريين الكثيرة ولأنه لم يكن لهم الحظ ليكون لهم أمير طيب توفي السير لويس أمير المورة ٣٣ ، انظر الشر الذي حل بموته لأنه وعد وبدا أنه أمير طيب وكان الأخ الأصغر للملك شارل ، وهو ذلك الأعرج ، والد الملك روبرت ، وبعد أن توفي السير لويس آلت السيادة على المورة الخاطئة الى يد وسلطة الملك شارل (٣٤) .

وعند هذه النقطة إنني سأتوقف عن الكلام ، للحديث عن الملك شارل واخيه الذي كان يسمى السير لويس أمير المورة ولسوف أحكي عن الأمير العظيم السير غوليوم دي لاروش الذي كان دوق أثينا وكان أميراً طيباً أيضاً ، وسأحدثكم أيضاً (٧٩٦٠ - ٧٩٩٥) عن كونت بيريين ، وكان اسمه السير هوغ ، وكان كونت ليكس التي حصل عليها من ابوليا من الملك شارل (٣٥) ، وفي تلك السنة وذلك الوقت الذي اخبرتم عنه اعلاه في هذا الكتاب الذي تقرأونه ، عندما عاد دوق أثينا من فرنسا وجد أن الأمير غوليوم قد اسر في بيلاغونيا ، وكان في المدينة حيث كان الامبراطور يحتجزه في سجنه.

ولم يكن دوق أثينا في ذلك الوقت متزوجا وبعد ذلك توصل الى اتفاق مع السير تيوبورس أمير الاشيا وأخذ ابنته زوجة له ، وأنجب هذان الزوجان ابنا هو الذي كان يدعى السيرغي دي لاروش ، والذي عاش في الواقع بعد وفاة أبيه وأصبح دوق أثينا ، وكان يسمى الأمير العظيم لرومانيا ، وعندما ارتقى وأصبح فارسا عقد اتفاقا مع الأميرة السيدة ايزابو ، وحيث أنه حصل على أرضه منها فقد أصبحت سيده ، واتخذ ابنتها زوجة له ، وكانت تدعى ماهوت وكانت في الحقيقة ابنة الأمير فلورنت . والآن عاش غوليوم دوق أثينا أباه ، سنوات عدة بعد موت غوليوم أمير المورة . وعندما آلت المورة للملك شارل كان أول نائب أرسله الملك الى المورة

هو روسو دي سللي ، وبعده أصبح دوق أثينا غوليوم نائبا للملك ، ووكيلا عاما على كل الامارة (٣٦) ، أرسل الملك أمره إليه من أبوليا أو البراءة كما كان الفرنجة يدعونها ومن ثم تسلم منصب النيابة وأصبح نائب الملك لبقية حياته ، وفي هذا الوقت في أيامه (٧٩٩٦ - ٨٠٣٣) بنى قلعة ديماترا التي كانت في سكورتا ، والتي دمرها الرومان ، (٣٧) ، واتخذ الأمير العظيم نفسه مركزه هناك حتى اكتملت قلعة ديماترا . وبعد فترة قصيرة توفيت الكونتيسة زوجة كونت بيريين والتي كانت أخت دوق أثينا السير غوليوم ، وكانت أولا زوجة الجندي الرهيب أمير كارتانيا كما أخبرتك ، والآن أنجبت هذه الكونتيسة من الكونت ابنا رائعا أسموه غوتير الذي عاش وأصبح فارسا جديرا ، جنديا شهيرا حقا في كل الممالك وقتل في هليمروس من قبل الصحبة (٣٨) .

والآن بعد أن ماتت هذه الكونتيسة بوقت قصير وتوفي أيضا ، غوليوم ، دوق أثينا ، أعقب موته فوضى عظيمة ودمارا لأنه كان أميرا حكيما وانسانيا مع الجميع ، وحدث حزن عميق في كل الامارة .

وحدث بعد ذلك ما يلي : اسمع ما حدث / (٣٩) : كان الكونت هوغ دي بيريين مسرورا بالعبور من أبوليا حيث ذهب الى الموره ومن هناك سافر بدوره رأسا الى طيبة قائلا إنه يريد الدوقه ليعزيها ، لأنها قد أصبحت حديثا أرملة للسير غوليوم دوق أثينا أخي زوجته ، وبعد وصوله الى هناك ، رآها وتحدث معها وبقي أياما عديدة قائلا إنه يواسيها ، واختلوا معا كثيرا حتى أصبح كل منهما يرغب في الآخر ، وباتفاق طيب تزوج الكونت عندها دوقته القانونية ، واتخذ زوجة الزوجة التي كانت زوجة أخيه ، وبعد اقتران الاثنين كما حكم الحظ ، حملت النبيلة ووضعت ابنة اسموها جانيت ، وحالما بلغت السن القانوني وأصبحت امرأة زوجها الى السير نيكولاس وكان لقبه سانودو (٨٠٣٤ - ٨٠٧٣) وكان دوق ناكسوس ، ولم يكن بين هذين

الاثنين اتفاق مطلقا ولسوء الحظ أنهما لم ينجبا طفلا كوريت يرث القلاع والأراضي التي كان يملكها السير نيكولاس.

والت المقاطعة الى الكونت هوغ دي بيريين بعد أن تزوج دوقه أثينا وملك السيادة على كل أراضي الإمارة العظيمة ، وكان تحت وصايته غي دي لاروش طيلة فترة حياة والدته الدوقة ، والآن بعد مضي سنتين أو نحوهما ، توفيت الكونتيسة وذهب الكونت هوغ الى أرضه في ابوليا ، وعندما بلغ غويوت سن الرشد تسلم ولاياته : الإمارة العظيمة وأصبح فارسا وكان اميرا طيبا ، وكان يسمى الامير العظيم وهو لقب هيليني ، وكان دوق أثينا ، وكان له اسم عظيم ولكن بسبب الاثام ، حيث انه امضى عمره في الشر ، لم يأنز الرب ان ينجب وريثا من صلبه ليحكم الارض والمقاطعة التي كان والداه يملكانها (٤٠) .

وساتوقف هنا عند هذه النقطة ، عن الكلام عن السيرغي دي لاروش ، الامير العظيم وساتكلم عن السير نيكولاس دي سانت اوامر وكيف تزوج واتخذ زوجة له اميرة المورة ، التي كانت زوجة الامير غوليوم . والان بعد ان توفي الامير غوليوم فان الاميرة زوجته (وكانت اخت الامبراطور كيرنقفور صاحب ارتسا) بقيت ارملة ، وكانت في المورة وتملك عددا كبيرا من المدن ، وكانت تملكها وتديرها من سهل المورة ، وايضا في مقاطعة كالاماتا كانت تملك مدن نيأتوكوري ، وبلاتانوس وجليكى ومدنا اخرى اضافة الى جانب هذه التي كانت لها السيادة عليها (٤١) .

وبعد ذلك حدث ان السيد نيكولاس دي سانت اوامر العجوز ، وكان رجلا نبيلًا وعظيما لديه قدرا كبيرا من المال ، حيث توفيت زوجته الاولى التي كانت في الحقيقة اميرة مدينة انطاكية (ومنها حظي بثروة شهيرة ومال ، حدث كرجل نبيل ثابت الفكر ان توصل الى تفاهم مع اميرة المورة وتزوجها ، ولهذا السبب ذهب الى المورة وبقي معها (٤٢) وبثروته العظيمة ومقاطعاته التي كان يملكها

شيد قلعة سانت اوامر التي كانت في طيبة ، وبنى هذه القلعة لتكون قوية للغاية ، وبنى ضمنها مساكن تصلح للملك حقا ، وأنشأها وبنائها وكسا جدرانها من الداخل بلوحات جدارية زيتية تصور كيفية غزو الفرنجة لسورية ، ودمر الصحبة بعد ذلك هذه القلعة بسبب خوفهم من الامير العظيم ، دوق اثينا ، الذي كان يسمى غوتير (الثاني) لئلا يستولى عليها ويحيط نفسه بالخنادق هناك ويتخذ منها موقعا دفاعيا قويا ، وبمساعدها يغزو الميغالو كيريت ، انظر الشر الذي ارتكبه الكاتالانيون الخداعون ، لتدمير مثل هذه القلعة ومثل هذا الحصن !

وبنى السير نيكولاس ايضا في مدينة مافيا تخوري قلعة صغيرة لتحمي ارضه ضد البنادقة ، وبعد ذلك بنى قلعة افارينو مع نية وتوقع ان يهيمن على الملك ليعطيها له كاقطاعية قابلة للتوريث له ولابن اخيه المارشال الكبير وكان اسمه السير نيكولاس .

ثم مر الوقت بعد ذلك وتوفي الامير العظيم الذي كان نائبا للملك في المورة وعين بعده السيرغي الذي كان يدعى تريمولاي امير كالندريتسا نائبا للملك وحاكما عاما ، وبعد ذلك توفي تريمولاي ايضا ، وبعث الملك باوامر من ابوليا الى السير نيكولاس دي سانت اوامر ليكون نائبا للملك

وبعد ذلك تسلم منصب النيابة وبدا يتصرف ، ويحق الحق ويذشر السلام في الارض (٨١٠٨ - ٨١٤٥) كرجل نبيل وحكيم تجاه كل الناس (٤٣) . وخلال زمن حكم السير نيكولاس دي سانت اوامر العجوز ، امير طيبة ، الذي كان نائبا للملك في المورة خلال تلك الايام ، كان هناك فرنجي نبيل من شامبين ، وكان يدعى السير جيو فري دي برويير ، وكان ابن عم الامير كاريتانيا ، وعندما سمع وعرف بان امير كاريتانيا الذي كان ابن عم له قد توفي ، وانه لم يعقب ولدا كوريث له فتحت شهيته وراوته فكرة الذهاب الى المورة ، باعتباره في الواقع اقرب الاقرباء لامير كاريتانيا ، لينال

تركته (٤٤) فرهن اراضيه واقترض هيبربورا واستاجر ثمانية من السرجندية ذهبوا معه ، وجلب معه من الاساقفة والفرسان شهادات خطية مختومة تشهد بانه كان ابن عم امير كاريتانيا ، السير جيوفري دي برويير ، وقام بتحضيرات نبيلة ، واخذ السرجندية ، وغادر الارض وبدا رحلته ، ووصل الى نابولي ووجد الملك شارل ، وابرز له الشهادات التي يحملها والتي تقول بانه ابن عم امير كاريتانيا وانه جاء حسب الاعراف الفرنجية كوريث لتركه الاملاك ، وقريب ليطالب بحقه الموروث .

وقدم ولاءه كما هو العرف . وامر الملك عندما سماع وراى الشهادات ان يكتب للعجوز السير نيكولاس دي سانت اوامر وكان في الواقع نائب الملك في المورة بان يستدعي كل الاتباع في المورة والاساقفة والحكام من كل الامارة ليحضروا لعقد محكمة عليا لفحص الشهادات التي اتى بها السير جيوفري من فرنسا ، واذا وجدوا انه قد التمس بحق قلعة كاريتانيا وتوابعها ، فانه سيعطيه حق الانتفاع وسينعم عليه بها (٨١٤٦ - ٨١٩٠)

والان نظرت المحكمة التي انعقدت في كلارنتسا الامر الذي ارسله الملك وقرات الشهادات التي احضرها معه ، وبعد ان تناقشوا مطولا وتكلموا ودعوا الناس للشهادة نوهوا بالعمل الذي قام به امير كاريتانيا في الوقت الذي ثار فيه وذهب الى طيبة ، وقاتل وركب الى جانب الامير العظيم ضد الامير غوليوم ، الذي كان اميره الشرعي ، الذي حصل منه على قلعة كاريتانيا وكل اراضيه . واخل بالثقة مع سيده واصبح متمردا ، ونتيجة لذلك حرم هو وسلالته وعندئذ توسل كل رجال الامارة لدى الامير ليعيد له ارضه شريطة ان يعيظها له كمحنة جديدة تورث فقط لاولاده من صلبه اذا انجب ، وعليه فقد استدعوا هذا الفارس ، السير جيوفري فمثل امام القضاء ، والقي اسقف اولينا خطابا واخبره بتفصيل كبير بقرار المحكمة ، وعن الفعل الذي ارتكبه امير كاريتانيا وكيف حرم وكل سلالته بموجب الاعراف السائدة في كل الممالك : وكل من تبين انه ملحد وخائن

يحرم هؤلاء ومن بعده سلالته ، من اي ارض او مقاطعات يملكها ويحكمها » وعليه ياصديقنا الطيب نقول الحق ، ان الحق ليس معك فيما تطالب به «

وبسماع انه تلقى قرارا مخالفا لتوقعاته عاد السير جيوفري دي برويير هذا الى معسكره وجلس وحده يبكي وينوح كما لو انه فقد مملكة فرنسا ، لو انها كانت له ، والان بعد يومين استغرق في التفكير وبعبء شارت في ذهنه افكار حول ما يمكنه فعله لانه لو عاد الى فرنسا ولم يتبدر بطريقة ما البقاء في رومانيا ليبنى ثروة ، فان كل الناس وسيضحكون منه وسيؤخونه بسبونه لانه عاد دون أن يحقق شيئا ودون أي كسب ولهذا السبب قال لنفسه أنه من الأفضل أن يموت من أن يبقى دون أي انجاز أو كسب.

ووجد رجلاً من الأرض تصادق معه ، وطلب منه أن يعلمه بدقة عن القلاع التي كانت في سكورتا ، وعن أراكوفون (٤٥) وكيف قامت وأيضا عن (٨١٩١ - ٨٢٢٧) كارتانيا وكيف بنيت ، وأي الاثنين كانت أقوى وأي قوات فيها ، ووصفها له الآخر الذي عرف حالة القلعتين بالتفصيل وأعلمه بالنواحي التي تقشومان فيها وبالقوات التي كانت فيهما ، وعندما سمع هذه الأشياء وضع خطته وخرج من المورة وذهب الى زينوخوري (٤٦) ، وحالما وصل الى هناك ، قال إنه يشعر بالدوار وأن علة في معدته قد تملكته وتكلم مع الناس وسأل أين يمكن أن يجد مياه بئر ، لأن مثل هذه المياه قابضة وتوقف الزحار وأخبره شخص كان هناك وهو من أهل المكان بأن هناك ابارا جيدة في أراكوفون وتركه يرسل لهم ليعطوه بعضا من هذا الماء حتى يشفي من الدوخة . وعليه استدعى أحد السرجندية من اتباعه ، ممن كان لديه فكرة حسنه عنه ، وكان يثق به جدا في خطته السرية وقال له : « خذ قوارير واذهب الى القلعة القريبة من أراكوفون وأخبر أمر القلعة أنني اطلب منه أن يوجه بأن تعطى ماء من البئر ، إذ أنني احتاجه لعلاجي ، لأن الطبيب قد وصفه لي وقال انه مفيد لي ، وخذ ملاحظات دقيقة عندما تدخل القلعة ، عن كيفية

بنائها وكم عدد حراسها حتى يمكنك أن تخبرني بها عند عودتك وأن تشرحها كلها لي ، وإياك أن تجرؤ على أن تخبر أي شخص حي بذلك .»

وعليه ذهب السرجندي الى القلعة ، فوجد أمرها ، وحياه بلطف وسأله نيابة عن أميره ، أن يأمر بأن يعطى ماء من البئر ، وأعطى أمر القلعة على الفور الآن له فدخل هو نفسه القلعة واستطلعها وعاد الى السير جيوفري واخبره بكل ما رأى ، واستمر نحو عشرة أيام على القول بأنه يشعر بالدوار وكان سرجندي يذهب بشكل متكرر الى القلعة ويحضر له الماء بشكل متكرر ، ليشربه ، ثم طلب من أمر القلعة متوسلا بالحاح أن يأتي (٨٢٢٨ - ٨٢٧٧) إليه بغية أن يتكلم معه ، وجاء أمر القلعة الى الفارس على الفور.

وعندما رآه السير جيوفري استقبله بلطف وتحدث اليه عن مرضه وطلب منه أن يستقبله في قلعة مع واحد من حجبته وأن يعطيه غرفة واحدة يرقد فيها حتى يستطيع شرب الماء المفيد من البئر وستكون بقية حاشيته في المدينة.

وقال له أمر القلعة على الفور وهو لا يتوقع منه اي خداع واكد له انه سيستقبله في القلعة ، وبعد ذلك وفي اليوم التالي اخذ السير جيوفري خيمته وذهب الى القلعة ودخل القلعة واعطى غرفة ؟ وكان فراشه معدا فرقد عليه وكان معه سرجندي واحد فقط وبقية حاشيته في المدينة وامر باحضار ثيابه الى القلعة وكان بينها ايضا اسلحة وكان يرقد على الفراش كل الوقت ؛ وطلب أمر القلعة وتناول العشاء معه وكان يبدي الاحترام والاذن نحوه حتى يثق به ويمكنه خداعه وحالما حاز على ثقته ووجد الفرصة ، استدعى سرجنديته الذين كانوا بمثابة تابعين له وقال انه سيكتب وصيته لان كان يخشى أن يموت من المرض الذي يعانیه ، وجعلهم يقسمون له سرا من غرفته بان يبقوا كل ما سيقوله لهم سرا وان يتعاونوا معه اذا فعل ماخطط له واراد تنفيذه ، وعندما اقسما بدأ يقول لهم : يارفاقي واصدقائي

واخوتي يامن جئتم معي الى اراضي رومانيا ، انتم تعرفون السبب الذي جعلني اسرع برهن ارضي لآتي بشرف بأمل وتوقع اخذ كاريتانيا مع الاراضي المحيطة بها التي اقامها اقاربي وبنوها والتي استولى عليها اقاربي بالسيف ، ولقد سمعتم ورايتم كيف حرمني الجلادون الموريون وابعدوني عنها وانا حزين وخجل واشعر بمرارة عظيمة وعليه فقد وضعت خطة بناء على ثقتي فيكم لو انكم ساعدتموني ، ولدي آمال بأنكم ستفعلون امورا عجيبة سندمع بها انكم ترون هذه القلعة والقوة التي فيها ان عددا قليلا من الرجال يلزم لحمايتها طالما ان المؤن متوفرة فيها وهي محصنة وتقع في ارض سكورتا وتتحكم فيها فلنملكها لانفسنا لنتحكم فيها ولنقل باننا سنبيعها الى قائد امبراطور الروم ، واتوقع انه عندما يسمع نائب الملك (٨٢٧٨ - ٨٣٢٢) في المورة ذلك سيكون سعيدا جدا عندما يتوصل الى تفاهم معنا وسوف يعطني قلعة كاريتانيا مع ارض سكورتا وسيفضل ان احصل عليها من الملك بدلا من ان اعطي قلعة اراكوفون للروم لانه اذا اخذ الروم هذه القلعة الصغيرة ، فانهم سيربحون كلا من سكورتا وكل الامارة .

وعندما سمع سرجنديته هذا اتفقوا مع بعضهم بعضا وبدأوا يفكرون كيف يمكن تنفيذ ذلك وتحقيقه ؟ ثم رتب السير جيوفري الامر وقال لهم : « لقد سمعت أن هنا في الخارج حانة يباع فيها النبيذ وان أمر القلعة يخرج ويجلس هناك عدة مرات ليشرب مع الآخرين ويبدولي اننا يجب ان نفعل كما سأقول لكم :

وحيث أن لدينا خبز وبسكويت ونبيذ وماء واسلحة هنا بقدر مانحتاج ، فاخرجوا للحديث معه هناك في الحانة ، اثنان أو ثلاثة منكم كما تفضلون وليكونوا من امهركم وادعوا أمر القلعة وحاكمها والسرجندية معهم وكل العناصر القيادية ولديكم ديناري كثيرة فاعطوها لصاحب الحانة واشتروا كمية من النبيذ واشربوا معهم واعطوهم كثيرا جدا ليشربوا حتى يثملوا ولكن احرصوا على ان لاتشربوا كثيرا من النبيذ معهم حتى لايسكركم فنخسر مائنا في

إعداده ، وعندما تتأكدون من انهم مخمورون دعوا واحدا منكم قائدكم يتسلل بسرعة من هناك ويأتي مسرعا الى القلعة وبعد ذلك دعوا آخر يأتي أيضا ويمسكوا بحارس الباب ويلقوا به خارجا ويأخذوا مفاتيحه ويفلقوا الباب ثم يصعدون بسرعة فوق اسوار الباب ليحرسوا الباب ، لئلا يشعلوا فيه النار ويحرقوه ويقتحمونه ويأسروننا ونخسر ما نأمل وما نخطط لتنفيذه.

وفعلت الحاشية والفرنجة تماما كما أمر السير جيوفري ولخص ، وقام الفرنجة واستولوا على القلعة ، ثم اطلق السير جيوفري سراح المساجين (من الحجز) ، وكان هناك اثنا عشر رجلا فيه ، من الفلاحين والروم. ودعا اثنين من الروم وأمر بكتابة الرسائل لهم ، وكان واحد أو اثنان ممن يعرفون الكتابة يقومون بذلك ، وأرسلها معهما الى قائد الامبراطور وكتب فيها معلنا أنه يجب أن يأتي مسرعا الى القلعة التي استولى عليها والتي تسمى أراكوفون (٨٣٢٣ - ٨٣٦١) وأنه قد يبيعها بالهيربورا ويسلمها له . وعندما سمع بهذا ابتهج : وجمع جيوشه كلها بسرعة وانطلق بأسرع ما يمكنه ، وسافر حتى وصل الى مخاضة في نهر الألفيوس عند نقطة من وادي الألفيوس تدعى أومبلوس (٤٧) ، وهناك نصبوا خيامهم وأوى الجيش الى الفراش.

والآن بعد الاستيلاء على اراكوفون بعث أمر القلعة فيلوكالوس (٤٨) ، وكان هذا اسمه بمبعوثين على الفور الى السير سيمون وهذا اسمه وكان لقبه دي فيبوني (٤٩) وكان في اراكوفاس يسمى العظيم ، وكان مع قواته في سكورتا حيث كانوا يقومون بواجب الحماية في ذلك الوقت وشرحوا له الامر والخيانة التي ارتكبها السير جيوفري دي برويير ، والتي استولى فيها في الواقع على اراكوفون وكان سيبيعها لقائد الامبراطور ، الذي بعث له برسالة ليأتي ويعطيه الهيربورا ويأخذ القلعة .

وعند سماع هذا ركب السير سيمون خارجا مع كل الرجال الذين

تصادف وجودهم معه هناك في ذلك الوقت . وبعث برسالة في كل مكان الى قواته لتأتي ووصل بسرعة الى قلعة اراكوفون ، واحاط بها كلها بالقوات التي معه واستولى على كل الممرات والطرق والشعاب حتى لا يتمكن احد من الدخول او الخروج من القلعة ليحمل اي رسالة من او الى الروم ، والان عندما وصل السير سيمون الى اراكوفون مع القوات التي معه ، ارسل الرسل على الفور الى نائب الملك الى السير نيكولاس دي سانت اومر ، الذي كان في كلارنتسا ، وابلغه واعلمه بالحدث ، الذي جرى من ان السير جيوفري دي برويير قد استولى على قلعة اراكوفون وبعث برسالة الى قائد الامبراطور الرومي ليحضر له الهيربورا ليعطيه القلعة ، وانه جاء مسرعا مع كل جيوشه للمساعدة لئلا يعقدوا القلعة ، وقبل ان يأتي الروم ويحتلوها . (٨٣٦٢ - ٨٤٠٢) .

والان عندما سمع نائب الملك بهذا ، انطلق على الفور باي قوات تصادف وجودها معه ، وبعث برسالة الى كل مكان لتأتي الجيوش ، وعندما جاء الى اراكوفون ووجد الشحنة السير سيمون (يحاصر بقواته ويستولى على الطرق حتى لا يأتي احد من الروم ويدخل اراكوفون ويحضر لها رسالة) شكر نائب الملك الشحنة بحرارة .

وبدأت جيوش الفرنجة في الدخول من كل الجوانب واستولوا على كل درنفوس سكورتا وكانوا يحرسونها ، وجاءت رسائل جديدة بالثقة الى نائب الملك بان جيوش الروم وصلت الى رافد الالفوس عند نقطة تسمى اومبلوسي .

وعليه امر باستدعاء السير سيمون شحنة سكورتا وامره بان يأخذ قواته وقوات درنفوس سكورتا وقوات كلماتا وبيرغاردى وكالندريتزا وايضا قوات فوستيتزا وان يذهب الى ايزوفا الى مخاضه بيتر على رافد الالفوس ليتخذ موقعا ويحميها حتى لا يمر الروم الى درنفوس سكورتا (٥٠)

ثم تولى السير سيمون ، كنائب للملك القيادة ، وأخذ جيوشه وذهب الى هناك ووقف وجها لوجه مع الروم ، والآن فان نائب الملك الرجل الحصيف استجابة للمشورة التي تلقاها استدعى فارسين وأمرهما بأن يذهبا الى أراكوفون ليطلب القلعة من السير جيوفري وأن يعيدها الى سلطة الملك كما وجدها ، وسيعفى عنه لما فعله . « ولكنه اذا خطط بأي طريقة ليستولي على القلعة ليملكها أو ليعطيها لأي شخص آخر ، فأبلغه لعلمه أنه يجب أن يأخذ بصدق بأنني سألقى الموت أولا وأنتم جميعا معي ولا أبرح هنا مع الجيوش التي معي قبل أن أدمر أسوار قلعة أراكوفون وسأحاصره بداخلها وأقتله » .

وعليه ذهب الفارسان واقتربا من القلعة وطلبا هدنة وناديا من مكان بعيد حتى لا يطلق عليهما السهام (٨٤٠٣ - ٨٤٤٧) بأن نائب الملك قد أرسلهما كرسولين لمناقشة أمر مع السير جيوفري من أجل خيره وشرفه لو فعله .

وبسماع هذا بات السير جيوفري بالغ السرور ووقف فوق الأسوار وسألهما ماذا يريدان فقالا له : « ان نائب الملك يبلغك ، وهو يحبك كصديق أنه قد صدم لأنك في وجه المجاملة والعناية البالغة التي لقيتها والتشريف الذي وجدته في قلعة الملك استوليت عليها وتمسكت بها وستبيعه لقائد الروم كما أبلغته ، وعليه فانه يتوسل اليك ونحن جميعا منضمون اليه أن لا تنخدع بتوقعات الشهرة العالمية الواسعة ، لأن الكل دهش مما فعلتم ، ولا ينبغي لك كرجل نبيل لهدف خياني أن تفكر في هذا أو تضعه موضع التنفيذ ، لأننا نحن الفرنجة فوق كل شيء قد خجلنا بسببك وأسفنا ، ونحن نعرف مع ذلك أنك فعلت هذا بدافع المرارة ، لأنك كنت تأمل وتتوقع الحصول على بارونية كاريتاينا في سكورتا وخاب أملك ، ونعلم حقا بأنك قد ندمت على ما فعلت ، وعليه نقول لك ونشير عليك بطيبة وشوق أن تعيد القلعة ، وستنال هبة وتشريفا عفوا ولكن اذا كنت تخطط بشيء على سبيل التحدي فاحترس لأنك لا تستطيع الوقوف ضد الكثير

جدا ، لأن نائب الملك قد أرسل للنجارين ليحضروا ، والصرفيين البنادقة ، وستحاصرون جميعا وتقتلون . »

وعليه بدأ السير جيوفري يتحدث اليهما « أيها النبلاء لقد أخطأتم في حقي بمنعني ممتلكاتي وحرمانني من ميراثي بذرائع وأعداء جوفاء ، أيها الموريون ، وأنا من الأسى والأسف للذان أشعر بهما وقد فعلتم ما ترون ، ومن المرارة التي عندي فعلت ما فعلت ، وأنا أعرف أن هذا لا يشرفني .

ومع ذلك طالما أنكم تخبروني وتنصحوني فاني سأعيد القلعة مع التفاهم والاشتراط بأن توضع قضيتي أمام محكمة الملك وأيا كان قرارها فاني أوافق على قبول سلطتها ، والآن طالما أنني جئت الى أرض المورة ، فاني أصبحت أحبها وأريد أن أبقى معكم هنا ، فأعطوني أرضا أملكها ولأجد فيها معيشتي ، لأنني أشعر بالحزن والعار أن أذهب الى فرنسا لأقاربي وأصدقائي وجيراني ليضحكوا مني لأنني ذهبت الى (٨٤٤٨ - ٨٤٧٠) رومانيا وتصرفت كولد . »

حسنا ولو أنني كتبت ما قال هذان الفارسان للسير جيوفري وما قاله لهما (٥١) ، فمن الذي سيقراه؟ ولكني سأوضح لكم بأني سأكتب هذا لكم وأرويه بايجاز ، فقد توصل السير جيوفري الى تفاهم

وسلم القلعة وأعطوه كملك لا يورث اقطاعه مورايينا وهي موجودة في سكورتا مع المدن الأخرى - كما زوجوه السيدة مرغريت ، التي كانت ابنة عم أمير أكوثا وكانت تملك ملكا قابلا للتوريث اقطاعه ليساريا (٥٢) . وبعد زواجهما واجتماعهما معا ، أعطاهما الرب ابنة أسموها هيلين ، تزوجت فيما بعد السير فيلان دي أدفوي أمير أركارديا (٥٣) ، وكان لهما بدورهما ولد وبنت ، وكان اسم الابن إيرارد ، والابنة أغنسس ، وقد تزوجها السير اتيين ولقبه مور فوضعت بدورها أبناء وبنات ، وبقي منهم وريث واحد وهو إيرارد

أمير أركاديا (٥٤) واغتنى الإيتام وسعدت الأرامل واقتنى الفقراء والمعوزون مالا كثيرا (٨٤٧٨ - ٨٥٠٧) في الزمن الذي اتحدث عنه وهو زمن أمير أركاديا .

فخلدوا ذكره جميعا ، لأنه كان أميرا طيبا ، وعند هذه النقطة سأتوقف بعد ذلك لأتحدث عن السير جيوفري وميراثه وسأخبركم ، بأنني سأتكلم وأكتب عن ايزابو المباركة (التي كانت ابنة الأمير غوليوم ، والتي كانت تخاطب وتسمى في تلك الأيام أميرة المورة) وكيف جاء بها الرب وعانت الى أملاكها وأصبحت أميرة أخيا . في الوقت الذي أخبركم عنه ، كانت الأميرة ايزابو في نابولي مع الملك شارل .

وكان الملك في الواقع يملك السيادة على المورة ، بفضل تلك الاتفاقات التي أبرمها الأمير غوليوم مع الملك شارل ، الأكبر ، والده ، وأيضا من خلال أخيه الأمير ، السير لويس ، زوج ايزابو . حسنا وفي حين أن الملك كان يملك السيادة على المورة ، كان هناك في ذلك الوقت فارسان من القادة . كان أحدهما يدعى خورون ، وكان الحاكم الكبير لامارة المورة وكان الآخر السير جيوفري ، دي تورناي (٥٥) وكان الملك يحبهما ويقدرهما عاليا ، وكان الحاكم في الحقيقة أميرا لا عظيما لكل المملكة وبينما كان هذان الفارسان يمضيان جيئة وذهابا من والي بلاط ملك نابولي ، كان أخو الكونت دي هينوت هناك ، وهو الذي يدعى السير فلورنت دي هينوت . (٥٦)

وكان حاكما عاما على كل الامارة ، وكما هي العادة العامة للجنس البشري ، توصلوا الى اتفاقات مع بعضهما بعضا وعقدا صداقات ، وكان السير فلورنت (٨٥٠٨ - ٨٥٥٤) سعيدا بهذين الفارسين الموريين ، السير جان دي خوردون ، وسير جيوفري وفي هذه الصداقة التي كانت بينهما قال السير فلورنت الرجل الحكيم لهما : ايها النبلاء الاخوة والاصدقاء اذا كان لي أن أكون لكم

صديقاً ورفيقاً في المورة فان علي أن أقسم لكم بأننا لن ننفصل ،
وسنكون كالأخوة ونعيش معا . اني أرى بعيني بأن الملك يجب كما
وأنه يعتمد عليكما كمرشدين وقادة في مجالسه ، حسنا فاذا كنتم
تكدون لي الحب كما أمل ، كلموه حول أخذي للسيدة ايزابو ، زوجة
وبينوا له الاسباب الحقيقية التي تجعل أرض المورة تجد نفسها في
حرب وفي خطر الضياع بفعل رجاله ، النواب الذين يرسلهم إلى
هناك ، أنهم مأجورون ويسعون دائماً وراء مكاسبهم الخاصة
والأرض تتسرب دائماً من بين أيدينا ، وتضيع وهي في خطر ويتحمل
الملك كل التكاليف ويأخذ الآخرون الربح ، وأنه حقاً لأمر شديد
بالنسبة له أن يبقي الوريثة هنا ، انها تعيش كسجينة تقريباً وهذا
ما يدهش العالم . سيفعل شيئاً لتحرير روحه ولجده بأن يزوج
السيدة ايزابو من فارس ، من رجل نبيل من منزلتها ، سوف يشعر
بأرض المورة ويحميها قبل أن تفلت تماماً من أيدينا ويفقدوها
الفرنجة ، ولماذا اذكر كل التفاصيل وشرحها لكم نقطة نقطة لهذا
عجلوا ايها الحكماء وكلموا الملك لانكم تؤثرون عليه ليستجيب
لرغبتكم ، لان عقلي يقول لي وفكري يدلني على انكم اذا كنتم
تريدون ذلك ، وانتم الرجال اصحاب الحكمة ، فان الامر سيتحقق
وستكسبون الامارة لانفسكم وسأكون رجالكم . وسألقب بالامير
وستكونون أمراء . وبسماع هذه الأشياء سر خودرون والسير
جيوفري جدا ، ووعدها بأنهما سيحققان رغبته في انجاز هذا الامر
ورجوا من الرب أن يحققا نجاحاً طيباً ، وعليه التمسنا فرصة ليجدا
الملك في لحظة مزاج طيب ليكلماه . وعندما وجدا اللحظة كلمه
الاثنان ، فوجداه في مزاج حسن في غرفته ، وذكرنا له الاسباب وبيننا
له اسباب أن أرض المورة وامارة أخيا كانتا تتسربان ضائعتين وفي
خطر ، بسبب أن الامير ، الذي كان دائماً سيداً عليها لم يكن
موجوداً . » انكم تبعثون الى المورة (٨٥٥٥ - ٨٥٩٤) نواباً
ومرتزقة يستعبدون الفقراء ، ويؤذون الأغنياء ويسعون فقط وراء
مكاسبهم ، والأرض تنزلق من بين أيدينا ، فاذا لم تعينوا رجلاً
يكون وريثاً ليبقى بشكل دائم وليحكم الجميع ويضع في فكره وهدفه
أن يقدم مصالح الأرض فانكم ستفقدون الامارة ، حسناً يا سيدي

الامبراطور (٥٧) ، انكم تحتجزون ذلك الوريث ، وهو السيدة ايزابو ابنة الأمير ، فزوجوها من رجل عظيم ونبييل يأخذ بزمام الامارة من جلالته ، وبذلك تفعلون شيئا لتحرير أنفسكم ولنفسكم العظيم وسيثى عليكم كل من يسمع به .

لماذا أروي لكم كل التفاصيل ولماذا علي أن أكتبها ؟ لقد قال هؤلاء الفرسان للملك أشياء كثيرة جدا كلما أمكنهم التحدث اليه ، واستحدثوه كثيرا حتى رتب لأجراء الزواج ، وأن يتخذ السير فلورنت السيدة ايزابو زوجة له ، وأن يملك الامارة وأن تصبح ملكا موروثا له ، وكتبت الاتفاقيات والمواد بالتفصيل ، وما كان على الأمير ليقدمه الملك تجاه الأمير ، كل منهما نحو الآخر ، وكتبت مائة واحدة في هذا الامتياز ، كانت عملا خاطئا وخطأ عظيما ، وهي أنه اذا وصلت الامارة الى وريثة انثى ، الى امرأة تحرز السلطة ، فانها ليس لها أن تقدم على الزواج من أي رجل في العالم بدون علم وأمر من الملك أيا كان ، ولكن اذا تصادف أن فعلت ذلك ، فانها تحرم من أملاكها ومن السيادة على المورة وكل الامارة ، انظر الشر الذي وقع بسبب هذه الفقرة ، وجردت الأميرة ايزابو لأنها في الحقيقة تزوجت فيليب دي سافوا عندما ذهبت الى اليوبيل الفضي في الواقع ، وقتها في روما (٥٨)

والآن بعد كتابة هذه الاتفاقيات ، أمر الملك على الفور بعقد الزواج ، وبناء عليه تزوج السيد فلورنت السيدة ايزابو ابنة الأمير غوليوم (٨٥٩٥ - ٨٦٤٣) وتم الزواج في أبهة كبيرة ، وفي بهجة واحتفالات ، تكلف نفقات طائلة وهناك في الكنيسة حيث زوجهما مطران نابولي بنفسه ، منح الملك الأميرة مرغريت الامارة ، كملك شرعي موروث ، واستدعى بعد ذلك السير فلورنت بدوره ومنحه الوكالة وجعله وريثا أيضا وتوجه كأمر ليسمى أميرا .

وبعد انتهاء مراسم الزواج وزفاف الأمير ، بدأ يتخذ ترتيبات

الرحيل من أبوليا ليذهب الى المورة في تشراف وأبهة ، وانحنى أمام الملك واستأذن في الانصراف وودعا الكونتات والفرسان وزاد من مكانته واستأجر آخرين أيضا ، وحصل على مزيد من الفرسان الراكبة والمشاة من السرجندية في الحقيقة أكثر من مائة ، وثلاثمائة من حملة الأقواس القاذفة . ووصل الى برنديزي فوجد سفنه وصعد اليها وذهب الى كلارنستا .

وكان نائب الملك في المورة في ذلك الوقت السير نيكولاس العجوز مصادفة في أندرافيدا وبسماعه للرواية ركب على الفور وذهب الى كلارنستا وقدم الولاء للأمير ومثله فعل كل من كانوا معه وأقام له الأمير استقبالا حسنا ، وحاملا وصلت قواته الى الكنيسة حيث كان المينوريت معه ، أمر بأن يجتمع الكبير والصغير ، وعرض الأوامر والوثائق التي كان يحملها وقدم الى نائب الملك أمر الملك : لقد أمره الملك وكلفه كتابة أن يقدم الامارة ، امارة المورة ، والقلاع والولايات في كل الامارة . وبعد هذا سحب أمرا كلف به الملك في اعلان مكتوب الى الموريين ، والأساقفة وقادة الفرسان والفرسان ، والسرجندية وجميع البرجوازية سكان المدن وكل من هناك كبيرا وصغيرا أن يقبل السير فلورنت كأمير وسيد ، أما الولاء في الحقيقة والاخلاص التي كان يدين به كل الاقطاعات والأملاك التي ملكوها فليؤدوه له باستثناء القسم والاخلاص والولاء الذي يدينون به للملك . وعليه أمروا باحضار الأنجيل المقدس ثم قالوا للأمير : « عليك أن تقسم لنا أولا أن تحميننا وأن تحكم بيننا بأعراف الأرض وأن لا تزعجنا في الاعفاءات التي لدينا من التكاليف ، وبعد ذلك فاننا بدورنا سنقدم لك الولاء ، لأن هذه هي العادة التي ورثناها عن آبائنا » (٨٦٤٤ - ٨٦٨٨) .

واقسم الأمير على الأنجيل المقدس بأن يحكم كل أهل المورة وفق أعرافهم وأن ييقي على اعفاءاتهم وبعد ذلك تقدم قادة الفرسان أولا ثم الفرسان والآخرين فقدموا الاخلاص والولاء الذي يدين به كل منهم لقاء الاقطاعية التي يملكها طبعاً باستثناء أداء قسم الملك

(٥٩) وبناء عليه سلمه نائب الملك الاقطاعية والقلاع والسيادة ،
ليأخذها عن الملك .

وبعد أن تقبل الأمير الولاءات . غير جميع المناصب ، أولا أمار
القلاع وكل السرجندية في القلاع وعين جماعته . فحين مسؤولا عن
تسجيل المنح الاقطاعية ، وخازنا أيضا ومسؤولا عن المؤن للقلاع
وكل أصحاب السلطة ، وهكذا بدأ بمشورة من السير نيكولاس
العجوز والسير جين دي خوربون الحاكم الكبير والسير جيوفري
دي تورناي وباقي الأتباع كبيرهم وصغيرهم ، في ترتيب الأمور
والمشكلات المتعلقة بالأرض ، والآن وجد الأمير الأرض في الإمارة
مخرّبة من قبل المرتزقة وسلطات الامبراطور التي عاثت فيها
فسادا ، وطلب مشورة الجميع حول كيفية العمل المتوجب ، وقال كل
الأكثر حكمة وأشاروا أنه اذا شن حربا مع امبراطور الروم فان
الأرض ستنوب وتتبدد بشكل أسوأ حتى ، ولكنه اذا كان يريد أن
يحيي الأرض فلندعه يجري تسوية معه ، سلمية وقوية ، وأن يقسم
مع الامبراطور بأن السلم سيوم كل الوقت ..

وبهذه الطريقة أعطيت المشورة وأيدها الجميع وبعث الأمير
برسولين الى القائد الأعلى للامبراطور الذي كان عندئذ في المورة في
تلك الايام ، فقلنا انه جاء الى هنا كأمر سيد على المورة ، وعلى كل
ما يملك الفرنجة ، ووجد أن الأرض قد دمرت تماما ، وأنه علم
وأخبر بأن الأمر كان كذلك بسبب الحرب التي كان الامبراطور
يتابعها مع الإمارة ، لأن أعمال الحرب تعطي مثل هذه النتائج وحتى
في أفضل الأراضي التي في العالم ، إن الحرب في الحقيقة تخرب
وتدمر تماما ، وعليه اذا أراد وسره أن تعقد هدنة فليرسل اليه
بجواب ليعرف رغبته .

وعندما سمع القائد هذا بدا له مقبولا ، وأثنى على الأمير كسيد
حكيم (٨٦٨٩ ، ٨٧٢٨) وكتبيل جدا . وحصيف بمث بجواب
للأمير : بأن الفترة كانت قصيرة حتى يمكن استبداله ، وأن يأتي

قائد آخر ، وأن يذهب هو كما هي عادة الامبراطور ، الذي يغير في كل عام قائد المورة ، ولكن طالما أن الأمير كان يسره أن يعقد هدنة تكون ثابتة ومخلصة لأكبر عدد يلزم من السنوات ، فانه حبا له ومن أجل رخاء الأرض فانه سيعلنه لسيد الامبراطور لأن رجاءه في الرب أنه هذا سيرضيه كثيرا . وهكذا أرسل القائد في حينه مبعوثا الى الامبراطور في القسطنطينية ، وبتفصيل كبير شرح له شفويا وكتابيا أن الأمير فلورنت الذي جاء الى المورة سعى لعمل هدنة معه ، حتى ينال رجاله من الفرنجة والروم فترة راحة ويعيشون في سلام .

وما أن سمع الملك هذا أقره بحماس وأكد له أمام القائد الذي أرسله في حينه إلى المورة (٦٠) وكان رجلا عظيما موثوقا من القصر ، كان يدعى فيلانثروبينوس والذي كان من البيوت الاثني عشر (٦١) ، وأعطى له في الواقع الأوامر بأن يجيب السير فلورنت الأمير سيد المورة ، وعندما جاء فيلانثروبينوس هذا الى المورة ، أرسل مبعوثا للأمير وبعث اليه بجواب من الملك ، بأنه جاء في هذا الوقت كقائد للمورة وكان رهن الأوامر للقاء معه ليفاوض من أجل الهدنة التي كان الأمير يطلب ابرامها ، وأرسل له الأمير رسالة بواسطة الفارسيين ، كتبت في صورة قسم (٦٢) . بأن يأتي الى اندرافيدا .

وبناء عليه أخذ القائد معه بعض أحكم النبلاء الذي كانوا عنده ، ومع رفقة مشرفة ذهب الى اندرافيدا ، حيث كان هناك الأمير مع قادته الذين كانوا في المورة في ذلك الوقت ، ومن أحكمهم ، والآن بعد أن التقى هو والأمير ، تفاوضا وأبرما هدنة كما أرادا كتابة في الحقيقة ، ووضعوا مواد الهدنة وأقسما عليها الأمير أولا (٨٧٢٩ - ٨٧٦٩) ثم قائد الامبراطور ، ثم قال الأمير للقائد : « أتوسل اليك يا صديقي أن لا تعكس على نفسك ما سأخبرك به واكشفه لك ، إنك ترى أنني سيد وأمير في المورة ، أفعل ما أريد وسيكون ثابتا لايهتز على كل السنين والأزمنة التي سأملكها ولا احتاج لأحد ، ولكن أنت ، ونبالتك يا أخي لك السلطة لفترة ولا يمكنك ولا تقدر على التوصل الى اتفاق يمكن أن يستمر أكثر من

زمانك ، حسنا ومثلي وأنا أمير وسيد في أرضي قد أقسمت على هذا ، وهكذا ان على الامبراطور شخصيا أن يقسم ، وأن نتوصل الى ميثاق يمكن أن أحفظه وأن أحافظ على هذه الأشياء كضمانات للهدنة ، تماما كما تعتبر رسالتي ، وهي تحمل خاتمي » .

وبناء عليه تكلم القائد وأجاب الأمير : « انه صحيح هكذا قال : » يا أميري يا صاحب السمو ، اني أقر وأشهد ، بأن ما قلته حق ، حسنا اذا شئت أن يحدث شيئا ما مثل ما أمرت ، وجه باثنين من فرسانك ليذهبا معي وسأجعل اثنين من النبلاء الشبان يذهبان معهما ، وسأكتب للامبراطور الى سيدي المقدس ، بالأمر والاقتراح كما عبرت عنه نبالتك ، بأن يأمر بأن تكتب اتفاقات الهدنة وتختتم بخاتمه الذهبي وبأن يقسم الامبراطور هذا القسم المكتوب في حضور الفرسان ، مبعوثيك » .

وعندما سمع الأمير هذا بدا له جيد جدا ، ووجه خودرون الحاكم الكبير والسير جيوفري دي انوي ، أمير أركارديا بأن يذهب الاثنان الى الامبراطور هناك في بيزنطة ، في مدينة قسطنطين ، ونهب فيلانتروبينوس أيضا معهما وعند رؤيتهم ، استقبلهم الامبراطور جيدا ، وبدت تلك الهدنة (٦٣) وذلك السلام الذي سيكون له مع أمير المورة مقبولا بسبب نفقاته الباهظة على الجيوش التي كان يبعث بها الى المورة ، والتي شن بها الحرب على الفرنجة ، وأمر على الفور بأن تكتب شروط المعاهدة وأقسم قسما ، وختمها بخاتمه الذهبي (٨٧٧٠ - ٨٨١٠) وأقسم الامبراطور نفسه على هذا في حضور الفرسان ثم قدمها لهما ، فأقسما وذهبا الى المورة وسلماهما للأمير وقدماهما له ، فتسلمها الأمير وبدت له جيدة .

وبعد ترسيخ السلام والهدنة بين الامبراطور وأمير المورة ، بدأ الأمير كأمر حصيف يحكم أرضه ويزيد من الخدمات ، وتعامل بهدوء مع قوات الملك ، واغتنى كل الناس من الروم والفرنجة .

وعندما رأى الامبراطور ذلك وحالما أخبر بأنه قد حصل على هدنة

طيبة مع الأمير رغب وأراد تجنيد الحرب مع امبراطور أرتا السير
نقفور (٦٤) فاستأجر ستين من الشواني تعود للجنوبيين ووجهها
بالبحار ، وعبور البحر ، عن طريق مياه المورة لدخول الخليج ، وفي
زيرو ميرون ، هناك قرب أرتا (القوات التي حملوها) لاجتياح
ونهب كل المنطقة (٦٥) ومثل هذا أمر الجيوش (بأن تذهب) عن
طريق البر : ٠٠٠ ر ١٤ على خيولهم ، و ٠٠٠ ر ٣٠ من الجنود
المشاة وأحصى الكثير ، وذهبوا من رومانيا عبر الاشيا ، ووصلوا
الى يانينا ، وأمام القلعة الرائعة عسكروا هناك في حصار حولها .

وكانت القلعة رائعة وتقع في بحيرة لأن أوزيروس العظيمة تحيط
كلها بالقلعة ، (٦٦) ويدخل السكان الى القلعة بواسطة جسر
ويدخلون المؤن الى القلعة بمراكب شراعية صغيرة . وتعتبر الدنيا
كلها قلعة يانينا لايمكن أن تؤخذ بالهجوم ، طالما أنها تستطيع
الحصول على التموين .

وهنا اقفل المناقشة عند هذه النقطة حول الملك وسأخبركم
بتصرفات الامبراطور ، فحالا سمع امبراطور أرتا وعرف أن
الامبراطور باليو لوغوس ، كان يستعد بالجيوش ليأتي لمواجهته
برا وبحرا ، استدعى قائده وأخذ مشورتهم وطلب منهم بأن يشيروا
عليه بدقة بأي طريقة يمكنه أن يحمي
أرضه (٨٨١١ - ٨٨٦٠) وعليه نصحه أحكمهم هكذا ، أن
يتوصل الى تفاهم مع أمير المورة ، مع فلورنت ، هذا بهدف أن
يأتي بجيوشه ليحارب في جانبه وعليه عندما أعطيت هذه النصيحة
أرسل مبعوثيه ، اثنين من النبلاء الحصين من الطليعة في
مجلسه ، وأصدر لهما الأوامر وأعطاهما تفويضه كتابة ، مزودا
إياهما بسلطة إبرام كل ما يمكنهما ، واستطاعا مع فلورنت أمير
المورة الذي تزوج من ابنة أخته وكانت تدعى ايزابو .

وخرج المبعوثان بعد ذلك من أرتا وعبرا الى المورة وذهبا الى
أندرافيدا ووجدا الأمير قد عقد مجلسا مع قائده للنظر في بعض

الشؤون التي لديه . فقدموا الكتابات التي كانت معها . وأعطياها للأمير وحيياها نيابة عن سيدهما الامبراطور وتحديثا اليه مفسلا ، شفاها حول السبب والهدف الذي جاء من أجله ، حسنا سوف استبعد التفاصيل حتى نصل الى الهدف ، لقد توصلنا الى هذا الاتفاق : يعطي الامبراطور للأمير كرهينة يحتفظ بها فقط ابنه السيد توماس ، حتى يتمكن الأمير من العودة الى أرض المورة بجيوشه ، بلا خديعة أو احتيال ويأتي الأمير بأكبر ما يمكنه من الجيوش التي يمكنه جمعها ويتلقى الأجر من الامبراطور .

وبعد أن رتبنا كل اتفاقاتهم عاد المبعوثان الى الامبراطور وأخبراه بأنهما قد رتبنا ليحضر الأمير فلورنت مع خمسمائة من الطليعة والأفضل في كل الامارة ، لمساعدة ونجدة عمه الامبراطور ، وعليه جهزوا السير توماس ابن الامبراطور من أجل رحلته بتشريف عظيم وأرسلوه الى المورة والى اندرافيدا ، وأعطوه للأمير ليفعل ما يريد به ، وأرسله الأمير الى قلعة خاوموتسي ليبقى رهينته بشرف في القلعة حتى يعود الأمير الى المورة ، وأحضروا أيضا للأمير أجور قواته ، يدفع لهم ثلاثة شهور فقط ، وخلال تلك السنوات والأزمنة وفي تلك الايام ، عندما بدأ الملك باليولوغوس العظيم تلك الحرب الساخنة مع امبراطور أرتا ، انطلق ليدمره في كل من البر والبحر ، وعليه صمم بـدوره عندما سمع (٨٨٦١ - ٨٩٠٢) الامبراطور بهذا ، وقرر بإرادة عظيمة أن يحمي نفسه منه بكل طريقة ووسيلة (٦٧) .

وتماما كما توصل الى تفاهم مع فلورنت ، أمير المورة الذي تزوج ابنة أخته ، فقد فعل مثله مع الكونت ريتشارد ، الذي كان أميرا وكونتا لسيغالونيا في ذلك الوقت ، وأعطاه كرهينة ابنته الأولى ليحتجزها كضمان وكان عليه هو نفسه أن يأتي شخصيا بالفعل هو وكل جيشه الى الامبراطورية ليساعده في الحرب التي بدأها الامبراطور معه ، وسيحصل أيضا على أجره هو وقواته عن الوقت الذي سيمضيه في الحرب ، (٦٨) وبعد أن توصلوا الى التفاهم ،

قام الكونت بالعبور مع مائة من الخيالة ، من الجنود الحقيقيين ، كلهم من خيرة الرجال والجنود المسلحين (٦٩) وبطريقة مماثلة عبر أمير المورة من باتراس ومضى الى أرتا ، وعندما علم الامبراطور في حينه وسمع أن الأمير قادم ، خرج للقاءه وتقابلا في لسيانا (٧٠) وأقاما احتفالا كبيرا خاطبه به : « مرحبا أيها الأمير مرحبا يا بن أخي ، إنني أرى الآن وأدرك مدى تعاطف الأقارب » وعندما شبعوا من القبل الرومية ، انطلقوا وذهبوا رأسا الى أرتا وجاء كونت سيفالونيا من الاتجاه الآخر .

من الذي يمكن أن يكتب لكم بالتفصيل حول السرور الذي شعر به ؟ عندما رأى الامبراطور الفرنجة الذين جاءوا في ذلك الوقت ، وبدا له انه قد قهر كل رومانيا ، واتخذ الأمير مراكز في منازل الامبراطور ، الذي ذهب في الواقع الى القلعة ثم أعطى القادة أولا مراكز مشرفة تليق بكل منهم ، ثم الفرسان والسرجندية من النبلاء ، وبعد أن استراحوا ذلك اليوم ، ذهب الامبراطور في الصباح التالي مع قادته وكل النبلاء رأسا الى الأمير ، حيث كان يسكن ، فوجده جالسا مع الكونت ريتشارد ، والمارشال دي سانت اوامر وأيضا مع قادة الفرسان وكل الفرسان وكانوا يتناقشون فيما بينهم ويتشاورون حول أي تصرف يمكن أن يقوموا به فيما يتعلق (٨٩٠٣ - ٨٩٥١) بالحرب التي جاءوا لمساعدة الامبراطور فيها ، وعندما رأوا الامبراطور نفسه قد جاء ، قاموا على الفور لتحيته وأجلسوا بعضهم بعضا ، وبدا جيد جدا للامبراطور في ذلك الوقت عندما وجد الأمير مع مجلسه يجلس للتشاور حول كيفية التصرف في الحرب التي جاءوا لمساعدته فيها . والآن بعد أن أجلسوا بعضهم بعضا كما سمعت بدأ الامبراطور بنفسه في الكلام وقال للأمير ثم للكونت وأيضا لمارشال المورة ثم لقادة الفرسان وللفرسان أيضا أنه يشكرهم كأصدقاء وأخوة ، للتعاطف الذي أبدوه والمحبة الخالصة فقد جاءوا بلهفة لمساعدته في الحرب التي يشنها الملك ضده . وعليه طلب منهم وتوسل اليهم كجنود وكرجال

نبلاء وحكماء أن يشيروا عليه ، حتى يقوموا بعمل حكيم ويتصرفوا كجنود ويحصلون على الحمد ، كما يحصلون على المجد » حيث أنه إذا شاء الرب أن ننصر فلا يفكر أحد منكم أو يتصور أن الحمد سيكون لي من قبل الفرنجة أو الرومان ، لأن المهمة لي ، وهذه الحرب حرب الامبراطور ، لا إن الشرف والثناء سيكون لكم لأن كل الناس في رومانيا يعرفون أنه ليس أفضل في كل الطرق الحربية من فرنجة المورة ، كما تعرف كل الدنيا ، لأن لديكم الحكمة والمؤهلات العسكرية من أعلى نموذج »

والآن بعد أن أتم الامبراطور ماكان يقوله ، بدأ الأمير يجيبه هكذا : « ياسيدي وامبراطوري وعمي الحبيب ، أشكرك على كلماتك وعلى الثناء الذي عبرت عنه لهؤلاء الجنود النبلاء الذين معي اليوم هنا في صحبتي ، فلتعلم هذا ولتأخذه كحقيقة ، أنه حبالك وتلبية لدعوتك ، جاء هؤلاء الرجال الى هنا من أجل شرفهم ، ولاتفكر لدقيقة أنهم قد جاءوا كمرتزقة لخدمتك من أجل الحاجة الى الأجر حتى ترسلهم الى المورة ، لأن الأجر الذي تلقوه كان يكفيهم فقط ليدفعوا من أجل الأسلحة والخيول التي اشتروها ليأتوا هنا بشرف عند حاجتك ، لأنني أتكلم عن نفسي وأخذه كحقيقة ، أنه من منطلق محبتكم ولقرابتنا ، ولأننا جيران ، وينبغي علينا أن يساعد أحدا الآخر في كل ما يحتاج اليه ؛ وأيضا (٨٩٥٢ - ٨٩٩٦) وبسبب عادة الفرنجة دائما ، أن يهرعوا بالسلح الى حيثما يسمعون أن هناك حاجة للحرب أو القتال ، لأنهم جنود وعليهم أن يبينوا ويظهروا أنهم جنود ، وهم يفضلون أن يكون لهم الشرف وثناء الدنيا ، على أن يعطوا الغنائم أو الأموال أو الأجر ، وبهذا التسويغ بالواقع جئنا اليكم وصدقوا ياعمي العزيز ، وأنا أقول لكم الصدق : لو أن هؤلاء كانوا قادرين ، إن معظم هؤلاء الذين جاءوا الى هنا كما رأيتم ، هؤلاء المحاربين النبلاء كانوا سيدفعون كل نفقاتهم من أموالهم ، ولم يكونوا ليأخذوا حتى إبرة منكم ، فقد جاءوا كأصدقاء لكم ومحاربين نبلاء ليخدموكم فيما تحتاجون اليه وعليه أننا نعدكم هم وأنا معهم أننا لن نرحل من هنا ، من

الامبراطورية ، قبل أن نحارب تلك الجيوش التي جاءت ، وتقف في أراضيكم ، جنود الامبراطور سواء نقتل الموت أو أن يموتوا هم بدلا منا »

وعليه أجاب الامبراطور الأمير ، فشكره بحرارة هو ونبلائه ، على كل ما قاله كرجل نبيل ، ثم تشاوروا حول كيف يجب أن يتصرفوا ، وكانت الكلمات كثيرة تلك التي قالوها ، ولكنهم في النهاية أعلنوا بأنهم سيعيدون الجيوش ، ويفادرون أرتا في وقت مبكر جدا في الصباح التالي ، وأن يذهبوا رأسا الى يانينا ، لأنهم علموا أن الجيوش كانت هناك ، (٧١) فإذا بقي الرومان من جماعة الامبراطور فانهم سيقاتلون ولتكن مشيئة الرب .

وأعطى مارشال المورة الأوامر ، وأعلنت على الفور باسم الامبراطور ، والأمير باسمه وباسم مارشالة ، أن تكون السرايا على استعداد ، فرنجة وروم ليتبعوا طلائع سانت أوامر مارشال المورة ، حيثما تذهب ، ثم في الصباح التالي انطلقت سرايا الجيش وذهبت الى يانينا

والآن ذهب الدمستق الكبير ، الذي كان القائد الأعلى على جيوش الامبراطور ، ذهب وأبلغه أن أمير المورة وكونت سيفالونيا قد جاءا بكل جيوشهما وقد وصلا الى أرتا بأجر من الامبراطور وأنهما كانا قادمين رأسا لملاقاته ومحاربتة فدعا قائده والصفوة من مجلسه (٨٩٩٧ - ٩٠٤١) وتشاوروا معا حول كيف يتصرفون ، وكان الكلام الذي تبادلوه كثيرا ، وفي النهاية على أي حال قرروا وأعلنوا وأكدوا أنهم لو انطلقوا من القلعة التي كانوا يحاصرونها ، بسبب الشائعات والروايات ، فأنهم يفعلون شيئا يستحق اللوم الكبير ، والأحرى بهم أن يبقوا هناك حتى يعرفوا الحقيقة ،

وفيما بعد وصلتهم تقارير صحيحة بأن الفرنجة قد وصلوا الى

أرتا ، وانطلقوا منها قادمين رأسا الى يانينا ، وعندما سمع
الدمستق الكبير وكل جيوشه هذا ، وأن الفرنجة قد وصلوا وكانوا
في أرتا (٧٢) لم يتوانوا ولو قليلا في التشاور وقال المقدمون في
الجيش أن الامبراطور نفسه لو كان معهم فلن يجرؤ على البقاء
لمقابلة الفرنجة وأنه كان أشرف لهم أن يتركوا ، بدلا من أن يؤخذوا
بالغلبة ويقتلون ، وحالما سمعوا أن الفرنجة قد جاءوا الى أرتا لم
ينتظروا لحظة للتشاور بأي شكل وقوضوا خيامهم على الفور
وهدموا المعسكر وبمثل لمح البصر انطلقوا مغادرين ولم يرفعوا علما
أو يشكلوا سرايا ولكن كما لو أن الفرنجة كانوا يطاردونهم
برماحهم ، هكذا وأسوأ عمدوا للفرار من الطريق نفسه الذي جاءوا
منه من الاشيا .

وعندما رأهم الذين كانوا في القلعة من داخل يانينا ، عرفوا
وفهموا أن الروم كانوا يهربون ، وبعثوا بالرسل على الفور الى
الامبراطور : « اعلم ياسيدي الامبراطور ، أن الرومان
هربوا » وعندما سمع الامبراطور وعرف أن الروم قد خرجوا من
قلعة يانينا ، غمره السرور ، وبسرعة ذهب بنفسه الى حيث كان
الأمير وأبلغه بالأخبار ، وبسماع هذا قال له الأمير : « لماذا
تنتظر ؟ » فدعا مارشال سانت أومر وأمره : « لتصدح كل أبواقنا
ولتوزع السرايا حتى تذهب بسرعة مباشرة الى يانينا ، حتى نجتاح
الروم قبل أن يبتعدوا كثيرا عنا ونقع في مزيد من المتاعب » وانطلقوا
مسافرين ووصلوا تلك المساء الى يانينا الى معسكر الذين هربوا أي
جيوش الملك ، وأمر مارشال المورة
بأن (٩٠٤٢ - ٩٠٨٥) يوزعوا ، وفي معسكرات الروم اتخذ
الرومان مواقعهم ومضى الامبراطور وقادة الفرسان أيضا وقادة
الجيش الى خيمة الأمير وتشاوروا معا حول ماعليهم أن
يفعلوا ، وفي النهاية اتفقوا على أن يلاحقوا الذين هربوا ، على أمل
أن يلحقوا بهم ويقاتلهم وينتصروا وحتى لو لم يلحقوا بهم فإنهم
سينهبون أرض الامبراطور هناك في رومانيا .

وعليه في الصباح التالي ، انطلقوا وذهبوا وسافروا رأسا في أثر أعدائهم ودعا الأمير وجاء الامبراطور ، وقال له إن عليه أن يوجه بعض قواته على أفراس خفيفة ليلحقوا بالروم وليخبروا الدمستق ، قائد الجيش نيابة عن الأمير ، وباسمه والامبراطور أيضا ، ويدعوهم لانتظارهم ليمضوا بعض الوقت معا في الميادين : لأنه لم يكن يوائم مثل هذا الجندي أن يأتي باحثا عن الاغارة بهدف القتال ، وبعد أن وجد المعركة مهيأة ، أن يهرب .

وعجل الذين أمروا بالذهاب الى الروم ولحقوا بهم في وقت قصير ، بينما كانوا يجتازون أرض الاشيا ، ونادوا عليهم من بعيد بأنهم كانوا رسلا وأن عليهم أن يستقبلوهم ليخبروهم بما أمروا به ، وأمر الدمستق الكبير بإعطائهم الأمان فاقتربوا معه وقالوا له : « إن سيدي أمير المورة والامبراطور أيضا يبعثان بتحياتهما الى نبالتكم كصديق لهما وأخ ، لقد جئت من عند الامبراطور بالجيش التي معك تسعى لشن الحرب والقتال مع الآخرين ، والآن وقد وجدت ماتسعى اليه ، وماتبحث عنه فانهما يطلبان منك أن تبقي في المكان المناسب حتى يأتي بجيوشهما ، لخوض المعركة ، وكرجل ونبييل ، انتبهوا لشرفكم لئلا يسود عليكم غيركم فتدخلوا عن شرفكم وتسقطوا في اللوم ويفضب الامبراطور .. »

فأجاب وقال لهم : « اني أبعث بتحيات كثيرة الى أمير المورة ، والى الامبراطور أيضا كأخوة وأصدقاء لي ، وأخبرهما باسمي أنه اذا كانت قوات الملك التي عندي تحت تصرفي ، فسأفعل ما يريدان ، ولكن هنا يوجد أتراك وكومان لهم قنانتهم (٩٠٨٦ - ٩١٢٩) وهم لا يلقون الي بالآ »

وعند سماع الجواب انطلقوا عائدين ، وخلال عودتهم وجدوا رجالا كثيرين خيولهم منهكة وآخرين شردت خيولهم ، وأسلحة وخيام كثيرة أخرى تولى عنها أصحابها وهم يهربون ، فأخذوا كل

مأمكنهم ومضوا الى الجيش وسلموا جواب الدمشقي الكبير ، وعندما سمع الأمير والامبراطور أنهم ذاهبون ، وهم يولون الأدبار بقدر مايمكنهم أعطوا الأوامر لجيوشهم ، وانطلقوا ينهبون وخربوا ودمروا أرض الامبراطور وغنموا كثيرا من الأسلاب وأسروا كثيرا من الرجال ، وكانت الأرض آمنة وتشجع الرجال بوجود الجيوش التي كانت تقف أمام قلعة يانينا ، وانقضوا عليهم انقضاضا وألحقوا بهم ضررا عظيما .

والآن أن الغزوة والنهب الذي أحدث لكم عنهما لم يدوما طويلا ولاحتى يومين لأن التقارير وردت الى الامبراطور في ذلك الوقت أنه قد وصل الى خليج أرتا ستين من الشواني الجنوبية (والقوات التي تحملها) قد نزلت في بريفيسا (٧٣) ، وكانت تنهب المدن ، وكانت تستعد للذهاب رأسا الى أرتا ، وبسماع ومعرفة هذا كان الامبراطور خائفا جدا وأسف كثيرا ، لأنه شك مباشرة أن تكون الشواني هي نفسها التي استأجرها الامبراطور أي شواني الجنوبية ، لتأتي لقتاله وتدميره ، وعليه سأل على الفور : « أين الأمير ؟ وانطلق من سريته وذهب اليه وأخبره وروى له الروايات التي تقول بأن الشواني الجنوبية ، قد جاءت ونزلت منها القوات في بريفيسا ، وكانوا ينهبون المدن ، وكانوا يستعدون للذهاب رأسا الى أرتا ، وخوفي يفوق التقدير من أنهم قد يستولون على المدينة »

وعليه أجابه الأمير وقال : « اعلم أيها العم ، وياامبراطوري ، حقا أقول لك أنني جئت لهذا السبب وتركت المورة ، لأساعدك في الحرب التي تخوضها حسنا ، وطالما أنني هنا في الامبراطورية فمر بما تحتاجه مني وسأفعله »

وعليه شكره الامبراطور بحرارة ، وأمر الأمير مارشاله على الفور ، فصدحت الأبواق (٩١٣٠ - ٩١٧٠) بإشارة أن عليهم أن يعودوا (٧٤) وبسماع هذا ، عانت سراياهم وهناك حيث كانوا يعسكرون توزعوا في ثلاث سرايا فيها ألف خيال ، وأمروا بأن

يذهبوا سريعا لنجدة أرتا « قبل وصول أسطول الشواني ، لأننا قادمون رأسا خلفكم » وعليه فقد انطلقوا وسافروا بلا توقف ولكن قوات الامبراطور التي كانت في السفن والشواني مع الجنوبيين نزلت الى الأرض وأسرت بعض الرجال وطلبوا منهم أن يخبروهم عن مكان وجود الامبراطور وعما اذا كانت معه اي قوات ، أي قوات أجنبية ، وأخبروهم وأعلموهم بأن الأمير ، أمير المورة قد جاء ومعه كونت سيفالونيا ، مع كل جيوشهما ، وعلى الفور عند وصولهما الى هنا وسماعهما بالروايات بأن الدمستق الكبير قدم بجيوشه وقد ألقى الحصار على قلعة يانينا ، وأنهم استعدوا وتوجهوا رأسا اليهم ، واذ سمع الدمستق الكبير بذلك انطلق هاربا ، فذهبوا يلاحقونه ليدركوه ، والآن بالضبط ان بعض الناس قد خبرونا بأنهم قد قضوا عليه وعلى قواته وبأنهم عائدون مبتهجين وسيصلون قريبا »

وبسماع هذا عاد قادة الشواني بسرعة مرة أخرى الى سفنهم وأعادوا المنجنقيات والصلالم التي افرغوها ليذهبوا لمهاجمة أرتا ، وعليه جاءتهم ايضا الروايات بأن الجيوش الفرنجية قد وصلت ، فأرسلوا من أجل القوات التي أرسلوها للنهب وكانت هذه قد اجتاحت المدن واحرقت الأرض والأماكن في فاجينيتيا التي كانت قريبة من البحر (٧٥) لقد وقع بالأسر جميع الذين ذهبوا للنهب ، وقعوا بالحال بعد وصول اتباع الامبراطور ، أعني أولئك الرجال الألف من الخيالة ممن كانوا قد أرسلوا ، وكل من امكنهم أسره على الأرض ، من الروم والجنوبيين ، قضوا عليه كما وأسروا أعدادا سواهم .

وعليه فكر أولئك الذين في الشواني وتشاوروا حول كيفية الاضرار بالامبراطور بطريقة ما ، وقال ذوو الخبرة البالغة والاكثر حكمة : « انكم تعرفون (٩١٧١ - ٩٢١٦) جيدا ويجب أن تتذكروا أمر الامبراطور بأنه قد وجه الدمستق الكبير ليذهب مع جيوشه ويفزو الامبراطورية من البر ونذهب نحن عن طريق البحر

(للفرز) لنساعدهم ويساعدونا ، طالما أن الوضع في البر موات ، حسنا وطالما أنه قد هرب دون قتال وأخذ جيوشه ، التي كان أملنا فيها - وترون أن الأمير والكونت معه قد جاء بجيوشهما وهما مع الامبراطور - فكيف يمكننا نحن الجنود المشاة أن نلحق أي ضرر بالأرض ؟ لقد رأيت أننا قد فقدنا الجنود المشاة الذي اجتاحتهم قوات الامبراطور التي هي من الفرسان وعلى أي حال دعونا ننتظر حتى يأتي الامبراطور حتى يمكن أيضا أن نرى الأمير وأي جيوش لديه لأخذ هذه المعلومات الى الامبراطور المقدس »

وبينما كانوا يجرون هذه المشاورات وصل الامبراطور والأمير بجيوشهما ، وعندما سمعا وعلما أن الجنوبيين لم يدخلوا قلعة أرتا بالمرّة ، اعتبر الامبراطور نفسه ذلك جيد جدا ولم يلق بالآلى نهب المدن بالمرّة عندما سمع أن الشواني بقيت في الميناء وعند سماع ذلك قال الأمير للامبراطور « طالما أن الشواني ماتزال راسية في الميناء علينا بعدم التّرجل ، بل دعونا نذهب الى هناك معا بجيوشنا ، وبالجنود المشاة والفرسان ولننصب خيامنا هناك قبالة الشواني لنحمي الأرض خشية أن ينزلوا الى البر ويلحقوا بعض الأضرار فيكون ذلك عارا علينا »

وكما وجه الأمير جرى ، فنفضوا أبواقهم وانطلق الجيش وذهب رأسا الى حيث كان الميناء ، حيث كانت ترسو الشواني شواني الجنوبيين ، وهناك نصبوا خيامهم واتخذوا مراكزهم ، واذ رأى الجنوبيون هذا ابتعدت الشواني وسحبت مراسيها وانطلقت الى المياه العميقة ،

والآن طلب الامبراطور المشورة من الأمير حول ماكان يعتقد انه سيحدث وماذا يفعلون ، وقال الأمير وهو الرجل الداهية للامبراطور : « يبدو لي يا عمي الطيب اننا يجب ان نتخذ مواقعنا هنا حيث تمركزنا لئلا يلجأوا الى البر سواء للحصول على الماء أو لإيقاع الضرر ، ولنرسل الجيوش الى الأحواز لنحمي هذه الأرض

- ٤٩٤٦ -

أيضا لئلا يوقعوا بها ضررا « وكما أمر الأمير
جرى (٩٢١٧ - ٩٢٣٥) .

وعندما رأى الروم والجنويون الذين كانوا في شواني الامبراطور
هذا تحيروا بدرجة عظيمة من أين وجد الامبراطور مثل هذه القوات
الرائعة والجيوش التي كانت لديه ، وأثنوا على الأمير بدورهم جدا
وقالوا : ان الرجل الذي ضمن السند العسكري وسلوك الجيش
كان رجلا متمرسا في تدريب الفرنجة ومؤهلات الغرب ، وعليه فقد
تشاور الذين كانوا على ظهور الشواني أنه من حينه فصاعدا لن
يمكنهم ايقاع أي ضرر هناك حيث اتخذ الأمير والامبراطور
مواقعهم ، ولكن دعونا نتحول عن هنا ولنذهب إلى مكان آخر إلى
خارج رومانيا ، حيث ربما يمكننا بدون خوف ان نحدث بعض
الأضرار لأرض الامبراطور ونربح شيئا ما .

وبعدما اجتمعوا للتشاور نقضوا ، فرفعوا المراسي ، وحركوا
المجانيق ووصلوا في وقت قصير إلى أراضي فونوتزيا (٧٦) .